



الإمام أبو العباس
المجاهد الصوفي
فوزي محمد فوزي

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة

دار الأيمان والحياة



الإمام أبو العزائم المجدد الصوفي	الكتاب
الأستاذ فوزى محمد أبو زيد	المؤلف
٢٣ يونيو ٢٠٠٩م الموافق غرة رجب ١٤٣٠هـ	الطبعة الثانية
١٩٩٢م، ١٤١٢هـ	الطبعة الأولى
٢٠٨ صفحة	عدد الصفحات
١٧ سم * ٢٤ سم	المقاس
٨٠ جم	الوزن
١ لون، أسود	الطباعة الداخلية
كوشيه لميع، ٢٥٠ جرام	الغلاف
٤ لون، سلوفان لميع	طباعة الغلاف
دار الإيمان والحياة - ١١٤ ش ١٠٥ - المعادى - القاهرة - جمهورية مصر العربية، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠ - ٢ - ٢٠، فاكس ٢٥٢٦١٦١٨ - ٢ - ٢٠	إشراف
دار نوبار للطباعة	طباعة
٢٠٠٩/١١٤٣٠	رقم إيداع محلى
ISBN 977-17-7103-5	التقييم الدولى

S N S

الإمام أبو العزائم المجدد الصوفي

للأستاذ فوزي محمد أبو زيد ﴿ ٣ ﴾



الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم ؓ

المقدمة

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على سابع النعماء ... والشكر لله على جميع الآلاء ..
والصلاة والسلام على إمام الرسل والأنبياء سيدنا محمد وآله الأنقياء،
وصحابته الأوفياء، وكل من تبعهم بخير إلى يوم العرض والجزاء، وبعد،
لما نفذت الطبعة الأولى من باكورة كتبنا الإمام أبو العزائم المجدد الصوفي
أشار كثير من الأحباب إلى رغبتهم في إعادة طباعته؛ لما له من أهمية بالغة في هذا
العصر، حيث أن الإمام أبا العزائم رحمه الله يعد من أبرز دعاة الوسطية الإسلامية في
عصرنا، لأنه يرى أنه لا علاج لكل أمراض المجتمعات الإسلامية:
- إلا بنبذ الفرقة وإزالة الشحناء والبغضاء من القلوب.
- وتنقية النفوس من الأثرة والأنانية وحب الدنيا.
- والإجتماع على شرع الله، وهدى رسول الله ﷺ ...
عملاً بالآية القرآنية الكريمة:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (١٠٣ آل عمران)

ويرى رحمه الله كذلك أنه لا سبيل إلى رقى مجتمعاتنا الإسلامية وازدهارها وتقدمها
إلا بتربية الأفراد التربية الإسلامية الحققة التي يكون الفرد فيها ظاهره شريعة وباطنه
حقيقة، ظاهره سنى وباطنه صوفى، ظاهره القيام بأحكام الشريعة الظاهرة والتزام
بتعاليمها فى كل أموره من عبادات وأخلاق ومعاملات وسلوكيات، وباطنه مراقبة الله
وخشيته، والخوف من مقامه، والرغبة فى رضائه، واستحضار أوصاف حضرته وعظمته
وكبريائه، حتى يكون معالم فى أفق قلبه، يوجهه ويهديه إلى الحق وإلى الطريق
المستقيم متاسياً بقوله عزّ شأنه:

﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة).

فاستخرنا الله تعالى في ذلك، وقمنا بمراجعة الكتاب في نسخته الأصلية، وأدخلنا عليه بعض التعديلات من الحذف والإضافة وتغيير بعض الألفاظ والجمل والعبارات، وكذلك توضيح بعض المعاني، وذلك ليكون أكثر تلائماً مع العصر، مع مراعاة عدم الإخلال بالكتاب الأصلي من ناحية التبويب والترتيب والسياق. كما قد حذفنا الملاحق^١ من مؤخرة الكتاب لعدم الحاجة إليها هنا حيث تمت طباعتها في كتاب مستقل هو: أوراو الأخيار.

﴿ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

أُنِيبُ ﴾ (هود)

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الجميزة مساء الخميس

١٩ من جمادى الأولى ١٤٣٠ هـ، ١٤ من مايو ٢٠٠٩ م

فوزي محمد أبو زيد

الجميزة، محافظة الغربية، جمهورية مصر العربية

٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٤٤٦٠ : ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩ : ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٤٤٦٠ :

WWW.fawzyabuzeid.com :

fawzy@fawzyabuzeid.com :

fawzyabuzeid@hotmail.com

fawzyabuzeid@yahoo.com

^١ الملحق الأول الفتوحات العزمية في الصلاة على خير البرية للإمام أبي العزائم ؑ، والملحق الثاني ختم صلاة الصبح له رضى الله عنه وأرضاه.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى ...

والصلاة والسلام على كنز حقيقة الاصطفا، ورمز الصفا والوفا، سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه ومن اقتفى، وبعد ...

كنا نتحدث مع بعض الإخوان الصادقين الذين تشبعت روحهم بمحبة الصالحين، وتدفعهم دفعاً حثيثاً إلى الإقتداء بهم، ومتابعة هديهم، ومحاولة السير على مناهجهم، فنتطرق الحديث إلى مولانا الإمام أبي العزائم ؒ وأرضاه، فطلب مني جلُّهم معرفة شئ ما عن حياة الإمام أبي العزائم وجهاده ؒ في ذات الله.

ولما تدبرت في هذا الأمر، وجدت أنه ليس هناك كتاب يشمل النواحي الروحية والتربية الصوفية عنده، بل والأحوال التي يتمتع بها الصوفية، وخاصة المتابعين منهم للإمام أبي العزائم ؒ، إذ الكتب التي ظهرت حتى وقتنا هذا، وتعلق بشخصه الكريم رضى الله عنه وأرضاه هي:

كتاب الإمام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين لفضيلة الشيخ محمد علي سلامة، وهو كتاب فاق الجودة، من ناحية الأسلوب والصياغة والمعاني، ولكنه يخاطب الخاصة من تلاميذ الإمام ؒ، لأنه يصف أحواله القلبية، ومقاماته الوهية.

والكتاب الآخر: هو كتاب أبو العزائم - حياته - جهاده - آثاره للأستاذ/ عبد المنعم شقرف المحامي، وهو كتاب جيد، ولكنه يركز على جهاد الإمام أبي العزائم السياسي في مواجهة الإنجليز، وفي تعضيد الثورات التي يقوم بها المسلمون في كل بقاع الأرض، ودوره العظيم، في إحياء الخلافة الإسلامية.

ولذا، وجدت لزماً علي نحو الإمام أبي العزائم ؒ، وواجباً علي نحو إخواني آل العزائم خاصة، والمسلمين أجمعين أن أوضح الدور العظيم الذي قام به ؒ في تجديد أحوال الصوفية، وبيان ما أندرس من أخلاقهم وسلوكهم، ومقاماتهم، والدور

الكبير الذي قام به ﷺ في سبيل نشر هذه المبادئ السامية، والأحوال الراقية، بين ربوع الأمم الإسلامية، متعرضاً قدر الإستطاعة لشئ من حياته الخاصة في بيته، وحياته العامة مع أخوانه والمسلمين، وأرجو بذلك أن أوفي بعضاً ما عليّ من واجبات نحو إمامي ومرشدي ﷺ.

هذا وقد استلهمت روح سيدي ومرشدي الإمام أبي العزائم ﷺ، فأحسست كأنه ﷺ يملئ علي في أذني، هذه العبارات، وتلكم الكلمات، وذلك ما دفعني إلى المبادرة إلى هذا العمل، الذي أسأل الله ﷻ أن يجعله شافعاً لي يوم العرض عليه ..

فما كان فيه من صواب وتوفيق، فبفضل الله أولاً، وببركة الإمام أبي العزائم ﷺ، وإمداده، وإلهامه لذاتي ثانياً، وما كان فيه من سهو أو تقصير، فإنما يرجع إلى عجلتي، وغفلتي وزللي.

والله أسأل أن ينفع به كل من قرأه، أو شارك في طبعه أو نشره، وأن يجازي عنا الإمام أبي العزائم خير الجزاء بمغفرة ورضوان وخير في الدنيا والآخرة.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا مُسِيئِينَ أَوْ أخطَاْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

[البقرة]

كتبه

فوزي محمد أبو زيد

دار الصفا، الجبيلة - غربية

السبت ١٦ من جماد الأولى ١٤١٢هـ، الموافق ٢٣ من نوفمبر سنة ١٩٩١م

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ
صَلَّوْا
أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾

(٣٢ فاطر)

إِنَّ الرَّجَالَ كُنُوزٌ لَيْسَ يَذْرِيهَا
إِلَّا مُرَادٌ تَحَلَّى مِنْ مَعَانِيهَا
فِي الْأَرْضِ أَجْسَامُهُمْ وَالْعَرْشُ مَقْعَدُهُمْ
قُلُوبُهُمْ صَفَتْ وَاللَّهُ هَادِيهَا
هُمْ الشُّمُوسُ لِشَرَعِ الْمُصْطَفَى وَهُمْ
سَفِينَةُ الْوَصْلِ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا
أبو العزائم رحمه الله

الفصل الأول

نسبه وأسرته

نسبه

أسرته وكنيته □

جده الأعلى □

أبو الغنائم ما ضي بن
سلطان □

الفصل الأول : نسبه وأسرته

نسبه

ينتسب عليه السلام إلى العترة الطاهرة من آل البيت الكرام، فهو عليه السلام :

- حسيني من جهة والده.
 - وحسني من جهة أمه.
 - ونسبه كما هو مثبت في كتبه عليه السلام هو السيد محمد ماضي أبو العزائم:
- بن السيد / عبد الله المحجوب:

بن السيد أحمد، بن السيد مصطفى، بن السيد إبراهيم، بن السيد صالح، بن السيد ماضي، بن السيد درويش، بن السيد محمد، بن السيد علي، بن السيد محمد، بن السيد إبراهيم، بن السيد رمضان، بن السيد أحمد، بن السيد عبد الحميد، بن السيد محمد، بن السيد علي، بن السيد حسن، بن السيد زيد، بن السيد حسن، بن السيد علي الطويل، بن السيد محمد، بن السيد إبراهيم، بن السيد محمد، بن السيد عبد الله العوكلاني، بن السيد أبو الحسن موسى الكاظم، بن السيد جعفر الصادق، بن السيد محمد الباقر، بن السيد علي زين العابدين، بن سيدنا الحسين، بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، هذا من جهة أبيه رضى الله تعالى عنه

أما نسبه عليه السلام من جهة أمه فهي:

^٢ نيل الخيرات ص ١٠٩ الطبعة الحادية عشرة ((الإمام محمد ماضي أبي العزائم)).

السيدة آمنة المهدية:

ابنة السيد أحمد العربي الفرجاني، بن السيد علي، بن
 السيد سليمان، بن السيد مصطفى، بن السيد زين الدين، بن
 السيد محمد درويش، بن السيد حسام الدين، بن السيد ولي
 الدين، بن السيد زين الدين، بن السيد شرف الدين، بن السيد
 شمس الدين، بن السيد محمد الهتافي، بن السيد عبد العزيز،
 بن السيد عبد القادر الجيلاني، بن أبي صالح موسى جنكي
 دست، بن السيد عبد الله الجيلي، بن السيد يحيى الزاهد، بن
 السيد محمد، بن السيد داود، بن السيد عبد الله، بن السيد
 موسى الجون، بن السيد عبد الله المحض، بن السيد حسن
 المثني، بن سيدنا الإمام الحسن، بن الإمام علي بن أبي طالب
 ﷺ وكرم الله وجهه^٣

أسرته وكنيته

ونلاحظ هنا أن اسمه ﷺ محمد بن عبد الله المحبوب.

أما ماضي وأبو العزائم، فهما كنيستان تكنى بهما في حياته.

● وترجع الكنية الأولى (ماضي) :

إلى الأمير ماضي بن مقرب من بني هلال:

وهي القبيلة العربية المشهورة، التي كانت تسكن في بلاد الحجاز حتى تمكن
 الفاطميون من إنشاء الدولة الفاطمية، وجعلوا مصرًا مقراً لحكمهم، وكان من
 سياستهم، جلب كل من ينتسب إلى السيدة فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها إلى
 دولتهم، لإكرامهم وتعويضهم عما شعروا به من ظلم واضطهاد تحت حكم الأمويين

^٣ نيل الخيرات ص ١١٠ المرجع السابق.

والعباسيين، فأرسلوا إلى بني هلال، واستقدموهم إلى مصر.

وتحكي الروايات التاريخية، أن عددهم كان يزيد على الأربعمئة ألف، ونظراً لكثرتهم العددية، وجهوهم إلى جنوب البلاد، وأسكنوهم في بلاد الصعيد.

ثم حدثت بعض الثورات على الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، فما كان منهم إلا أن طلبوا من إخوانهم من بني هلال، أن يهبوا لنجدتهم، والقضاء على هذه الثورات، خاصة وأنهم كانوا مشهورين بالفروسية والبطولة والفداء والتضحية.

فوافق البعض وذهبوا إلى بلاد المغرب واستطاعوا القضاء على هذه الثورات، وأشهرها القضاء على الدولة الزناتية، التي كانت تسيطر على تونس وجزء كبير من الجزائر، واستقروا هناك في أماكن متفرقة.

فذهب الأمير ماضي بن مقرب إلى منطقة الأغواط، الواقعة على الحدود الآن بين الجزائر والمغرب، وأسس عين ماضي واستقر بها هو وذريته.

بينما انتشر الجزء الذي تبقى في مصر في محافظات سوهاج وقنا وأسوان، وهم ما يسمون بالأشراف الآن.

● أما الكنية الثانية: (أبو العزائم):

فترجع إلى جده الأعلى (ماضي بن سلطان):

والذي كان له الباع الطويل في خدمة ومصاحبة سيدي أبي الحسن الشاذلي رحمته الله، وهو الذي كنّاه بهذه الكنية نظراً لما لمسّه فيه من جد واجتهاد وإخلاص في طاعة الله تعالى، ومن عزيمة شديدة في العمل على نشر محاسن طريقته عليه السلام.

ونظراً لأهمية دوره في حياة الإمام أبي العزائم رحمته الله، واعتباره له مثلاً أعلى في حياته الصوفية، نذكر على سبيل التبرك، قبساً من سيرته عليه السلام:

جره الأعلى

أبو العزائم ماضي بن سلطان

تعرف على سيدي أبي الحسن الشاذلي في أوائل ظهور دعوته في بلاد المغرب العربي، وذلك أثناء سياحاته الروحية وتجواله في هذه البلاد، ناشراً لهديه، بعد أن أمر بذلك، وسمع النداء ((يا علي انزل اهد الناس إلينا)).

وقد كان ذلك الوقت يقيم في جبل بالقرب من ((شاذلة)) بتونس الآن، فاستجاب للنداء، ونزل تنفيذ لأمر الله، فجمع عليه خلائق لا يحصون، كان من بينهم الشيخ ((ماضي بن سلطان))، وتفرد فيه الشيخ علو الهمة، وصدق الإرادة، فأختاره خادماً ذاتياً له، يطلعه على شئونه الخاصة، ويوكل إليه جلائل الأعمال.

ومنذ ذلك الوقت، لزم الشيخ ماضي أستاذه أبي الحسن الشاذلي، حتى رحل معه إلى الإسكندرية، عندما جاء إليها، ولم يرح عنه حتى انتقل إلى جوار ربه، وكان يلازمه في كل أسفاره، وخاصة سياحاته في البلاد، ورحلاته لأداء فريضة الحج.

ولذا يعول عليه ككتاب التراجم والسير، لصدق روايته، عندما يكتبون عن سيدي أبي الحسن الشاذلي رحمه الله ولقد كان له رحمه الله وقائع كثيرة مع شيخه، تدل على علو همته، وصفاء سريره، وصدق إرادته، وتبين المنهج العظيم الذي أتبعه الإمام أبو الحسن الشاذلي في تربيته لمريديه، والذي اختاره الإمام أبو العزائم رحمه الله نهجاً قوياً، لتربية أبنائه ومحبيه، كما سنذكر فيما بعد.

ومن ذلك على سبيل المثال، هذه الوقائع التي يذكرها ابن الصباغ في *درة الأسرار* وينقلها عنه ابن عياد في *المفاخر العلية* في المآثر الشاذلية وتتداولها كتب الطبقات وتراجم الشاذلية إلى يومنا هذا:

● قال بن الصباغ ((حدثني الشيخ الصالح أبو العزائم ماضي رحمه الله قال:

تحدث الشيخ رحمه الله في حقيقة الشيخ مع أصحابه فقال:

((أن تكون يده عليهم يحفظهم حيثما كانوا)) قال: فاعتزضت على ذلك في نفسي وقلت: لا يكون ذلك إلا لله عز وجل، فلما أصبحت أخذتني ضيقة شديدة في نفسي، فخرجت لخارج الإسكندرية، وجلست على ساحل البحر اليوم كله، فلما صليت العصر، زبقت، يعني أدخلت رأسي في طوقي، وإذا بيد تحرمني، فظننت أنه بعض الفقراء يمازحني.

قال: فأخرجت رأسي من طوقي، وإذا بها امرأة حسناء عليها لباس حسن، وحلي، فقلت لها: ما تريدن؟

قالت: أنت. فقلت: أعوذ بالله منك. فقالت: والله مالي عنك براح؛ فدافعتها عن نفسي، فأخذتني في حضنها، ولعبت بي كما يلعب الطفل بالعصفور وما ملكت من نفس شيئاً، ورمتني بين فخذيهما، فحنت نفسي إليها، وإذا بيد أخذتني من أطواقي، وإذا أنا بالشيخ يقول لي: يا ماضي، ما هذا الذي تقع فيه..؟ ورماني عنها، فظننت أن الشيخ أجتاز بذلك المكان، فرفعت رأسي، فما وجدت الشيخ ولا المرأة ..

فتعجبت من ذلك، وعلمت أنني أصبت باعتراضي عليه. فاستغفرت الله، وصليت المغرب، وآتيت إلى الباب الأخضر، وقد غلقت أبواب البلد كلها، فلما دنوت منه .. انفتح لي ودخلت المدينة ثم أغلق، وهذا الباب، لا يفتح إلا بعد صلاة الجمعة، يخرج منه الأمير والناس إلى الساحل، ثم يغلق إلى الجمعة الأخرى، قال: وآتيت القلعة، ودخلت بيتي مختفياً عن الفقراء.

فلما صلى الشيخ العشاء الآخرة، صرف الناس، وكان في كل ليلة، يعمل ميعاداً يأتي إليه الناس من البلدان، يستمعون كلامه. قال: ثم دخل الخلوة وقال: أين ماضي..؟ قالوا: مارأيناه اليوم، قال: أطلبوه في بيته، فأتوا إلي، فقلت لهم: إنني مريض، وكان كذلك، فإني ما آتيت إلا بحال عظيم، فقال: احملوه بينكم، قال:

فحملوني إليه، وأدخلوني عليه، وأمرهم بالإصراف !!

فجلست بين يديه وأنا أبكي، فقال لي: يا ماضي. لما قلت بالأمس كذا وكذا، فاعترضت أنت علي، أين كانت يدي اليوم منك لما أردت أن تقع في المعصية؟ .. من لم يمكن من ذلك فليس بشيخ....^٤

● قال ابن الصباغ: وحدثنا أيضاً قال:

كنا بدمنهوور الوحش، فلما صلينا العصر، أعطاني كتاباً للشيخ الفقيه فخر الدين الفتري بالإسكندرية، برسم حاجة عرضت له، فقلت له: يا سيدي إذا كان غداً إن شاء الله، أي أسافر غداً - وهذا الموضع مسيرة يوم للفارس - فقال لي: الساعة تسافر وتعود إلى بالجواب إن شاء الله تعالى.

قال: فتقلدت نمشة^٥ كانت عندي، وخرجت متوجهاً، فوصلت إلى الإسكندرية في أقرب وقت، وأعطيت الكتاب للشيخ ورجعت إليه قبل اصفرار الشمس. وكنت مررت بجبال الحاجر في طريقي، فأسمع بها دويًا وحس المشي، فأظن أنهم اللصوص يعترضوني في طرف النهار، فأرسل النمشة وأبقى منتظراً، قال: فما رأيت أحداً.

قال: فلما رجعت إلى الشيخ وجلست بين يديه تبسم وقال لي: يا ماضي، تجيز نمشتك تتقي بها اللصوص ..؟ الدوي الذي كنت تسمع دوي الملائكة !!

والله ما خرجت من بين يدي حتى تكفل بك ثمانون ألفاً من الملائكة، يحفظونك من أمر الله حتى وصلت إلى الإسكندرية وعدت إلينا....^٦

● وقال أيضاً: حدثنا الشيخ أبو العزائم ماضي رحمه الله قال:

بعثني الشيخ من الإسكندرية إلى دمياط في بعض حوائجه، وكان عندنا رجل من أهلها، فأراد السفر معي، فاستأذن الشيخ، فأذن له في السفر، فلما توجهنا لباب

^٤ درة الأسرار لابن الصباغ ص (٤٤، ٤٥).

^٥ النمشة: غطاء مخطط.

^٦ درة الأسرار لابن الصباغ ص (٤٥، ٤٦).

السدرة - باب من أبواب الإسكندرية - اخرج الرجل دراهم ليشتري بها خبزاً وأداماً، فقلت له: ما نحتاج إلى شيء. فقال لي: نجد دكان فلان في الصحراء وأشار إلى دكان حلواني بالإسكندرية. فقلت له إن شاء الله.

وكنت مهما سافرت، لا أحمل معي زاداً، فإذا أصابني جوع أسمع كلامه من خلفي يقول: يا ماضي: اخرج عن يمينك تجد ما تأكل، وكذا إذا عطشت، فأجد طعاماً طيباً وماء عذباً.

قال: فخرجنا عن الإسكندرية ومشينا، وجد بنا السير حتى تعالى النهار بنا، فقال لي: يا ماضي: اطعمني فإني قد جعت. وإذا بكلام الشيخ على العادة يقول: يا ماضي: جاع ضيفك، اخرج عن يمينك تجد ما تطعمه، قال: فخرجت عن يميني، فوجدنا محفلة مملوءة بكنافة سكرية مخلطة بالمسك وماء الورد، فأكلنا حتى ملينا، فبكى الرجل وتعجب مما رأى، فقلت له: أيهما أطيب .. هذا الطعام أو ما أشرت إليه في دكان الحلواني ؟ فقال: والله ما رأيت مثل هذا قط وما صنع مثله في قصر ملك من الملوك، وأراد أن يرفع بقيته فمنعته، وتركته على حالها.

ومشينا يسيراً فعطشنا. وإذا بكلام الشيخ يقول: يا ماضي اخرج عن يمينك تجد الماء، فوجدنا عين ماء عذب في الرمل فشربنا، واضطجعنا ساعة، وقمنا، فما وجدنا قطرة ماء، فقال الرجل: أين الماء الذي كان ها هنا؟ فقلت: لا علم لي به، فقال: والله لقد مكن لهذا الشيخ تمكيناً عظيماً. والله لا رجعت إلى أهلي، حتى أنال ما نال هذا الشيخ، أو أموت في الله تعالى، فخلى فروته عندي ...!! ، ومشى في البرية يقول: الله ... الله !!!

قال: فلما قضيت سفري، ورجعت إليه قال لي: يا ماضي: ودَّرت (أهلكت) ضيفك .. ، فقلت له: أنت الذي ودَّرتَه - أطعمته الكنافة السكرية في البرية، وأسقيته الماء العذب في الرمل، فقال لي: مرَّ في الداهيين إلى الله تعالى^٧

● وقال: حدثنا الشيخ ماضي رحمه الله أيضاً قال:

^٧ درة الأسرار لابن الصباغ ص (٤٦ - ٤٧)

حججت سنة من السنين عن إذنه، فلما قضيت مناسك الحج، وأتيت أطوف طواف الوداع، قام أهل مكة على من بقي في الحرم من الحجاج فنهبواهم، وكانت عندي أمانات للناس، فدخلت في الحجر، ووقفت تحت الميزاب وقلت: إن خرجت نهبوني، وإن أقمت أقمت بأموال الناس عندي، فتحيرت في أمري، فناديت بالشيخ.

وإذا به واقف بباب الندوة، وهو يشير إلي، فبادرت إليه، فولى خارجاً، فاتبعته، ولم أقدر على اللحاق به، والوصول إليه، فلم أزل كذلك حتى دخلت الركب، فلما دخلت الركب، طلبته، فلم أجده، فلما وصلت إلى الإسكندرية، أتيت إليه، وسلمت عليه، فسألني عن حالي وقال لي: يا ماضي: لما أشدت الحال عليك وناديت بنا، أتينا إليك وخلصناك مما كنت فيه...^٨

وهذا نذر يسير مما روى عن الشيخ ماضي بن سلطان رحمه الله، في صحبته لسيدي أبي الحسن الشاذلي، وقد ذكرنا ذلك، لعلنا بشدة تعلق الإمام أبي العزائم رحمه الله بهذه الأحوال وبحبته عنها، وطلبه لها، وتأسيه بأهلها وهو الذي كان يقول لأبنائه دائماً حاثاً لهم على التحلي بها:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

ومن شدة تعلقه به تكنى بكنيته، وتشبه بسيرته، ونسب طريقته إلى السادة الشاذلية، رضي الله تعالى عنهم.

● هذا وقد ظل الشيخ ماضي في محبة شيخه أبي الحسن، حتى كان سفره الأخير إلى الحج، ويحكي ذلك: سيدي ماضي بن سلطان رحمه الله فيقول:

لما توجه رحمه الله في سفرته التي توفي فيها، وكنت تزوجت امرأة من أهل الإسكندرية، وكانت حاملاً، فجعلت تبكي وتقول لي:

^٨ المفخر العلية ... لابن عياد ص (٣٦).

تتركني على ولادة وتسافر عني.

قال: فأخبرت بذلك الشيخ فقال: ادعها إلي، فأتيت بها إليه فلما دخلت بها عليه، قال لها: يا أم عبد الدائم. أتركي لي ماضي يسافر معي، وأرجو لك من الله خيراً، فقالت له: يا سيدي السمع والطاعة.

فدعا لها وانصرفت.

فولدت ونحن مسافرون مولوداً ذكراً وسمته ((عبد الدائم))...^٩

وقد انتقل الشيخ أبي الحسن الشاذلي إلى جوار ربه في ذلك السفر في ((حميثرا)) بالقرب من قنا، بعد أن أوصى بأن يخلفه على الإخوان، سيدي أبو العباس المرسي رحمه الله، فأكمل بهم السفر.

وبعد أداء فريضة الحج والعودة إلى الإسكندرية ...

استأذن الشيخ ماضي سيدي أبي العباس في الذهاب إلى إقليم دسوق، لنشر طريقة شيخه هناك.

وقد اختار قرية ((محلة أبو علي)) لقربها من النيل، ولأنها كانت ميناء هاماً في ذلك الوقت، واستقر بها، وبنى بها زاوية للطريقة الشاذلية، ينشر فيها تعاليم شيخه، وهدبه، وقد توارثها أولاده من بعده، ووسعوها، وجعلوها مسجداً كبيراً.

حتى صار الأمر إلى السيد عبد الله المحجوب والد الإمام أبي العزائم.

والذي كان خليفة الشاذلية على هذا الإقليم، وأحيا الطريقة في زاويته، وظل مجاهداً في نشر مبادئها وآدابها متجولاً في ربوع البلاد، لزيارة الصالحين، والتبرك بهم، والتعرف على آثارهم، حتى لقي الله عز وجل، ولا يزال ضريحه إلى يومنا هذا بالمسجد الذي أسسه الشيخ ماضي بن سلطان رحمه الله أجمعين.

^٩ درة الأسرار ص ٢٢٢.

الفصل الثاني

أولاً: مولده ونشأته

● مولده

● نشأته

● ميوله الصوفية □

ثانياً: دراسته في القاهرة

● تمهيد

● في الأزهر الشريف

● في دار العلوم

الفصل الثاني: أولاده ونشأته

مولده

كان والده السيد عبد الله المحجوب يزاول التجارة في الغلال إلى جانب عمله في الزراعة، وكان يجمع الأرز من الفلاحين، ويقوم بتوريده إلى مضرب الأرز بمدينة رشيد، ولما كان ﷺ يكثر من زيارة الصالحين أحياءً وأمواتاً، وكانت زوجته السيدة/ آمنة المهدية تشاركه نفس هذا الحب لآل بيت رسول الله وللصالحين أجمعين، فكان يأخذها معه كل عام مرة إلى مدينة رشيد، حيث يباشر عمله، ويمكنها من زيارة الصالحين في تلك البلدة.

ولما حملت بالإمام أبي العزائم ﷺ وكان ميعاد الوضع يصادف أيام ذهابهم إلى رشيد، أراد ﷺ أن يصرفها عن الزيارة في هذا العام لقرب أيام وضعها، ولكنها أصرت وتوسلت إليه أن يحملها معه حتى لا تتخلف عن عاداتها، وذلك ليقضي الله أمراً كان مقدوراً.

وشاءت إرادة الله تعالى تكريم هذا الولي من لحظة ولادته، وقد ذهبت السيدة آمنة المهدية لزيارة مسجد سيدي زغلول برشيد، وهو أكبر جامع بها، ويزيد عدد أعمدته على الثلاثمائة والستين، وهو المسجد الذي أذن من فوقه مؤذن الجهاد ضد الحملة الإنجليزية عام (١٨٠٧) ميلادية ((حملة فريزر)) ويتوسطه ضريح سيدي زغلول ﷺ، ولما دخلت رضي الله عنها إلى هذا الضريح المبارك، إذا بآلام الوضع الشديدة تنتابها فجأة بدون مقدمات، حتى أنها لم تتمكن من الخروج من الضريح ولو لأي مكان في داخل المسجد، فأغلق الخادم عليها باب الضريح، وأسندت

ظهرها إلى المقصورة الكائنة به وولدت الإمام محمد ماضي أبو العزائم بدون ألم ولا تعب في الوضع كالعادة المرعية، وكان ذلك في صبيحة يوم الاثنين السابع والعشرين من رجب سنة ألف ومائتين وست وثمانين من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، والموافق الثاني من شهر نوفمبر سنة ألف وثمانمائة وتسعة وستين ميلادية، فجاءها الخادم بقطعة من القماش الموجود على ظهر الضريح، فلفته فيها وخرجت به في الحال، طفلاً بهيجاً يسر الناظرين.

نشأته

وقد اهتم السيد عبد الله المحجوب بتربية أولاده تربية علمية، وساعده على ذلك ثراؤه الواسع، وثقافته الدينية، وقد اهتم بصفة خاصة بمن أقبل منهم على العلم وهم: أحمد ومحمد وزينب.

فأحضر الشيخ عبد الرحمن عبد الغفار، ليحفظهم المتون كالعادة المرعية في ذلك الزمن، وذلك بعد حفظ القرآن الكريم كله، وقد أتمه الإمام أبو العزائم في ثلاث سنوات، حيث ذهب إلى الكتاب في الرابعة من عمره، وأتم حفظ القرآن الكريم في السابعة تقريباً، وقد أشار الإمام أبو العزائم رحمه الله إلى المتون التي حفظها على الشيخ عبد الرحمن عبد الغفار في مقدمة كتابه أصول الوصول طبعة (١٩١٢) ميلادية فقال رحمه الله:

((وقد أتممت حفظ متن أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك بن أنس، وقسم العبادات من الموطأ، ومتن السنوسية في علم التوحيد، ومن علم النحو الأجرومية والألفية، ومن علم الحديث المختصر للإمام الزبيدي، وذلك على الشيخ عبد الرحمن عبد الغفار)).

وقد انتهى رحمه الله من حفظ تلك المتون في فترة وجيزة ولما رأى والده شغفه الكبير بالعلم، اهتم بتلقينه العلوم الدينية، فعهد إلى الشيخ محمد القفاص تدريس

علم التوحيد له ﷺ، وطلب من الشيخ محمد الخطيب أن يدرس له الفقه، وقام بنفسه بتلقينه الطريقة الشاذلية وأورادها وأحزابها، ودرس معه الكتب الهامة في علم التصوف، وخاصة كتاب ((إحياء علوم الدين للإمام الغزالي)) وكتاب ((قوت القلوب)) لأبي طالب المكي، وركز معه أيضاً على دراسة السيرة النبوية العطرة، فقرأ معه كتاب ((الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى)) للقاضي عياض، وسيرة الرسول ﷺ لابن هشام، ((والطبقات الكبرى)) لابن سعد، وساعده على ذلك، المكتبة الضخمة التي كان يحتفظ بها في بيته، والتي تضم أمهات الكتب الدينية واللغوية والصوفية في ذلك الوقت.

● ميوله الصوفية

ظهر لنا كما أوضحنا، أن الإمام أبا العزائم ﷺ نشأ في بيئة صوفية، إذ أن والده ﷺ، كان نائب السادة الشاذلية في إقليم ((دسوق)) وليس هذا فحسب، بل إنه كان يميل إلى زيارة الصالحين أحياء وأمواتاً في مختلف الجهات، حتى أنه أخذه ﷺ في عام واحد وعنده اثنى عشر سنة إلى رحلة الحج، فرافقه في هذه الرحلة، وبعد رجوعهما، أخذه في سياحة في ربوع البلاد للتعرف على الصالحين وزيارتهم، ويتضح لنا مدى ثقافة السيد عبد الله المحجوب ﷺ وسعة صدره في أنه رغم أنه من أخلص أتباع الطريقة الشاذلية لم يمنع ولده محمد من الأخذ على الطريقة الرفاعية، وتلقى أورادها وأحزابها من الشيخ غانم الخشاب، عكس ما كان متبعاً في ذلك العصر من تعصب المتصوفة لمشايخهم، وتمسكهم بهم، حتى ولو كانوا على غير ما يتطلبه هذا المقام العالي من شروط وأحوال.

ويظهر أن الذي دفع السيد عبد الله إلى اهتمامه بتغذية الميول الصوفية عند ولده محمد، ما توسمه فيه من الصلاح والهداية، وما رآه عليه من أحوال تنم على شدة التعلق بالطريق وأهله حتى أنه ﷺ حكى عن نفسه كما جاء في كتاب ((نيل الخيرات .. الطبعة الرابعة عشر ١٩٧٤ ميلادية صفحة ١٠٠)) فقال:

(بينما أنا نائم وأنا لم أشarf العشرة بعد، إذ رأيت رسول الله ﷺ وسيدنا علي كرم الله وجهه مؤتررين، وبين يدي رسول الله ﷺ عبد أسود اللون قبيح الخلقة، تميز غيظاً وحنقاً، فأخذه رسول الله ﷺ بن يديه، وقال لعلي: اضربه يا علي، فضربه سيدنا علي كرم الله وجهه بالسيف ثلاثاً، فلم يقطع رقبته، ثم التفت إلي وأنا بجواره ﷺ فقال: اعط السيف لمحمد، فأخذته منه وضربت هذا العبد ضربة كانت القاضية، فنحاه ﷺ، وركله برجله ثم انصرف).

قال الإمام ﷺ: فأصبحت أحدث أبي بهذه الرؤيا، فقال والذي متمثلاً قول سيدنا يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [ديوسف]. وأقبل أخي الأكبر أحمد فحدثته بها، فضرمني على مفرق يدي، فكسر ساق ذراعي، وناداني والذي أن أصحابه إلى المسجد حسب عادته، فوجد يدي مربوطة إلى عنقي فقال: ألم أقل لك من قبل لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين) ...^{١٠}

وقد فهم السيد عبد الله ﷺ من رؤيا ولده هذه، أن ولده سيكون له شأن في رفعة الإسلام، لأن العبد الأسود إشارة إلى الظلمات التي تنتشر في الكون، وتحجب العقول والأفئدة عن الاستضاءة بنور الإيمان والإسلام، وعجز سيدنا علي عن قتل العبد في الرؤيا واعطائه السيف للإمام أبي العزائم، يعني تسليمه راية الفتح الإلهي، والنور الرباني للإمام أبي العزائم في هذا العصر المظلم.

وإلى جانب هذه الرؤيا وغيرها، فقد ظهرت على مخايل الإمام ﷺ، علامات صدق الإرادة في طريق الله ﷺ، فكما يحكي عن نفسه ﷺ فيقول:

(كنت كلما سمعت عن رجل صالح ذهب إليه لزيارته، وكلما رأيت مجذوباً أو صاحب حال تقربت إليه، وكنت أحب سماع سيرة السلف الصالح، وقصص الصالحين، وداومت على قراءة كتاب ((روض الرياحين في مناقب الصالحين للإمام

^{١٠} نيل الخيرات - الطبعة الرابعة عشر ص (١٠٠ - ١٠١).

اليافعي رحمه الله حتى أنني من كثرة تردادده حفظته عن ظهر قلب) ...^{١١}

ثانياً: دراسته في القاهرة

تمهيد

انتقل السيد أحمد ماضي بن السيد عبد الله المحجوب الأكبر إلى القاهرة لإتمام دراسته هناك، وترك أخاه محمد لرعاية والده ومعاونته في أمور معيشته لكبر سنه، وهناك لمع نجمه، فأسس مع الشيخ علي يوسف مجلة الآداب عام (١٨٨٣) ميلادية، وهي مجلة أدبية تاريخية شهرية تصدر في كل شهر مرة، ولما وجد أنها لا تفي بتطلعاتهما، أنشأ سوياً جريدة المؤيد عام (١٨٨٩) ميلادية وهي صحيفة يومية كانت تعالج أحوال المجتمع في هذا الوقت، وتدعو إلى اليقظة الفكرية والسياسية في وجه الاستعمار وسياساته التوسعية، وظل الحال كذلك حتى توفيت السيدة آمنة المهدية، فحزن الجميع لفقدانها، وإزاء ذلك، أصر أحمد على أن ينقل الأسرة كلها معه إلى القاهرة، وكان الإمام أبو العزائم في السادسة عشرة من عمره في ذلك الوقت.

في الأزهر الشريف

بعد الانتقال إلى القاهرة، تعرف الإمام أبو العزائم على كثير من الشخصيات البارزة، التي كانت تجلس في مقر صحيفة المؤيد لتناقش قضايا الساعة، وارتاح بصفة خاصة إلى الشيخ حسن الطويل، أستاذ التوحيد بالأزهر، فكان يرافقه في سيره، ويزوره في بيته، ويجلس معه الساعات الطوال يتناقشان في مختلف القضايا الدينية، وقد أشار الشيخ حسن الطويل، على السيد أحمد ماضي أن يلحق أخيه محمد

^{١١} مقدمة كتاب أصول الوصول للإمام أبي العزائم طبعة ١٩١٢م.

بالأزهر، ليتزود من علومه الدينية المختلفة، فوافق على ذلك، ودخل الإمام أبو العزائم الأزهر لأول مرة في السابعة عشرة من عمره، وأقبل على العلم بعزيمة لا تعرف الكلل، حتى أنه كان يحصل ما يحتاج إلى سنوات طويلة في أيام قليلة.

● في دار العلوم

وفي تلك الآونة، أنشأ السيد علي مبارك مدرسة دار العلوم، لحاجة وزارة المعارف إلى مدرسين أكفاء، ونوع المناهج بها حتى تخرج المدرس الصالح في نظره للقيام بتربية النشئ، حيث أنه كان يرى أن العملية التعليمية كلها تتوقف على استعداد وكفاءة المدرس.

فأشار السيد أحمد ماضي على أخيه محمد أن يتقدم لمدرسة دار العلوم، وأن يستعد للامتحان الذي يجري للمتقدمين لاختيار المقبولين في هذه المدرسة، ولم يكن بقي على زمن الامتحان سوى خمسة عشر يوماً، ولكن الإمام رحمه الله واصل الاستذكار ليلاً ونهاراً، حتى استوعب المواد المقررة للامتحان، ودخل الاختبار، واجتازه بمهارة كبيرة حازت إعجاب جميع الممتحنين.

وقد تخرج رحمه الله في أول دفعة من دار العلوم وانخرط في سلك التدريس في وزارة المعارف، حيث عين مدرساً بمديرية المنيا عام (١٣١١) هجرية الموافق عام (١٨٨٢) ميلادية.

هذا وقد حرص الإمام رحمه الله أيضاً على تنمية ميوله الصوفية أكثر وأكثر، خاصة وأن مدينة القاهرة تعج بالكثير من أولياء الله الصالحين أحياء وأمواتاً، فكان يتردد على مزارات آل البيت الكرام، وأولياء الله الصالحين.

كما كان يزور كل من يسمع عن صلاحه وتقواه من الأحياء الموجودين، وقد أستاذنس بصفة خاصة بالشيخ حسنين الحصافي صاحب الطريقة الحصافية الشاذلية، ولازمه في معظم أوقاته، وأخذ عنه الطريق، وتلقى منه الأوراد والأحزاب والأدعية

والاستغاثات.

الفصل الثالث

الدعوة إلى الله

في الدنيا



برء وعدوته



قصة الشيخ الصبيحى



الفصل الثالث: الدعوة إلى الله

في الدنيا

بعد أن عين الإمام أبو العزائم مدرساً في مديرية المنيا، شاءت إرادة الله أن يتوفى السيد أحمد ماضي، الأخ الأكبر رغم صغر سنه، بعد أن بزغ نجمه في عالم الصحافة، حتى سمي (شيخ الصحافة الإسلامية).

فانتقل الإمام بالأسرة كلها، واستقر بهم في بلدة المطاهرة جنوب المنيا.

وفي ذلك الوقت تلقى الأمر من سيدنا رسول الله ﷺ بالدعوة إلى الله ﷻ.

ف رأى في ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الأول (أي ليلة ميلاد رسول الله ﷺ)، رأى رسول الله ﷺ وشرح له في تلك الرؤيا كثيراً من معاني الآيات القرآنية.

ولقنه صيغ في الصلاة على حضرته ﷺ سماها (الفتوحات الربانية والمنح النبوية في الصلاة على خير البرية).

ثم لقنه دعاء الغوث (غوث العصر)، وأمره أن يدعو به، وأن يلقيه لجميع المسلمين، وهو :

{ اللهم باسمك العظيم الأعظم، وبجاه المصطفى ﷺ، وبسر أسمائك الحسنى ما علمنا منها وما لم نعلم، أن تعجل بالانتقام ممن ظلم، وأن تهلك الكافرين بالكافرين، وتوقع الظالمين في الظالمين، وتخرج المسلمين من بينهم

مسالمين غانمين آمين يا رب العالمين {

برء وعوته



فبدأ ﷺ منذ ذلك الحين تبليغ رسالة الله، ودعوة الخلق إلى الله.

كيف كان ذلك ؟

كان ﷺ يقضي معظم وقته مع الخلق، يقرأ عليهم دروساً في مذهب الإمام مالك ﷺ بالمسجد، ويتكلم معهم في الأخلاق والتوحيد وغيرها بعد ذلك.

فإذا كان يوم الخميس من كل أسبوع، أخذ زاده معه وذهب إلى إحدى القرى أو المدن المجاورة، فيؤم بيت الله، ويجلس مع المصلين يحدثهم بما يفتح الله عليه من العلوم والمعارف الإلهية في شرح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، حتى إذا آنس منهم الرغبة في العودة إلى منازلهم، صرفهم بلطف ...

ويصرُّ أن يبيت بالمسجد، فيحي ليله بذكر الله، حتى إذا اقترب الفجر، قام فتوضأ وصلى ما تيسر له، ثم يصعد إلى مأذنة المسجد، فيردد بصوته الندي ما يلهمه الله ﷻ به، من المواجيد الروحانية والقصائد الصوفية، حتى يحين موعد الآذان، فيؤذن للفجر ويصلي بالناس جماعة، ثم يعتكف في بيت الله حتى صلاة الجمعة فيؤدي الخطبة، وينصرف إلى منزله بالمطاهرة.

فكان لهذا الحال دوى كبير وأثر عظيم في نفوس الناس حتى أن دعوته ﷺ وصلت إلى كل مدن الصعيد، من الجيزة حتى أسوان في وقت قصير جداً، وما ذلك إلا لصدق إرادته وصفاء يقينه، ومدى إخلاصه وفناءه ب كله في دعوة الله ﷻ .

ومما يدل على ذلك أنه ﷺ وأرضاه، كان سائراً مع بعض رفاقه بالقرب من سمالوط بمحافظة المنيا، وأدركتهم العشاء بالقرب من الدير الشهير هناك، فأمر أحد أصحابه أن يؤذن، وأمر الباقيين بتجهيز المكان والتجهز لأداء الصلاة.

وأثناء قيامهم بأداء الصلاة، أحس الرهبان بدافع غريب يدفعهم إلى الخروج لمشاهدة هذا الشيخ المسلم ورفاقه، وبعد انتهاء الصلاة أخذ ﷺ يشرح بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن سيدنا عيسى والسيدة مريم، فما كان منهم إلا أن أخذوا يقتربون رويداً رويداً وهم لا يشعرون، حتى انضموا إلى الحلقة المحيطة بالشيخ ... وظل هذا المجلس لساعات !!! حتى عرضوا عليه استضافته في الدير، فدخل وقضى معهم الليلة حتى مطلع الفجر، وانتهت تلك الليلة المباركة بإسلامهم جميعاً، وتغيير أسمائهم إلى أسماء إسلامية سماها ﷺ، وسمى كبيرهم: الجنيد.. وقد قال في ذلك ﷺ معبراً عما حدث له تلك الليلة:

وآنسني إلى الفجر	حببي قد شرح صدري
من الإحسان والبر	وأطلعني على معنى
مقام القرب والسير	ورقاني إلى أعلى
لدى نظرى الى الزهر	سمعت حنين رهبان
تمنوا يقتفوا أثري	وعند شهودهم حسني
أتاك الوصل بالبشر	وناداني الإمام هيا
فإني قد صدر أمري	فقم للدير يا ماضي
ومل عندي عن الغير	تملأ بي وشاهديني
بحسني حيث لا يدري	وأنبأ من يرد قربي

قصة الشيخ الصبيحي

ثم انتقل ﷺ إلى بلدة الإبراهيمية بمحافظة الشرقية، وكأنما كان النقل لأمر يريدنا الله، وأحوال يريد أن يبينها ويظهرها ﷺ.. فقد تعرف ﷺ هناك على أول رجل أكمل الإمام تربيته، وشهد له ببلوغه مقام الرجال في هذه البلدة، وهو الشيخ الصبيحي ﷺ، وكان الشيخ الصبيحي عالماً من علماء الأزهر، إلا أنه رفض الوظائف الحكومية، وأثر أن يشتغل بالأعمال الحرة، ففتح دكاناً يبيع فيه البضائع المختلفة،

وكان ﷺ مشغولاً بعلوم الكيمياء، وما يدعى بعض المتحليين إلى هذا العلم، من تحويل المعادن إلى ذهب.

وقد حضر الشيخ الصيحي درساً للإمام ﷺ بالمسجد الكبير بالبلدة، وكان الإمام قد ألمح أثناء هذا الدرس إلى علم الكيمياء، وصناعتها، ودور جابر ابن حيان فيها، وكيف أن الأصول التي استنبطها جابر خفيت على من بعده، فلم يتمكنوا من تطبيق قواعده وقوانينه !!

ففهم الشيخ الصيحي من ذلك، أن الإمام يعرف أسرار الكيمياء التي اخترعها جابر، وبالتالي يعرف تحويل المعادن إلى ذهب، فطلب منه بعد الصلاة أن يتلقى على يديه هذا العلم، وأظهر الإمام الموافقة، ولازمه مدة، والشيخ يريد أن يخرج من هذا الوهم، بالحكمة الروحانية، ولكنه كان مصراً على ما أراد، حتى حدث له ما ثنى عزمه عن ذلك !! دخل الشيخ الصيحي دكانه ... فوجد كل أصناف البضاعة في نظره ذهباً خالصاً !!! ، وكلما جاءه مشتري، والمشتري بالطبع يرى الصنف على حالته الطبيعية، فيقول له: اعطني كذا؟ فيذهب الشيخ الصيحي إلى الصنف فيجده ذهباً. فيقول له: هذا الصنف غير موجود !!، والمشتري يراه !! فيقول له: هذا الصنف موجود ... وهو هذا! وقد ذهبت إليه! فيقول: لا أبيع لك. !!! ولا زال مستمراً على هذا الحال حتى وصفه الناس بالجنون.

وإذا بالإمام أبي العزائم يأتي إليه ويرده إلى حالته، ويشرح له كيمياء الصالحين ويقول له: { يا بني! إن كيميائنا هي تقوى الله ﷻ، ومراقبته } ، ولا زال به حتى وصل إلى حال كمل الأولياء في الصدق والصفاء والطهر والنقاء ﷺ.

ثم حدث أن سرحت وزارة المعارف بإعاز من الإنجليز عدداً كبيراً من المدرسين بحجة ضغط المصروفات الحكومية، فرجع ﷺ إلى المنيا، وكتب طالباً إعادة تعيينه، فاستجابت الوزارة، وعين بالمنيا ... واستقر بها بعض الوقت .. ثم انتقل إلى أسوان وادفو، وفي تلك الأثناء، طلبت حكومة السودان تعيين مدرسين بها، فتقدم ﷺ واختارته اللجنة الخاصة بذلك ... وعين مدرساً بحكومة السودان في بلدة ((سواكن)) بشرق السودان.



الفصل الرابع

جهادوه في السوران

في سواكن



التبشير بالإسلام



في وادي حلفا



العودة إلى سواكن



الفصل الرابع: جهاده في السودان في سواكن

ذهب ﷺ إلى سواكن، وكل همه الدعوة إلى الله ﷻ فكان يقضي وقته متنقلاً بين المساجد يقرأ على الناس، صحيح البخاري ويشرح أحاديثه، ويشرح لهم أيضاً قسم العبادات من الموطأ للإمام مالك.

وفي بحثه عن الصالحين، تعرف على الشيخ عبد الرحيم السواكني، وكان من أجل مشايخ الطرق الصوفية في السودان، وله أتباع كثيرون منتشرون في كل أرجاء السودان، وكان يسكن بجزيرة في النيل بالقرب من سواكن.

ويضرب الإمام لنا مثلاً نادراً في التفاني عن النفس في الدعوة إلى الله ﷻ، فقد ظل يتقرب من هذا الرجل، حتى صيره خادماً لذاتي، يناوله وضوءه، ويقضي له حاجاته الخاصة، وهو في كل ذلك لا يظهر أي شئ من مكنون ما خصه الله ﷻ به، حتى وثق به الشيخ عبد الرحيم، وثوقاً بليغاً.

ولما آن الأوان لكشف الغطاء وانبلاج الحق، وكان ذلك في ليلة المولد النبوي، وكان الشيخ عبد الرحيم يقيم حفلاً ضخماً بهذه المناسبة، يحضره المريدون بل وجميع الطرق الصوفية من شتى أنحاء السودان، ويجلس هو على كرسي عال خاص به، وله ثياب مزركشة بكل أصناف الزينة، لا يلبسها إلا في تلك المناسبة.

فتقدم منه الإمام أبو العزائم ﷺ، وطلب منه أن يلقي كلمة في تلك المناسبة، فوافق على الفور لا عزازه له، وتقديره له، لحسن أدبه في خدمته، وما أن تكلم الإمام أبو العزائم وتغنّى ببعض مواجيده، حتى فوجئ جميع الحاضرين بالشيخ عبد الرحيم

يخلع ملابسه، ويصرخ بأعلى صوته ويقول: أنت الذي أبحث عنك عمري كله، وتوضني ولا أعرف...!! يا ويح عبد الرحيم!!، وينوح على نفسه!!

ثم رزقه الله الصدق والنورانية أثر خروجه عن جاهه وكبريائه وإخلاصه في متابعة الإمام أبي العزائم، حتى أنه أصابه حياء عظيم، جعله يجلس دائماً خارج المكان الذي يجلس فيه الإمام أبو العزائم، وإذا واجهه ينكس رأسه في الأرض، وعندما سئل عن ذلك قال: لا أستطيع أن أثبت بصري في وجه مولانا ﷺ.

وبلغ به الحب لأبي العزائم حتى قال في ذلك:

وإذا الجبال ترحزت عن أرضها عن حبنا في الله لا نتحول
وحى السماء منزل بيوتنا وحقائق الآيات عنا تنقل
وإذا تجلى بالجمال حبينا في الأوليا فلنا الطراز الأول
قل للحسود اخساً فإنك جاهل بجنابنا يتوسل المتوسل

التبشير بالإسلام



وقد أثر ﷺ سواكن على سواها من بلاد السودان، لقربها من المنطقة التي تنتشر فيها الوثنية، فكان أول من عمل على نشر الإسلام في هذه المنطقة في العصر الحديث، ليثبت للعالم كله أن الإسلام لم ينتشر في كل أنحاء القارة الأفريقية إلا بجهود المخلصين من أتباع الطرق الصوفية، وليكذب دعوى الذين يهتمون الصوفية بالسلبية والانعزالية، والفضل ما شهدت به الأعداء... فهذا أرنولد يقول في كتابه الدعوة إلى الإسلام:

(وفي غرب أفريقيا كانت هناك طائفتان قائمتان بصفة خاصة على نشر الإسلام: هما: القادرية والتيجانية) ...^{١٢} ويتحدث أيضاً عن أثر الطريقة الإدريسية

^{١٢} الدعوة إلى الإسلام أرنولد ص ٣٦٥.

والميرغانية فيقول عند حديثه عن الحركات التي عملت على نشر الإسلام في إفريقيا: (ومن أسبق تلك الحركات، حركة يعزى قيامها إلى السيد أحمد بن إدريس، وقد أرسل قبل موته عام ١٨٣٥ ميلادية أحد أتباعه ويدعى محمد عثمان الأميرغني في رحلة إلى إفريقيا لنشر تعاليم الإسلام) ...^{١٣}

وهكذا السنوسية وغيرها من الطرق الصوفية الأخرى التي عملت على نشر الإسلام ابتغاء رضوان الله ﷻ.

وقد قام لب دعوته ﷺ في هذا القسم الجنوبي على أمرين:

- أولهما: احتياج هذه المنطقة إلى الملح، حيث أنه لا يتوافر بها.
- ثانياً: رغبة أهلها في تعدد الزوجات، وهذا لا يتنافى مع الإسلام وإن كان يتعارض مع الأديان الأخرى.

فكلف أتباعه المخلصين بجلب الملح والذهاب به إلى الجنوب على هيئة تجّار وفي أثناء ذلك، يتبادلون الحديث مع السكان، ويعرضون عليهم بلطف ولين مبادئ الإسلام السمحة، ووعدهم على ذلك غنى الدنيا وسعادة الآخرة.

وقد كان لما قام به ﷺ وأتباعه، أثر كبير في دخول سكان الجنوب الإسلام، حتى دعر الإنجليز من هذا الأمر، خاصة أن المبشرين الذين جاءوا بهم ومعهم كل الامكانيات المادية، عجزوا أمام فقراء آل العزائم الصادقين، فما كان منهم إلا أن قاموا بنقله إلى وادي حلفا.

❁ في وادي حلفا

وفي وادي حلفا، وجد الإمام ﷺ الناس هناك مشغولين بالملاهي والخمر، ويقضون جل وقتهم في هذه الأشياء، ولا ينتبهون من شدة غيهم، وفساد أحوالهم، لشأن الشريعة وأحكامها فبدأ ﷺ، يدعوهم إلى الله ﷻ، بطريقة حيرت النهى، ضرب

^{١٣} نفس المرجع السابق ص ٣٦٤.

بها المثل الأعظم للداعي الصادق في كيفية جذب العصاة والنافرين إلى الله ﷻ.

حتى أنه ﷺ كان يدخل الحانات والخمارات ليدعو أهلها إلى التوبة والإقبال على الله، لأنه لا يتيسر له أن يجالس أمثال هؤلاء إلا في المواطن والمجالس التي يرتعون فيها، ومن بين الوقائع الكثيرة له ﷺ في هذا المجال، نذكر أنفسنا بهذه الواقعة:

فقد دخل ﷺ الحانة ذات يوم، واتجه إلى منضدة يجلس عليها كامل أفندي مدير عام السكة الحديد في السودان، في ذلك الوقت، وكان يتردد يومياً على الحانة ويقضي معظم وقته فيها !!!

وعندما أخذته المفاجأة بجلوس الإمام معه على المنضدة، طلب الخمار، وطلب منه أن يحضر للشيخ قدحاً من القهوة، وإذا به يفاجأ بالشيخ يقول له:

لا، ولكن أحضر لي زجاجة خمر وطبق من الكبد الطري !!

فتعجباً معاً، وأمام إصرار الشيخ ﷺ، أحضر ما طلب، فوضع ﷺ جرعة من الخمر على الكبد الطري، فإذا به يتفحم ويتحول إلى اللون الأسود، فتعجب كامل أفندي من هذا المنظر الذي لم يخطر بباله قط، فقال له ﷺ:

هذا ما يفعله الخمر بكبدك وأنت لا تشعر !!

وواصل الحديث شارحاً له مفاصد الخمر ومضارها، حتى أعلن توبته، وذهب به إلى المسجد وصار من كبار أحبابه ومريديه.

وهكذا ظل ﷺ يتردد على الحانات حتى عرفه أصحابها، فبمجرد دخوله، يقدمون له قدح القهوة ويتجاذب الحديث مع الرواد، فيصلح في كل يوم نفراً منهم على الله ﷻ، ويوجههم إلى طاعته وحسن العمل بشريعته.

وفي أثناء ذلك، كان يتردد إلى أماكن السماع واللغو أيضاً ومعه نفر من أخوانه، يغنون الأناشيد الدينية والمواجيد الروحانية، التي تعلمهم أحكام الإسلام وآدابه، وتولي ﷺ شرحها، حتى هام بها أهل البلد جميعاً، فصاروا يتغنون بها في غدوهم ورواحهم ومنازلهم وأماكن أعمالهم، ثم أقبل بهم بعد ذلك على أحكام

الشريعة الإسلامية وعلومها شرحاً وتفصيلاً، حتى شرح الله صدورهم للإقبال على أركان الإسلام والعمل بها.

العودة إلى سواكن

وفي تلك الأثناء قام شيوخ القبائل في سواكن بشكاوي متعددة للإدارة الحكومية مطالبين بعودته ﷺ، فما كان من الإدارة إلا أن وافقت على مضض، فرجع ﷺ إلى سواكن.

وقد كان ظهر في ذلك الوقت دعوة الماسونية، وهي حركة يهودية تمهد لقيام دولة يهودية في فلسطين، فأخذ ﷺ يتحدث عن أهداف هذه الحركة ومبادئها، ونواياها الخفية التي لا تظهرها في الاجتماعات العلنية، وذلك أثناء شرحه وتفسيره للآيات القرآنية التي تتحدث عن بني إسرائيل.

وقد حدث أنه أشار ذات مرة إلى مرجع ظهر سراً في الولايات المتحدة الأمريكية عام (١٩٠٦) ميلادية، وهو: **دائرة المعارف الماسونية** ونقل منها ﷺ ما يلي نصه : (أن يكون كل محفل ماسوني رمزاً لهيكل، وأن يكون كل أستاذ على كرسيه ممثلاً لملك اليهود، وأن يكون كل ماسوني تجسيدا للعامل اليهودي)

فتعجب حاكم سواكن السير جرانفيل، وطالبه بالمرجع الذي أشار إليه، فأشار الإمام بيده إلى صدره قائلاً: هذا هو المرجع !

فتعجب الحاضرون، وزاد عجبهم عندما قال لهم:

أنه ليس لديه نسخة من دائرة المعارف، وأن منزله تحت أمرهم ليتأكدوا من ذلك وقال: أن المؤمن يرى بنور الله ﷻ لأن الله هو المؤمن، ثم قال للحاكم الإنجليزي: أهذا المطبوع موجود أم لا؟ فأجاب الحاكم بالإيجاب. فقال: فقيم إذاً الإستجواب؟ .. إنني أتكلم معكم بما تقولون عن أنفسكم^{١٤}

^{١٤} الإمام أبو العزائم لعبد المنعم شقرف ص ١٥١.

الفصل الخامس

الجهاد المقدس

تمهيد

جهاد الإنجليز في السودان

أثره في أهل السودان

جهاد الإنجليز في مصر

جهاد الإسلامي

أوضاع المجت مع الإسلام

وعلاجهما

وسائل تحقيق المجر الإسلامي

الفصل الخامس: الجهاد المقدس

تمهيد

يجدد الإمام رحمه الله في هذا الفصل كما سنرى، أحوال الصوفية الصادقين، وتنفيذهم الحق قول رسول الله ﷺ: { أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ } ١٥ والحق أن تاريخ الصوفية العظام يسجل لهم أنصع الصفحات في الجهاد في سبيل الله، والمجاهدة للظلمة من الحكام، وحث العامة على عدم الرضا بالواقع المر، لأن شعارهم قول الله ﷻ في [١١ الرعد]:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾

فها هو الإمام الغزالي رحمه الله عندما توالى الهزائم على المسلمين في الأندلس، يكتب إلى ابن تشفين ملك المغرب يستنهضه ويقول له في عنف المؤمن الذي لا يعرف في الحق لومة لائم: ((إما أن تحمل سيفك في سبيل الله، وإما أن تعتزل إمارة المسلمين حتى ينهض بحقهم سواك))، وهذا محي الدين بن عربي رحمه الله، عندما تهاون الملك الكامل في قتال الصليبيين قال له: ((إنك دنى الهمة، والإسلام لن يعترف بأمثالك، فانهض للقتال، أو نقاتلك كما نقاتلهم))^{١٦}، وهذا الإمام أبو الحسن الشاذلي رغم فقد بصره، يذهب هو وأتباعه مع قافلة النور، تضم رجالات من أعظم الرجال في العلم والدين، العز بن عبد السلام، مجد الدين القشيري، محي الدين بن سراقه، مجد الدين الأحميمي، الفقيه الكامل بن القاضي صدر الدين، الفقيه عبد الحكم بن أبي الحوافر، إلى المنصورة في ميدان القتال، ليحثوا الجند على الجهاد، ويعملوا على رفع روحهم المعنوية، حتى تم لهم النصر، ووقع لويس التاسع أسيراً في

^{١٥} رواه البيهقي في (الشُّعَب) من حديث أبي أمامة و أبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري.

^{١٦} الطرق الصوفية في مصر د. عامر النجار ص ١٤.

دار ابن لقمان، بل أن أعظم دولة في بلاد المغرب العربي في عصره الزاهر، وهي دولة الموحدين، أسسها ابن تومرت الداعية الصوفي، وبلغ بها غاية مجدها تلميذه عبد المؤمن.

((ولم يقتصر دور الصوفية على جهاد أعداء الإسلام، بل أنهم قادوا الثورات ضد الحكام الظالمين، فها هو الصوفي الكبير الإمام الدردير يقود الثورة الوطنية على الأمراء المماليك التي اشتعل لهيها في عام ١٢٠٠ هجرية عام ١٧٨٦ ميلادية، والتي أعلنت فيها لأول مرة حقوق الإنسان، قبل الثورة الفرنسية بثلاث سنوات، وكان من نتائج هذه الثورة المباركة، اعتراف المماليك بأن الأمة مصدر السلطات، وبعدم فرض ضرائب جديدة إلا برأي الشعب، واعترافهم الكامل بحرية الأمة وكرامتها))^{١٧}

والأمثلة في هذا المجال كثيرة وكثيرة، ويكفي أن نسجل هنا شهادة لأحد الأعلام المنصفة في هذا المجال حيث يقول ((يسجل التاريخ لبعض الصوفية المسلمين، مواقف لا تنقصها الشجاعة إزاء نصيح الحاكم ورده عن ظلمه في عزة مدهشة، قل أن توجد، في مثل هذا العصر، وقد كان اتصال أغلب المتصوفة بالقاعدة الشعبية أوثق منه بالقمة، فكانوا أعرف الناس بآلام الناس، وأدى بعضهم دوره الإشتراكي الإنساني في مجال المواساة والإسعاف والإنصاف والإرشاد، ولم يحجم إلا المتصوف ذو المزاج المريض))....^{١٨}

● جهاده الإنجليز في السودان

انتقل الإمام رحمه الله إلى أم درمان، فواصل رسالته، وشرح حكم ابن عطاء الله السكندري، والموطأ للإمام مالك، بمساجدها ثم حدث أن طلبت جامعة غوردون بالخرطوم أستاذاً للشريعة بها فتقدم رحمه الله، وشغل هذا المنصب.

وبدأ منذ تلك اللحظة الجهاد على أشده مع الإنجليز، حيث أخذ يشرح

^{١٧} مكانة التصوف محمد عبد الشافي (ص ١٦٧).

^{١٨} التصوف طريقاً ومذهباً د. كمال جعفر ص ٣٣.

للناس بالمساجد صحيح البخاري والموطأ، ويحدثهم في التوحيد والأخلاق، وفي نفس الوقت يشرح لخاصة طلابه في الجامعة وفي مقدمتهم الزعيم الوطني السوداني علي عبد اللطيف مساوي الاستعمار، ويطلبهم بالعمل المنظم للقضاء عليه وإجلاله عن البلاد.

وأحسن ﷺ بروحه الشفافة وبصيرته النافذة بأن هناك اتصالات تجري بين الشريف حسين في مكة والحاكم الإنجليزي في مصر (مكماهون) فأعلن أنه ذاهب إلى مكة لأداء العمرة، وإن كان هدفه الحقيقي هو مقابلة الشريف حسين، وفعلاً استطاع مقابلته، وطلب منه أن يكلمه على انفراد، وأخذ ينصحه، وعرفه بالمراسلات التي تمت بينه وبين الإنجليز، وما دار فيها رغم أن أحداً لم يكن يدري بها بعد، وطلب منه في نهاية اللقاء أن يتخلى عن الإنجليز، ويساند إخوانه المسلمين وألا يذكر لأحد شيئاً مما دار في هذا اللقاء.

ولكن الشريف حسين أخبر الإنجليز بما دار بينه وبين الإمام أبي العزائم، فأحسوا بالخطر نحوه، وبدأوا في محاولة استقطابه ﷺ لجانبهم، لكنه رفض كل ذلك، فطلبه الحاكم العام الإنجليزي في السودان - ريجنالد وينجت - وطلب منه أن يكتب ميثاقاً للناس مساوياً للخلافة الإسلامية في تركيا، وما يرغبهم في التعاون مع الإنجليز باعتبارهم يعملون لتقدم البلاد ورفاهيتها، فقال له الإمام أبو العزائم ﷺ: أتكتب ضد الإنجليز؟ قال: كيف هذا وأنا رجل مُتَعَلِّم؟ قال ﷺ: إذا كيف تطلب مني أن أكتب ضد وطني وأنا مُعَلِّم؟

ولم يئأس الحاكم الإنجليزي من رد الإمام أبي العزائم فتركه ينصرف ثم دبر مكيدة أخرى، فأقام حفلاً بنادي الضباط بالخرطوم، دعا إليه الإمام أبا العزائم وكبار الشخصيات الإسلامية والإنجليزية بحجة التعارف بين المسلمين والإنجليز، ولكنه ﷺ رفض حضور هذا الحفل، وعندما سئل عن سبب رفضه قال: سأجيئكم في المسجد الجامع، وذهب إلى المسجد الكبير بالخرطوم، وكان غاصاً بالمصلين، وقرأ عليهم بصوته الندي قول الله ﷻ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ

أثره في أهل السودان

[illegible]

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا هم السلاطين والسادات والأمرا

وقد افتن الناس به في الخرطوم بالذات، نظراً للعلوم الوهبية التي أفاضها الله ﷻ عليه، حتى أنه ﷺ كان يتحدث ذات مرة في المسجد الكبير بالخرطوم، فانبهر الحاضرون، حتى قاطعه أحدهم قائلاً: كلام من هذا يا مولانا؟ هل هو كلام سيدي عبد القادر الجيلاني؟ فأشار بيده إليه وقال: انتظر يا بني، ثم واصل الحديث وأتى ببيان أعجب مما تقدم، فلم يتمالك الرجل نفسه، وقال: كلام من هذا يا مولانا؟ هل هو كلام سيدي محي الدين بن عربي؟ فقال: انتظر يا بني، ثم واصل الحديث، وعلا بالعبارة حتى أسكر الحاضرين، فما كان من الرجل إلا أن وقف منبراً وقال: كلام من هذا يا مولانا؟ هل هو كلام سيدي أبي الحسن الشاذلي؟ فقال ﷺ سائلاً له: يا بني، من الذي أعطى الشيخ عبد القادر الجيلاني؟ قال: الله قال: ومن الذي أعطى سيدي محي الدين بن عربي؟ قال: الله، قال: ومن الذي أعطى سيدي أبي الحسن الشاذلي؟ قال: الله، قال ﷺ: الذي أعطى الجيلاني والذي أعطى ابن العربي والذي أعطى الشاذلي هو الذي أعطاني))، ففهم الحاضرون أن عطاء الله لأحبابه وأوليائه لا ينقطع ما دامت السموات والأرض، لأن خزائنه ﷻ لا تفتنى ولا تبيد، وإنما ينزل منها على أحبابه وأوليائه بقدر ما يناسب عصورهم وأزمانهم، وحاجة أهل تلك الأزمان والعصور: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [١٧٤آل عمران].

وهكذا ربي ﷺ بالسودان رجالاً جاهدوا في الله حق جهاده، عرفوا أنفسهم فعرفهم الله بصفاته العلية، وأطلعهم ﷻ على أنواره القدسية، وأفاض عليهم من علومه الوهبية، وأسراره الحكمية، ما تعجز عنه العبارة، ولا تفي به الإشارة.

● جهاده للإنجليز في مصر

وبعد أن أقاله الإنجليز من عمله في السودان، أصدروا قراراً بعدم اشتغاله في الأعمال الحكومية، وقرروا تحديد إقامته بمديرية المنيا.

فأخذ ﷺ ينتقل في ربوع تلك المحافظة، ناشراً لدعوته الدينية، وعاملاً على تربية أحبابه على المثل الإيمانية والأخلاق الإسلامية، حيث أن الدعوة الصوفية عند

الإمام أبي العزائم ؒ، تتركز في إعداد الأفراد دينياً وسلوكياً وخلقياً لحمل الأمانات التي من أجلها أختار الله ﷻ الإنسان لعمارة الكون، ويعتبر ﷻ بناء الإنسان هو حجر الزاوية في أي نهضة أو تقدم لأي مجتمع من المجتمعات.

وكان ﷻ يذكر إخوانه دائماً بالحوار الرائع الذي دار بين سيدنا عمر وأصحابه، عندما دخلوا بيت مال المسلمين بعد أن وزع سيدنا عمر كل ما فيه على المسلمين، وطلب من الخازن أن يكنسه ويرشه بالماء، ثم دخل فصلى فيه ركعتين، وقال لأصحابه: تمنوا!، فقال بعضهم: أتمنى أن يمتلئ بيت المال ذهباً وفضة ننفقها على الجهاد والمجاهدين في سبيل الله، وقال آخر: أتمنى أن يمتلئ سلاحاً وعتاداً يجهز به المجاهدين في إعلاء كلمة الله، وقال آخر: أتمنى أن يمتلئ طعاماً وكساء يوزع على فقراء المسلمين حتى لا يبقى بينهم فقير أو محتاج، ثم تنبه رجل منهم وقال: وما تتمنى أنت يا أمير المؤمنين؟ فقال ﷻ:

{ أتمنى أن يمتلئ رجالاً مثل المقداد ! وسلمان ! وبلال ! وصهيب ! }

فالصوفية في جوهرها كما جلاها ووضحها الإمام أبو العزائم هي بناء الفرد على السلوك الحميد والصفات النبيلة والأخلاق الفاضلة والمعاملات الحسنة حتى يكون نموذجاً يحتذى به في نشر كمالات هذا الدين لكل من تقع عينه عليه، وفي سبيل ذلك يكلف بالمجاهدات والرياضات الروحية والعبادات الدينية وغيرها من عوامل تهذيب الفرد وبناء سلوكه.

غير أنه في تلك الأثناء اتصل نفر من ذوي الجاه من أخوانه ومحبيه وهم محمود باشا سليمان وحمد باشا الباسل بالسلطات المعنية، وأفهموهم أن وجود الإمام أبي العزائم في القاهرة يسهل لهم مأمورية متابعته ومراقبة حركاته وسكناته، فسمحوا له بالانتقال إلى القاهرة، وهنا بدأ عهد جديد في الصراع بينه ﷻ وبين المستعمر.

حيث هياً له الله ﷻ منزلاً كبيراً في عطفة الفريق بشارع الخليج المصري (بورسعيد الآن)، وكان هذا المنزل يتكون من عدة منازل، بينها ميدان واسع، وله باب

كبير يسمح بدخول السيارات الضخمة المحملة بالبضائع إليه.

فأنشأ الإمام أبو العزائم مطبعة المدينة المنورة بداره، وأسس مجلة السعادة الأبدية ومجلة الفتح ومجلة المدينة المنورة، وأوكل إدارة المطبعة إلى ابنه السيد أحمد ماضي أبو العزائم، وأوكل رئاسة تحرير المجلات إلى ابنه السيد محمد الحسن ماضي أبو العزائم، وعن طريق هذه المجلات أخذ ينشر مقالاته التي تلهب حماسة الجماهير، وتؤلبهم على المستعمرين والمستبدين، وكان ذلك مما مهد لقيام ثورة (١٩١٩) م.

ولما شبت تلك الثورة، كان لأبي العزائم الدور الأكبر في إثارة الجماهير وتحريكهم للمطالبة برد الزعماء وهم سعد زغلول ورفاقه من المنفى، والمطالبة بالاستقلال والحكم الدستوري المستقل، وفي سبيل ذلك، سخر مطبعة المدينة المنورة لطباعة المنشورات السرية لزعماء الثورة، وكتب فضلاً عن مقالاته في الصحف اليومية والأسبوعية في تلك الآونة كتاب ((الجهاد)) ولما منعت السلطات إصداره، طبعه ووزعه سراً على المواطنين.

ثم لجأ إلى الأسلوب الرمزي، فكتب مسرحية ((محكمة الصلح الكبرى)) والتي يشير بها إلى مؤتمر الصلح الذي عقد بباريس، وصور فيه الحلفاء والمجتمعين بأنهم مجموعة من الوحوش المفترسة، والشعوب الضعيفة والمغلوبة على أمرها، بأنها هي الفريسة التي تتقاسمها تلك الوحوش.

وكان أبنائه لهم دور هام في توصيل الرسائل والمنشورات بين أرجاء البلاد طولاً وعرضاً، حتى أن الإنجليز أحسوا بذلك الخطر، فداهموا الإمام في داره فجأة، ويحكي الموقف نجله السيد أحمد ماضي أبي العزائم ﷺ فيقول: ((بينما أنا مهتم بتنجيز طبع ملحق السعادة الأبدية يوم الخميس ١١ ربيع أول ١٣٣٨ هـ المتضمن حكمة الآيات القرآنية التي أظهرها الله ﷻ في ليلة مولده ﷺ، وما تفضل الله به على العالم أجمع، وكلنا في عمل الاستعداد للاحتفال بليلة ذكرى سطوع أنوار تلك الشمس المحمدية بسراي سيدنا ومرشدنا حجة الإسلام محمد ماضي أبو العزائم، نفعلنا الله به، وكأننا لما نحن فيه من المسرات بالحبيب المحبوب ﷺ نشاهد أنواره

المحمدية ونتمثل النعم العظمى التي فاز بها المجتمع الإسلامي بيمين طالعه، وبعد صلاة الظهر مع السيد الوالد ﷺ، وسماع ما أحيا الأرواح من سيادته في شرح المقامات المحمدية، سارع كل منا إلى تجهيز معدات الاحتفال، وإذا بجيش جرار يقوده ضابط إنجليزي من الضباط العظام ومعه أركان حرب وغيرهم، والجيش مدجج بالسلاح، ثم هجموا على المنزل بعد أن أحاط بعضهم به من الخارج، وصاح الضابط بالنداء العسكري - في صفين - وأمر بالهجوم، فأسرعت فصيلة منهم إلى فوق الأسطح وأخرى على الأبواب وثالثة إلى الحجرات دون حياء وكأن الحرب قد أعلنت، وما شهدت أبصارنا هذا المظهر إلا وتذكرنا عناية الله بأوليائه ورحمته بهم، فاطمئنت قلوبنا، ولديها أقبل علينا الإمام ﷺ هاشأً باشأً مسروراً قائلاً: قولوا الحمد لله، وبعد أن فرغوا من التفتيش كما يحلو لهم، أخذوا الإمام معهم فأصر أولاده جميعاً على أن يكونوا معه وفي خدمته، ورضخ الضباط لهذا الطلب، وأودعونا جميعاً ثكنات قصر النيل))...^{١٩} وتدخل بعض ذوي النفوذ لدى السلطات، وصوروا لهم الأمر وخطورته بأن لزعماء الدين حرمة وحصانة يجب صيانتها، فأفرج عنه الإنجليز فوراً!

وعاد الإمام لنشاطه واتصالاته فألقى الإنجليز القبض عليه مرة أخرى في ١٧ رمضان من نفس العام ويوافق هذا العام عام (١٩١٩) ميلادية، وفي هذه المرة، دخل قائدهم على الإمام شاهراً مسدسه، وطلب تفتيش الدار جميعها، بحثاً عن مكاتبات سرية بين أبي العزائم وبعض الزعماء المسلمين، وكان ﷺ يضع المكاتبات السرية في صندوق كبير بغرفة نومه، وكانت دهشة الجميع عندما جلس الإمام على الصندوق وقال للقائد: فتش كما تريد فليس عند الشيخ شئ يخفيه، وازدادت دهشتهم عندما خرجوا جميعاً من الغرفة دون أن ينتبهوا إلى أن أبا العزائم يجلس على الصندوق، ويجواره الكرسي الذي اعتاد الجلوس عليه، وأخذوهم إلى قصر النيل مرة أخرى، ولكن سرعان ما أفرجوا عنه.

^{١٩} مذكرات محمود أحمد ماضي أبي العزائم عن كتاب أبو العزائم لشقرف ص ١٨١.

جهاد الإسلام



ولم يكتف الإمام ﷺ بجهاد المستعمر في مصر والسودان فقط، بل أعلنها حرباً شعواء على المستعمر في كل بلد إسلامية، فاتصل بزعماء الإسلام في أنحاء العالم، وتبادل معهم الآراء والرسائل، وحشهم على النهوض بمسئولياتهم الجسام في مواجهة أعداء الله وأعداء الإسلام.

وكان أبرز من اتصل بهم الإمام في ذلك، جمعية العلماء بالهند وكبار الزعماء المسلمين هناك وعلى رأسهم محمد علي جناح، ومحمد إقبال، وشوكت علي، وكفاية الله وغيرهم، واتصل بزعماء أندونيسيا، وعلى رأسهم أحمد سوكارنو ورفاقه، واتصل بزعماء المسلمين المجاهدين في مراكش والجزائر وتونس وليبيا وفلسطين ويوغسلافيا وألبانيا وغيرها من البلاد الإسلامية، حتى كانت داره ﷺ معقلاً يلجأ إليه هؤلاء الزعماء عندما يضطرونهم المستعمر لمغادرة البلاد، وكان يفسح لهم صدور مجلاته، لينشروا فيها أفكارهم، ويعبروا فيها عن آرائهم.

وهو أول من حول مؤتمر الحج السنوي إلى مؤتمر عام، لبحث مشاكل المسلمين كما تهدف الشريعة السمحاء من جمع هذه الجموع المختلفة في مكان واحد، ووقت واحد، وقصة ذلك ترجع إلى قيام مصطفى كامل أتاترك بإلغاء الخلافة الإسلامية في تركيا في ٢ مارس عام (١٩٢٤) ميلادية، وإخراجه لآخر الخلفاء العثمانيين وهو (السلطان عبد المجيد خان)، ومنذ أن سمع الإمام ﷺ هذا الخبر، لم يهدأ له بال، ولم يرتاح له خاطر، حتى حدد يوم ٢٠ مارس عام (١٩٢٤) ميلادية لعمل مؤتمر للخلافة الإسلامية في داره، دعا إليه زعماء المسلمين في كافة أنحاء الأرض، وحضرته وفود من كافة هذه البلدان.

وبعد أن شرح لهم ﷺ أسباب إلغاء الخلافة، ووضح رأيه في أن شخص الخليفة لم يكن يمثل حقيقة هذا المنصب، الذي يعتبر بمثابة الرأس من الجسد الإسلامي، منذ أكثر من مائة عام، واعتبر هذا الأمر فرصة للمسلمين، ليعيدوا لهذا المنصب جلاله وقوته، وكون المجتمعين جماعة الخلافة الإسلامية في وادي النيل،

وأصدروا قراراتهم، وقد نشرت محاضر الاجتماعات والقرارات في الصحف اليومية في تلك الآونة.

وطلب أن يحج هذا العام للاتصال والتنسيق مع الزعماء المسلمين في موسم الحج، لكن السلطات المصرية منعتهم من السفر، لأن الإنجليز أوهموا الملك فؤاد بأنهم سينصبوه خليفة للمسلمين، وجعلوه لذلك ينشئ جماعة مأجورة وأعطاهم الصفة الرسمية، واعتبرها الممثل الشرعي للحكومة المصرية في مؤتمرات الخلافة الإسلامية.

وحاول الملك فؤاد استقطابه، فأرسل إليه رئيس الديوان الملكي يطلب منه أن يقابله في القصر الملكي، فرفض ﷺ هذا العرض، وقال كلمته الخالدة ((بلغه يا حسن أن قوماً فقدوا الإسلام في أنفسهم وأهليهم، لا يستطيعون أن يبلغوه ويعطوه لغيرهم))، حيث أنه ﷺ كان لا يؤيد ترشيح الملك فؤاد لهذا الأمر ويقول أنه ألعوبة في يد الإنجليز، كما كان أيضاً لا يوافق على ترشيح الشريف حسين، لتعاونه مع الإنجليز ضد إخوانه المسلمين في تركيا.

وحتى إنه عندما ذهب للحج في عام (١٩٢٤) ميلادية وخرج معه خمسمائة رجل من خاصة إخوانه، أرسل إليه الشريف حسين مدير البرق نائباً عنه لاستقباله في جدة، ويخيره في أي القصور يحب أن يقيم فيه ليهيئه له، فقال ﷺ بعزة المؤمن الذي لا يخاف في الله لومة لائم: (إن أبا العزائم رجل خديم الفقراء، ولا يحتاج في إقامته إلى القصور) فقال مدير البرق: تلك أوامر سيدنا ولا قدرة لنا على مخالفتها، فقال ﷺ: (يا بني، إن لك أن تسيد على نفسك من تشاء، أما أنا فأقول إنني في أرض لا سيد فيها إلا الله ﷻ)، ورفض في تلك الحجة مقابلة الشريف حسين، بل أنه دعا عليه في هذا العام لخيانته للإسلام والمسلمين، فكانت نهايته وخروجه نهائياً من هذه البلاد.

وبعد أن استولى الملك عبد العزيز آل سعود على السلطة في بلاد الحجاز كلها، راسل الإمام أبا العزائم ﷺ، وطلب منه أن يواصل جهده من أجل العمل لإحياء الخلافة الإسلامية، واقترح أن تكون مكة مقر هذا المؤتمر، وأن يكون ذلك

أثناء موسم الحج في عام (١٩٢٦) ميلادية عام (١٣٤٤) هجرية، فأجرى الإمام اتصالاته بالزعماء المسلمين، وسافر هو وإخوانه بعد أن خرج من بيته محرماً بالحج، وألتقوا في مكة المكرمة، وتم انعقاد المؤتمر، نتيجة للاتصالات والجهود الضخمة التي بذلها الإمام ﷺ، ولكن تدخلت الأهواء النفسية ومن ورائها المخططات الإستعمارية، فلم يصل المؤتمر إلى قرار حاسم في شأن الموضوع الذي عقد من أجله، بل تحولت الجهود إلى مواضيع فرعية بعيدة كل البعد عن روح المؤتمر التي بنها الإمام أبو العزائم ﷺ في نفوس الحاضرين.

وهكذا نجد الإمام أبا العزائم يطالعنا بنموذج فريد للصوفي الحق الذي يشارك في أحداث وطنه، ويعمل على رفع الظلم عن إخوانه المسلمين في كل بقعة من بقاع الأرض، ويحاول جاهداً أن يجمع ما تفرق من شملهم، وأن يحيي معاليم الإيمان في نفوسهم وقلوبهم...

حتى أنه ﷺ كان يطالع صبيحة كل يوم جميع الصحف اليومية، والمجلات الأسبوعية والشهرية متلمساً أخبار إخوانه المسلمين في كل بقعة من بقاع الأرض، ويشاركهم في آلامهم ويرسل لهم الرسالة تلو الرسالة، ناصحاً لهم ومحذراً من أعدائهم وشارحاً لهم الطريقة الحكيمة التي ينالون بها أغراضهم مطبقاً بذلك قول رسول الله ﷺ: {مَنْ لَمْ يَهْتَمْ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ} ٢٠، وعاملاً بقوله ﷺ: {مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى} ٢١، ويقول في ذلك ﷺ:

بريكم وطني الإسلام أفديه	بالروح والمال والرحمن يعليه
وكل من ناوى الإسلام غطرسه	فهو العدو بسيف الله أرميه
والمسلمون هم نفسي وحبهم	فرض علي بصدق القول أرويه



^{٢٠} رواه الحاكم عن ابن مسعود.
^{٢١} رواه البخاري ومسلم.

أمراض المجتمع الإسلامي وعلاجها



وكالطبيب النطاسي الماهر، وضع الإمام أبو العزائم ﷺ يده على الأمراض التي مكنت الأعداء من الأمة الإسلامية، ومزقت بين مجتمعاتها، وجعلت الأخوة بعد الألفة يختلفون، وبعد العزة يذلون، وبعد السيادة يستعبدون، وأرجع هذا الأمر إلى سبعين:

أولها: التعصب للقوميات والنزعات العرقية وتفضيلها على الأخوة الإسلامية مما جعل هذا المجتمعات تعمل على إحياء لغاتها القديمة وتاريخها المندثر، وتتخلى في سبيل ذلك عن إسلاميتها، وذلك كما حدث في تركيا وإيران وغيرها.

السبب الثاني: هو سيطرة هذه الفئات على المجتمعات، وهم: العلماء الذين شغلهم الدنيا عن الدار الآخرة، والدعاة الجهلاء الذين يتعصبون لأفكارهم وآرائهم رغم مخالفتها لإجماع المسلمين، ثم ولادة السوء الذين يحرصون على المناصب ويعملون في سبيل الوصول إليها أو الاحتفاظ بها كل ما يجوز وما لا يجوز من المكر والكيد والدهاء والخداع ويستبيحون ذلك كله في سبيل الوصول إلى أغراضهم، لأن الغاية عندهم تبرر الوسيلة مهما كانت خبيثة، وأخيراً: عبدة المادة الذين ﴿ ذُشُوا لِّلَّهِ فَأَنزَلْنَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [١٩ الحشر].

ويضع ﷺ الدواء لهذه الأمراض، فيجعل الأساس الأول فيه هو ملاحظة كمالات الإسلام ودراسة الإسلام وأحكام الإيمان دراسة يستقر بها في نفوس الأفراد والمجتمعات أنه لا مدنية حقيقية ولا سعادة نفسية واجتماعية إلا بالإسلام وكما قال ﷺ: { الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }^{٢٢}.

وفي ذلك يقول ﷺ: ((والشفاء من كل تلك الأسقام الروحانية بالرجوع لما كان عليه سلفنا الصالح تمسكاً بالكتاب والسنة، فإن الله الذي خلق الخلق هو أعلم

^{٢٢} متفق عليه من حديث سفيان بن أبي زهير.

بصالحهم ومصلحهم وإنما يسعد آخر هذه الأمة بما سعد به أولها ^{٢٣} فإذا عشقت النفوس هذا الدين لما فيه من كمالات تعصبت له - أي تمسكت بأن يكون هاديها والمسيطر عليها في كل أحوالها، وقد وضع ﷺ الوسائل التي تحقق المجتمع الإسلامي ونجملها فيما يلي:

أولاً: أن تكون اللغة التي يتفهم بها جميع المسلمين مع بعضهم بعضاً أو مع غيرهم هي لغة القرآن والسنة.

ثانياً: أن تقام حدود الله، بمعنى أن يكون العمل بكتاب الله وبسنة رسول الله.

ثالثاً: أن تكون تربية المسلمين مؤسسة على التربية الإسلامية بحيث يكون التعليم أولاً مستهدفاً تعليم الإيمان والقرآن، ثم يكون تعليم الصناعات أو الزراعة أو التجارة أو تعليم فنون الجهاد وتدبير المدن وسياسة المجتمعات كله مؤسس على الدين، ويكون تعليم تلك الفنون لأنها وسائل لإعلاء كلمة الإسلام وحفظ ثغوره، وجلب الخير لأهله وقوة سلطان المسلمين ^{٢٤}))

هذا وقد فصل الإمام أبو العزائم هذه الوسائل ببسط كبير وضع فيه تصوره للمناهج والعلوم التي يجب أن تدرس في المدارس الإسلامية الخاصة بالذكور، والمناهج والعلوم التي يجب أن تدرس للفتاة المسلمة وذلك في كتابه الإسلام نسب فليراجعه من يرجو المزيد في هذا الباب.

وأما الداء العضال الذي أصاب المجتمعات الإسلامية في قلبها وهو مرض التفرقة، فقد شرحه ﷺ في كتاب "الشفاء من مرض التفرقة" بإسهاب عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ [الشورى]، وقد أحدث هذا الكتاب عند خروجه دويلاً كبيراً حتى أنه ﷺ قدم بسببه للمحاكمة في محكمة الجنايات، ولكنه لم يستكن ولم يضعف، بل واجه المحاكمة

^{٢٣} الشفاء من مرض التفرقة للإمام أبي العزائم ص ٣٤.

^{٢٤} الإسلام نسب ص ٩٣.

في عزة وبأس، واستطاع بلباقته وذكاءه وأسلوبه البارع، أن يخلص من أذى الحكام وكيد الحاكمين.

وسائل تحقيق المجر الإسلامي

وبعد أن وضع أسس تكوين المجتمع الإسلامي التي أشرنا إليها وضع الوسائل التي نستطيع بها تجديد المجد الإسلامي الذي كان لسلفنا الكرام، وسنوجزها فيما يلي وإن كان قد فصلها ﷺ في كتبه "الإسلام دين" و"الإسلام نسب" و"الإسلام وطن".
أولاً- الإسلام دين:

فالإسلام في نظره هو الدين الحق لأن الأديان السابقة قد نسخت بعد بعثته ﷺ، وهو الدين الوحيد الذي يسع البشرية كلها أحكاماً وتعاليماً صالحة لكل زمان ومكان، ومناسبة لكل فرد من بني الإنسان، وفي ذلك يقول: ((ونحن لا نشك أن الدين الذي يجب أن يؤمن به العالم أجمع، لا بد وأن يكون مستوفياً للأحكام التي تكون بها سعادة الإنسان دنيا وأخرى حقاً، فإذا تقرر ذلك يظهر جلياً أن الإسلام هو الدين الحق، وأن الدين هو الإسلام)) ...^{٢٥}

ثانياً: الإسلام نسب:

فالنسب حقيقة عنده ﷺ بين المؤمنين منبثق من قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [١٠ الحجرات]، لأن الأخ الحقيقي هو من شاكل الإنسان خلقاً وشيمة وعملاً، والمشاكل لا تكون إلا في مبدأ، ولا يتحقق ذلك إلا في الإسلام، وهذه الأخوة هي التي جعلت سلمان الفارسي من أهل آل بيت رسول الله ﷺ في قوله { سَلَمَانٌ مِنَّا آلَ الْبَيْتِ }^{٢٦}، وفي ذلك يقول ﷺ :

((يظن الناس أن النسب قرابة تدلى إلى الأب والأم والعم والخال، جهل الناس بحقك أيها الأخ الصالح التقى، ليس هذا هو النسب، إنما النسب حقيقة الإسلام، لأن نسيبك في الحقيقة من شاكلك حقيقة وخلقاً وشيمة وعملاً، ولو كان أعجمياً وكنت شريفاً هاشمياً، وحسبنا حجة في ذلك قوله ﷺ (أدخل الإسلام بلالاً في نسبي

^{٢٥} الإسلام دين للإمام أبي العزائم ص ١٦، ١٧.

^{٢٦} رواه الطبراني في الكبير.

وأخرج الكفر أبا جهل من نسي)، وقوله ﷺ (سلمان منا آل البيت)، فالقربة يا أخي هي المشاكلة، ولا مشاكلة إلا في مبدأ ينتج السعادة، وفي معنى يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ، ولا يتحقق ذلك إلا في الإسلام، وليس ابن أمك وأبيك بقريبك إن خالفك شكلاً واعتقاداً وشمائلاً وميولاً، وليست القربة تصح حقيقة في الدنيا للمعونة وفي الآخرة بالسعادة إلا بأخوة الإسلام، وكل قريب وصديق وحبوب ولو من أب وأم لم تكن قربته للإسلام، فهي خسران في الدنيا وهلاك في الآخرة، سرُّ قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ [الزخرف].

ثالثاً: الإسلام وطن:

فيُعيب ﷺ على من يتمسك بتراب نشأ على أرضه، ويجعله هو الوطن فيقول له : ((الوطن هو الإسلام وليس هو أرضاً خضراء أو أفقاً من سماء زرقاء، بل ذلك الوطن هو الإسلام، نعم لأن العمل بروح الإسلام يجعل المسلمين رجالاً واحداً، كل فرد منهم عضو لذلك الجسد))^{٢٧}.

ثم يذكر المسلم بالمجد الإسلامي عندما كان الإسلام وطنٌ للجميع فيقول:

((تذكر أيها الأخ المسلم هذا المجد الذي كنت فيه مذ كان وطنك الإسلام، كان الصيني يلقي المراكشي، فإذا قال السلام عليكم بشٍّ في وجهه فرحاً بسماع الكلمة الإسلامية وضمه إلى صدره، وأسرع به إلى بيته، وفتح له عن خزائن المسلمين التي في بيته، كانت كلمة السلام عليكم توجب على سامعها بذل المال والنفس في النصرة والتأييد، ما ذلك إلا لأن الوطن كان الإسلام))^{٢٨}.. وبعد أن بيّن ما ناله المسلم من ودّ بينه وبين أخيه المسلم بسبب الإسلام، بيّن العزة التي أضفاها الإسلام على أبنائه فقال ﷺ :

((أنت أيها المسلم وحقت كنت أسعد الخلق طراً، مذ كان الإسلام وطنك، كانت تنحني لك الرؤوس التي عليها التيجان رهبة مذ كان الإسلام وطنك، لم يكن ذلك لخصوص الأمير من المسلمين، بل كان والله أيضاً لتاجر حقير في بلاد غير

^{٢٧} الإسلام وطن ص ١٠.

^{٢٨} الإسلام وطن ص ١٣.

إسلامية، كنت أيها المسلم إذا انتقلت إلى بلاد غير إسلامية، نُبِّهَ على العامة والخاصة أن يمسكوا ألسنتهم، وأن يعضوا عنك أبصارهم، وأن يحتفلوا بك لتتشر عنهم الخير في بلادك، لم يكن ذلك إلا لأن وطنك الإسلام، وإنك تمثل جمال الإسلام وكماله بالوجه الأكمل، فكنت وأنت منفرد كجيش خميس تهتز له رؤوس أهل التيجان))^{٢٩}

وهكذا، فصل الإمام أبو العزائم هذه الحقائق الثلاث: الدين والوطن والنسب، ووضع لكل حقيقة من تلك الحقائق كتاباً خاصاً بها، يبين روح الشريعة فيها، حتى يتحقق كل مسلم أن الدين هو الإسلام، وأن الوطن هو الإسلام وأن النسب هو الإسلام، وأن يسارع إلى الخير الحقيقي الذي سارع إليه أصحاب رسول الله ﷺ وتابعوهم بإحسان، طمعاً في نيل العزة لله، والسعادة في الدنيا والتمكين في الأرض بالحق والفوز برضوان الله الأكبر والنعيم المقيم في جوار رسول الله ﷺ.

^{٢٩} الإسلام ووطن ص ١٢

الفصل السادس

الشيخ المرئي

تمهيد

التأوبُ بأولاب الشريعة

الزُّهْرُ

الورعُ

البصيرةُ النافذة

الرحمةُ بالخلق

الفصل السادس: الشيخ الحرّبي

تعمیر

نشأ الإمام أبو العزائم رحمته الله وأرضاه وقد اندرست أحوال الصوفية الصادقين، وظهرت أحوال البطالين والمتفعين ممن جعلوا الطريق وسيلة للحصول على شهواتهم وأغراضهم، ولم يبق إلا نذر قليل حفظوا روح التصوف وأحواله ومواجيده وأخلاقه، أما الأغلبية العظمى منهم فقد جعلوه رسوماً وزياً وأكلاً وشرباً، ونسوا الغرض الذي من أجله أسس، وهو السلوك إلى ملك الملوك عليه السلام.

فحاول ﷺ أن يجدد هذه الأحوال التي اندرست، ويبين هذه المكارم التي توارت، ويوضح هذه الأخلاق التي أميتت، وقد طبق ﷺ هذه المناهج والاتجاهات على ثلاث مراحل عملاً بحديث سيدنا رسول الله ﷺ الذي يقول: { اَبْدَأْ بِنَفْسِكَ ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ }^{٣٠} وقوله { ثُمَّ الْأَقْرَبُ فَالْأَقْرَبُ }^{٣١} وسنوضح هذه المراحل على قدر ضعفنا وتقصيرنا، لا على قدر كماله ﷺ وأرضاه.

يرى ﷺ أن الشيخ المربي لكي يؤثر فيمن حوله لابد أن يأخذ نفسه بعزائم الأمور، ولا ينزل إلى الرخص، وإن كان يفتي بها لغيره.

وأن عليه أن يعمل أولاً بما يعتقد أنه الصواب، حتى إذا قال وقع القول منه موقع الإجابة وأحدث الانفعال السلوكي المطلوب في نفوس السامعين.

وصفات الشيخ عنده كثيرة نثرها في كتبه الصوفية ككتاب "مذكرة المرشدين والمسترشدين" و "شراب الألواح" وكتاب "معارج المقربين" وكتاب "الظهور المدا على قلوب الأبرار" وغيرها، ونبرز أبرز هذه الصفات ملمحين إلى تحليها بها كما يلي:

٣٠ رواه الشيخان عن أبي هريرة والطبراني عن حكيم بن حزام

٣١ عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ

التأوب بآواب الشريعة



أخذ نفسه ﷺ بالمجاهدات الفادحة، والعزائم الماضية، حتى يكون أسوة حسنة لمن حوله، فما كان يضيع نفساً من أنفاسه في غير طاعة الله ﷻ، إما بذكر أو شكر أو درس أو تفقد لأحوال أخوانه أو لأحوال المسلمين أجمعين، أو عبادة قلبية خاصة بينه وبين الله ﷻ، حتى أنه ﷺ، كان لا ينام إلا إذا جلست إبنته بجواره أو أحد أبنائه أو محبيه يتلون القرآن على مسامعه، ويأمرهم ألا يكفوا عن ذلك حتى إذا استغرق في النوم، ومن العجب أن بعضهم كان يلحن أحياناً في قراءته، فنتبه ﷺ من نومه ويصحح له القراءة، بل إنه ﷺ لشدة تعلقه بذكر الله ﷻ، كان إذا نام يسمع لتردد أنفاسه نغمة شجية، يسمعها من حوله تقول: الله ... الله.

فإذا كان وقت السحر، استيقظ من نومه وتوضأ وصلى ما شاء حتى يطلع الفجر، فينادي على أهله ومريديه ويقول: الصلاة الصلاة يا غراس الجنة، ثم يصلي بهم، وبعد انتهاء الصلاة يقول للمتكاسلين الذين فاتتهم الجماعة الأولى، موقظاً وموبخاً: الصلاة الصلاة يا غراس النار.

ثم يجلس في مصلاه يقرأ مع أخوانه ورد ختم صلاة الصبح، الذي جمعه من الأحاديث الواردة عن سيدنا رسول الله ﷺ، وأدعية الأنبياء والمرسلين التي تحققت وأجبت في كتاب الله ﷻ، وبعدها يقرأون صيغ الصلوات التي أمد بها سيدنا رسول الله ﷺ، ثم يشرح لهم ما تيسر من آيات كتاب الله، حتى إذا بزغت الشمس وارتفعت قدر رمح أو يزيد، تناول معهم طعام الفطور وأذن للجميع بالتوجه إلى العمل.

وهو في جميع أحواله لا يخرج عن الشريعة طرفة عين، بل كل حركة وسكنة من حركاته وسكناته كانت مضبوطة بأحكام الشرع الشريف، حتى أنه ﷺ في أواخر أيامه، وكان قد مرض وشلت رجلاه، فأرادوا أن يدخلوه دورة المياه، ولم ينتبهوا إذ أدخلوه من الجهة اليمنى فانتفض ﷺ، انتفاضة شديدة وقال وهو يتألم: خالفت رسول الله ﷺ، العفو يا سيدي يا رسول الله.

وقد حضر لديه جماعة من العلماء، فأراد أن يبين لهم الأدب العالي الذي ربي عليه أبنائه ومريديه، فأحضر رجلاً آمياً، وقال له ماذا تصنع إذا وجدت أن أبا العزائم يخالف رسول الله ﷺ؟ فقال التلميذ الذي تأدب بآداب شيخه: لو خالف أبو العزائم رسول الله ﷺ لقرعناه بنعالنا، فأحتضنه ﷺ والتزمه وقال له: أنت ولدي حقاً، ويقول لهم آمراً باتباع السنة: { حافظ على السنة ولو بشرت بالجنة }، ويقول أيضاً:

لسنته فاخضع وكن متأدباً وحاذر فحصى الشرع باب السلامة
على الجمر قف أن أوقفك تواضعاً يكن لك برداً بل سلاماً برحمة

بل أنه ﷺ يجعل الحكم على المريد، متوقفاً على مدى استجابته لأوامر الشريعة المطهرة، فيقول مبنياً علامة المريد الصادق من الدعي المندس في صفوف الصادقين:

من فارق الشرع الشريف فليس من آل العزائم فافهم برهاني

ولا عجب في ذلك، حيث أنه ﷺ، كان يحدث عن جده الصالح أبي العزائم ماضي هذه الواقعة التي دارت بينه وبين ولد شيخه أبي الحسن الشاذلي ﷺ فقال:

((كان للشيخ ولد اسمه علي، فلقبته بالإسكندرية سكراناً بالخمير، فأتيت به إلى الدار، وضربته ضرباً وجيعاً حتى تعلق بأمه، فجذبته حتى خرج بخيوط رأسها في يده، فصاحت وبكت فدخل عليها الشيخ فقال لها: ما يبكيك؟ فأخبرته بالقصة ولم تخبره بسكره، فتغير الشيخ لذلك، فلما دخل الزاوية قال لي: يا ماضي لما فعلت كذا وكذا؟ قلت لأنني وجدته سكراناً بالخمير، والله لو تعلق بك لجلدته الحد، فقال لي هكذا هو، وتغير وجهه، ودخل الخلوة ساعة، واستدعاني فدخلت عليه فوجدته فرحاً مستبشراً، فقال لي دخلت إلى هذا المكان وهممت أن أدعو على ولدي، فقل لي: يا علي مالك ولولي! دعه حتى ينفذ ما قدرته عليه!، فلم تمض إلا مدة يسيرة، حتى خرج في سياحة، وظهر في أرض المغرب وظهرت ولايته))^{٣٢}

ولهذا كان ﷺ أول ما يأتي إليه المريد يوجهه إلى تعلم الشريعة المطهرة

^{٣٢} درة الأسرار لابن الصباغ ص ٤٩.

والعمل بها ويقول: طريقنا هذا أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة، ويحدد مآخذ طريقته في أكثر من موضع في كتبه ويقول:

((طريق آل العزائم هو ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ﷺ جميعاً، وأساسه مقام الإحسان بعد مقام الإسلام والإيمان، والسالك في هذا الطريق يجب أن يكون محصلاً ما لا بد له منه من العقيدة الحقة والعلم بأحكام العبادات والمعاملات والأخلاق كما هي سنة المرشدين، فكذلك السير في كل المساجد والزوايا المعدة لتربية الطريق، فإن خديم الفقراء يتدنى بتعليم الأحكام الشرعية والآداب النبوية، وتعليم المعاملات والأخلاق بجميع أنواعها))^{٣٣}، ويقول محذراً لمن يخالف هذا المنهج: ((وكل خديم في بلد خالف منهج المرشد أفسد على الفقراء أحوالهم))^{٣٤}، ويحدد ﷺ الأسس التي بنى عليها طريقته فيقول: ((مآخذ هذه الطريقة:

- كتاب الله تعالى بعد علم محكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه عملاً بالمحكم وإيماناً بالمتشابه بقدر الاستطاعة وتركاً للمنهي عنه جملة واحدة إلا لضرورة شرعية.
- أقوال رسول الله ﷺ بعد العلم بصحة السند فيما يؤدي إلى علم اليقين والأخذ بأقواله بدون ملاحظة إلى السند فيما يؤدي إلى فضيلة أو مكرومة.
- وأعماله ﷺ التي تثبت من طرقها الصحيحة وأحواله ﷺ المبينة في كتب السيرة الصحيحة التي يستتير بها المرشد عند مقتضيات ذلك.
- وهدي الخلفاء الراشدين وأئمة الصحابة المأخوذ من تراجمهم ﷺ أجمعين والأخذ بالعزائم في كل ذلك.
- وأعمال السلف الصالح وأئمة المسلمين ومواجهتهم الصادرة عن عين اليقين وصدق التمكين وصفاء الضمير والإخلاص في المعاملة لرب العالمين.
- ثم طمأنينة القلب بعد العلم بكل ذلك حال الدخول في العمل أو القول أو الحال لأن كل ذلك خالص لوجه الله بحيث أن السالك في هذه الطريقة إذا لم يستتب له الأمر في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ أو في هدي السلف

^{٣٣} نيل الخيرات الطبعة الحادية عشرة ص ٣٦.

^{٣٤} نيل الخيرات الطبعة الحادية عشرة ص ٣٧.

الصالح يلزم أن يتوقف عنه حتى يطمئن قلبه أنه خير وأنه خالص لله تعالى))^{٣٥}

الزهر



ويؤكد هنا ﷺ أن من يقوم لدعوة الخلق إلى الله لا بد أن يكون مستغنياً بالخالق عن الخلق، ومتأسياً في أحواله بالسادة الأنبياء حيث يحكي عنهم الله قولهم: ﴿ يَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [٥١ هود] ويقول معروفاً بالشيخ المربي: شيخك من يعطيك لا من يأخذ منك. وقال لمن سأله عن العلامة التي يعرفون بها صدق الداعي إلى الله ﷻ في دعوته: ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا ﴾ [٢١ يس].

وضرب بنفسه ﷺ أروع الأمثال في ذلك، فحينما استقر في القاهرة وقد فصله الإنجليز من عمله، وداره غاصة بالمريدين والأحباب الذين يحتاجون إلى نفقات كبيرة وكثيرة، حتى أن أبرز محبيه وهو محمد محمود سليمان باشا، وكان يسمى في عصره ملك الصعيد لثرائه الواسع، سجّل حجة ووثقها في الشهر العقاري بمائة فدان باسم الإمام أبي العزائم ﷺ. وذهب إليه وعرضها عليه وقال: يا سيدي هذا شيء يسير تستعينون به على أمور الدعوة، وحاجات الفقراء، فغضب أبو العزائم ﷺ غضباً شديداً، حتى أن الشرر كاد أن يتطاير من عينيه، وقال له في حدة: من الذي قال لك أن أبا العزائم يحب الدنيا؟ انظر، وأشار إلى خلفه فنظر فرأى عجباً، رأى أكواماً من الذهب لا حصر لها، فعلم أن تلك عناية الله بأحباب الله وأصفائه، حتى أنه لشدة زهده ﷺ، سجل البيت الذي كان يقطن فيه باسم (آل العزائم) في كل أقطار الأرض، حتى يتأس بسيدنا رسول الله ﷺ، ويخرج من الدنيا ولم يصب منها شيئاً، هذا مع أن الضرورات الكثيرة كانت تنتابه المرة تلو المرة، لكنه كان بما في يد الله أوثق منه بما في يد نفسه.

وهكذا يجدد أبو العزائم أحوال السلف الصالح في زهدهم في الدنيا وإقبالهم على الله، ويعرفهم بأن الزهد لا يتم إلا بعد وجود الشيء في ذات اليد، فتكون الدنيا في يد الإنسان ولكنها خارجة من قلبه، بمعنى أنه لا يفرح بها عند الوجد ولا يحزن

^{٣٥} نيل الخيرات الطبعة الحادية عشرة ص ١٠.

عليها عند فقد، أما الزهد في غير الوجد أي زهد الإنسان لأنه لا يملك شيئاً فهذا ليس بزهد العارفين، وإنما زهد العوام من الناس، لأنه إذا حصل عليها ربما يتغير حاله.

الورع



وهو عنده ﷺ للسالكين في ترك الشبهات، وللواصلين في ترك كثير من المباحات، وللمتمكنين في ترك ما سوى الله ﷻ بالكلية.

فقد كان له ﷺ فيه الباع الأعظم والقدر الأجل، وليس أدل على ذلك من هذه الحادثة الفريدة من نوعها: فقد دعاه صالح سليم باشا في بور سعيد لتناول الغذاء عنده هو وإخوانه، فما كان منه ﷺ، بعد محاولاته الاعتذار واصرار الباشا ورجاؤه وتوسلاته على التلبية إلا أن أمر ابنه المبارك السيد أحمد ماضي أن يأخذ معه رغيفين من الخبز وقطعة من الجبن، ولما استقروا على المائدة، وقد غصت بأصناف الأطعمة الشهية، وأذن الباشا للحاضرين بتناول الطعام بعد استئذانه ﷺ في ذلك، طلب من السيد أحمد إخراج ما معه من الخبز والجبن ووضعه أمامه، فأسرع الباشا إليه هلعاً وسأله لماذا يأكل هذا الطعام مع أن المائدة حافلة، وفي إمكانه ووسعه أن يأتي بما يريد استجلاباً لرضاء الشيخ ﷺ، فقال له ﷺ بحكمته المعهودة: (إن هذا الطعام أمرني به الطبيب) - ويقصد الطبيب الأعظم ﷺ .

ولم يكتف ﷺ بالتخلق بهذا الخلق الكريم والحال العظيم في نفسه وإنما كان يدرّب ويمرن أولاده ومحبيه على هذا الورع ويباعد بينهم وبين الشبهات والمحرمات قدر ما يستطيع، فهذا رجل فلاح من أتباعه، وكان يسكن في منطقة بولاق، وكانت قبل عمرائها الحالي منطقة زراعية، وكان أهلها يبيعون اللبن كل صباح لسكان القاهرة، فشكا له الرجل أن زوجته تخرج مع جاراتها باللبن، فيرجعن مسرعات وتتأخر هي حتى ضحوة النهار، مما جعله يشك في أمرها، ويتهمها في سلوكها.

وعرض الأمر على الشيخ ليجلي له الحقيقة، فقال له الشيخ ﷺ، ضع غداً قدرًا من الماء على اللبن من غير أن تعلمها، فنظر الرجل إليه بدهشة ولكنه ﷺ قال

له: افعل ما أمرتك به، فعلم أن هذا لحكمة عالية يعلمها الشيخ، وكانت دهشته أعظم عندما نفذ أمر الشيخ، ووجد زوجته ترجع مع صويحباتها، فأسرع إلى الشيخ وعليه إمارات الدهشة، فقرأ ﷺ ما يدور بخلده وقال له: يا بني إن جاراتك تغش اللبن بالماء، فيقيض الله لهن ما لا حراماً ثمناً له، والمال الحرام كثير هذه الأيام، ولذا يرجعن بسرعة، أما زوجتك فلأنها تراعي حق الله وتتأدب بآداب سيدنا رسول الله فإنها تتعب حتى يهيئ الله لها ما لا حلالاً ثمناً للبنها، وذكره بالقول المأثور: { إذا غضب الله على عبد رزقه من حرام، فإذا اشتد غضبه عليه بارك له فيه }.

والورع هو مقام الصديقين عنده لأنه أفضل من كل العبادات على الإطلاق سر قوله ﷺ: { اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ عَبْدَ النَّاسِ }^{٣٦}

البصيرة النافذة

كان ﷺ يرى أن أهم صفة يجب أن تتوفر في الشيخ المربي هي البصيرة النافذة، التي تنفذ بشعاعها النوراني وراء الحواجز والمسافات، لتسهل للسالك قطع العقبات والمفاوز والوصول إلى أعلى الدرجات والمقامات، ويستشف ذلك من قول الله ﷻ لحيبيه ﷺ في محكم التنزيل ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وهذا هو نهج الصوفيين الحقيقيين قديماً وحديثاً، فهذا سيدنا الجنيد ﷺ عندما تلقى الإذن من شيخه السري بالإرشاد وجلس في المسجد الجامع وتجمع حوله الخلائق، اندس في وسطهم نصراني، وقد تزيا بزي رجل عربي، وبادره قبل أن يتكلم بالسؤال قائلاً: ما معنى حديث: { اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ يَنْظُرَ اللَّهِ }^{٣٧} ؟ فنظر إليه ودقق النظر وأطرق برأسه إلى الأرض ثم رفعها بعد برهة وقال له: معناه أنه قد آن الآن أوان إسلامك يا نصراني؛ فانطق بالشهادتين، وفي ذلك يقول ﷺ:

^{٣٦} رواه أحمد والترمذي عن أبي هريرة.
^{٣٧} رواه الطبراني والترمذي من حديث أبي أمامة.

إذا رمت أن ترى بعين البصيرة فسلم لنا الأحوال في كل حضرة
ومن راحنا الصافي تناول مدامة يناولها المختار من غير راحة
فقد خصني طه بفيض وداده وأعلى بمحض الفضل شأني
أنا الباب فرد الوقت من غير ريبة أنا ساقى الندمان راح الشهادة

ويقول أيضاً ﷺ:

أنا الخبير فسلني عنه أنبيك وسلمن لي إلى العليا أرقيك
واخلع سواه وكن صباة مغرم وبعه نفسك والأموال يعطيك

وكان ﷺ المثل الأعلى في عصره في الشفافية النورانية والبصيرة الروحانية، بل أن كل حركاته وسكناته تشف عن هذه البصيرة الوضاعة، وخاصة أمام المعارضين والمعادين، فعندما أوعز الإنجليز لعلماء الأزهر أن يتهموه في عقيدته زوراً وبهتاناً، ليتسنى لهم محاكمته بعد الصاق التهم المزعومة به، تريت عقلاؤهم وآثروا أن يرسلوا عشرة منهم لاختباره، وحضروا الأسئلة التي تكشف لهم حقيقة أمره، وتخبروا لذلك الأمر ليلة الإسراء والمعراج، حتى ينكشف أمره حسب زعمهم لمريديه وأحبابه، وكان يوضع له كرسي خاص في وسط السرادق الذي يقام لأجل إحياء هذه المناسبة، فطلب ﷺ من أبنائه المشرفين على الحفل أن يجهزوا خمسة كراسي عن يمينه وخمسة عن يساره ولا يدعون أحداً يجلس عليها إلا بإذن منه شخصياً...،.

وعندما بدأ الاحتفال، وسط دهشة الحاضرين من هذه الكراسي الفارغة من الجالسين، إذا بالعشرة علماء يحضرون، فأمر باجلاسهم على الكراسي المعدة لهم، وبعد ترحيبه بهم، أخذ يجاذبهم أطراف الحديث قائلاً:

عندما كنت بالسودان، جاء عشرة من العلماء كهيئتكم ليمتحنوني فسألني الأول الذي عن يميني وأشار إلى الذي عن يمينه، عن كذا؟ - وعين السؤال الذي حضره وجهزه هذا الشخص - ثم ذكر الثاني بسؤاله وأجاب عليه، وهكذا حتى أجاب العشرة عن أسئلتهم التي جهزوها بدون أن يطلع عليها أو يتفوهوا بها ... بصيرة من الله ونورانية، وشفافية وإمداداً من سيدنا رسول الله ﷺ.

بل أنه ﷺ كان يفهم المستشرقين حين يستشف ببصيرته النافذة أغراضهم الخبيثة التي تكمن في أسئلتهم، فهذا أحدهم يتوجه إليه بالسؤال قائلاً: الحي أفضل أم الميت؟ فأجابه على الفور بدون تريث مريم أفضل أم إبليس؟ فبهت الذي كفر .. وتعجب الحاضرون لوجومه، فكشف لهم حقيقة الأمر وقال: إن هذا يريد أن أقول له: الحي! فيصل عن طريق الجدل إلى أن عيسى وهو في نظرنا حيُّ أفضل من سيدنا محمد، فأجبت به بأن إبليس حيٌّ ومريم قد ماتت.

أما عن بصيرته ﷺ في تربية مريديه وأحبابه فحدث عنها ولا حرج، والأمر فيها أكثر من أن تحويه هذه الصفحات، وحسبنا منها هذا المثال الذي في تسبب في توبة أخص كتابه كامل أفندي وإسلام زوجته الفرنسية، والتي سمت نفسها فاطمة.

فقد كانت أم كامل من الصالحات القانتات، اللاتي تهذبن وتربن على يد الإمام أبي العزائم، وكانت تذكر لابنها في رسائلها إليه كثيراً من النوادر والأحاديث التي تسمعها من الإمام أبي العزائم، فظن ابنها لعدم معرفته بالإمام أنه رجل عادي، وأن هناك علاقة بينه وبين أمه، فصمم وهو في دراسته للحقوق بفرنسا أن يقتل الإمام أبا العزائم بعد عودته إلى مصر، وعند مجيئه أظهر لأمه إعجابه بأبي العزائم، وطلب منها أن تصحبه هو وزوجته ليسلما عليه، وأخفى المسدس في ثيابه، وجهزه للضرب فوراً، وعندما رآه الإمام قال له على البديهة: مرحباً يا كامل أفندي، جئت تقتل أبا العزائم: وتخفي المسدس في ثيابك؟ اخرج مسدسك فإن الله حائل بينك وبين ذلك.

فدعر الرجل وأخرج مسدسه، وسلمه له، وترجم لزوجته الفرنسية ما دار فارتمت على الأرض، وأغمى عليها، وفي تلك اللحظات، رأت أن القيامة قد قامت، والملائكة يأخذونها ليقذفونها في جهنم، وهي تستجير فلا تجد من يدفع عنها، وبينما هي على باب النار، إذا بها تجد الإمام أبا العزائم يقول لهم: خلوا عنها، فأمسكت به ثم أفقت من سباتها وهي تصيح يا أبا العزائم .. فأسلمت وحسن إسلامها وصارت تكتب باباً ثابتاً في مجلة المدينة المنورة الأسبوعية تحت عنوان ((أوربية أسلمت)).

والإمام يحدد مهمة الشيخ في تصفية قلوب المريدين، وتهذيب نفوسهم

وصفاء أحوالهم، فإذا كان هو لم يتمكن من تلك الأحوال ولم يستطع أن يهذب نفسه فكيف يعطي ذلك لغيره؟ وفاقد الشيء لا يعطيه.

وهذه البصيرة هي سلاح العارفين عند ورود الشبهات وقائدهم للوصول إلى مراد الله في تأويل الآيات القرآنية، ومعرفة ما يقصده سيدنا رسول الله ﷺ في الأحاديث النبوية، وهي التي تحدد الأمراض والحجب والقواطع التي تمنع السالكين وتحجبهم عن الوصول إلى درجات الروحانيين، ويقول في ذلك: ((وإنما إمام المتقين من وصل إلى جناب القدس ثم ورثه الله علوم الرسالة والنبوة، فأقام داعياً للحق بالحق دالاً على الحق بالحق، مجدداً للسنة، مبيناً لسيرة السلف الصالح، هذا هو الإمام المقتدى به، وإذا أظهره الله في عصر من العصور وجب على كل طالب أن يقتدى به أو بمن اقتدى به أو بمن اقتدى بمن اقتدى به، فإن هؤلاء في الجنة ما داموا محافظين على تلك الأسرار)) ..^{٣٨}

وينبغي ﷺ على كثير من مدعي الصوفية في عصره فيقول: ((هذا وبعض أهل الطريق، إذا مات المرشد أو مات الشيخ المأذون بالطريق، يسلمون لأحد أولاده أو أقاربه، وهذا أمر حسن، لو أن من سلموا له يكون على شيء من العلم والعمل والحال، واجتهد في تحصيل ما به كمال نفسه ونفع غيره، وحافظ على الاقتداء بالمرشد محافظة حقيقية في القول والعمل والحال.

أما إذا سلموا لابن المرشد، أو لأحد أقاربه، وكان صبيّاً لم يبلغ الحلم، أو كبيراً على غير استقامة، بعيداً عن معرفة الطريق وأهله، فإنهم بذلك يكونون عرضوا من اقتدوا به للهلاك وأهلكوا أنفسهم، لأنهم بذلك يجعلوه يغتر بنفسه، ويتكبر على العلم، ويحتقر العلماء، ولا يزيده الإقبال عليه، إلا غروراً وبعداً عن الله، وكأنهم بذلك أساءوا إلى مرشدهم فإنه جملهم بالعلم والعمل والحال، وهم لم يحسنوا إليه في أولاده وأهله، وكان الواجب عليهم، أن يجتهدوا في تربية ابن الأستاذ أو من يكون من أهله، تربية حقيقية، علماً وتهذيباً وعملاً حتى يكون لسان صدق لوالده، ووارثاً لعلومه وأحواله، وإني لأعجب من رجل لا يرضى أن يجعل الحصرم من العنب زيباً

^{٣٨} مذكرة المرشدين والمسترشدين طبعة سنة ١٩٨٣ ص ٦٤.

ويرضى أن يجعل الطفل الصغير المؤهل للتربية والتهديب والتعليم، مرشداً عظيماً، وظن أنه يحسن صنعاً)) ..^{٣٩}

ويأتي ﷺ بالقول الفصل في هذا الأمر الذي طال فيه الجدل والكلام بين أبناء الطرق الصوفية وغيرهم في شأن من يقوم بتربية المريدين بعد شيخهم فيقول:

((أن الله ﷻ حكم في كتابه العزيز في ميراث الأرض خاصاً لمخصوصين، وحكم في ميراث السماء أنه فضله يؤتيه لمن يشاء، فحكم ﷻ في خير الدنيا بما هو واضح، وحكم في ميراث الأنبياء والمرسلين بالفضل العظيم بأنه لمن يشاء ﴿ ذَلِكْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [الحديد: ٤٠])

الرحمة بالخلق

خلق سيدنا رسول الله ﷺ من عين الرحمة الإلهية فكان رحمة مفاضة لجميع الكائنات العلوية والسفلية، سر قول الله ﷻ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ومن قلبه ﷻ تفاض الرحمة على قلوب وارثيه فيغمرون الكون بضروب الرحمة المحمدية من الشفقة والعطف والحنان والكرم والبر والإحسان والعفو والصفح والغفران وغيرها من أبواب الرحمة التي لا حصر لها.

وقد كان عين أعيان الرحمة الإيمانية الإسلامية في هذا العصر، مولانا الإمام أبو العزائم ﷺ، فقد وسعت رحمته الصغير والكبير، فكان ﷺ يقضي جل وقته يؤنس أبناء المريدين والمحبين حتى تعلقوا به من نعومة أظفارهم، وشعاره الدائم في ذلك: (عاشروا الناس معاشرة، إن عشتم حنوا إليكم وإن متم بكوا عليكم)، حتى أنه في سبيل ذلك كان ينسى أبنائه الصلب نظراً لانشغاله بأبناء الفقراء.

وعندما أقامه الله لدلالة الخلق على الله:

اختار نفراً من خاصة أصحابه يعاونونه في أداء هذه الرسالة وأتى بأسرهم، وأسكنهم في داره وتكفل برعايتهم وتربية أبنائهم والإشراف على جميع شئونهم،

^{٣٩} مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ٦٥.

^{٤٠} مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ٦٥.

ليتفرغوا لدعوة الله ﷻ، لأنه ﷺ، كان يرى أن سريان القيم الإسلامية وانتشار المكارم الإيمانية في المجتمع هما العامل الأكبر لحفظه من الضياع والتفكك، وصونه من الخلاف والشقاق والفساد، وحفظه من الأمراض القلبية كالحقد والحسد والشح والطمع والحرص والأثرة وغيرهما، وهذه المهمة لا يقوم بها إلا الدعاة إلى الله المخلصين الذين أخلصوا لله قلباً وقالباً، والذين يقول فيهم:

عبيد أخلصوا لله ذاتاً وقاموا صادقين بحسن نية
فلم يشغلهم حظ ووهم عن الإخلاص للذات العلية
ومن يد سيد الرسل التهامي سقوا خمر البشائر أحمدية

وكان ﷺ من شدة حذبه وحرصه على مريديه:

يدخل غرفته الخاصة موهماً خاصة أصحابه أنه سينام، فإذا تأكد من نوم الجميع، خرج من غرفته ماشياً على أطراف أصابعه، يتفقد المريدين، فيغطي من كشف الغطاء عن نفسه، ويصلح من نام على غير هيئة النوم الطبيعية، حتى إذا اطمئن على الجميع، دخل فاستراح في حجرته.

وبلغ به ﷺ فرط إحساسه بإخوانه:

أنه كان يأمر من يدعوه إلى منزله ألا يحضر الطعام حتى يراه بنفسه، ويمسك المغرفة ويحركها فيه بضع مرات، ذاكراً الله ملتمساً منه ﷻ البركة، فيكثر الخير ويفيض، وإذا تفرس في فقير أنه يودُّ دعوته إلى بيته، ولكن يمنعه من ذلك ضيق ذات اليد، يخبره أنه سيزوره في ميعاد ويحدده، ويرسل قبل الميعاد نفراً من خاصة أحبابه ويعطيهم المال، ويكلفهم أن يشتروا أصنافاً من المأكولات والفواكه والحلويات تليق بالوجهاء والأغنياء، ولا يخبرون أحداً بهذا الصنيع، ثم يذهب هو ورفاقه، فينبهرون من ضروب الخير وأصناف البر، التي يجدونها عند أخيهم الفقير، ويسر الفقير وأهل بيته سروراً ما بعده سرور، ويقول ﷺ معلماً لأحبابه ومريديه قول رسول الله ﷺ:

{ مَا عُيِدَ اللَّهُ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْ جَبْرِ الْخَاطِرِ }^{٤١}

وكمثل السادة الصوفية المحققين والذين يعبر عنهم سيدي أبو العباس المرسي
ﷺ فيقول:

((لا تمنعوا أحداً من الدخول علينا ليل أو نهار، فإن المريد يأتي والشوق
يملأ فؤاده، فإذا منع فسد حاله وتغير)) .

ويمثّل بقول القائل: ((قلوب الأحرار لا تحتل الانتظار)).

وهكذا أيضاً كان الإمام أبو العزائم ﷺ، فقد حكى الأخ الصادق الشيخ عبد
الحميد سري وكان كاتباً بمحكمة السويس:

أنه وجد سيارة متجهة إلى القاهرة لقضاء مصلحة ضرورية وترجع في نفس
اليوم، فاستأذن في الذهاب معهم ليل شوقه بملاقة مولانا الإمام، وعند حضوره إلى
دار أبي العزائم، كان وقت القيلولة، وكان الشيخ مفتاح زيدان الخادم الخاص للإمام،
يجلس على باب الغرفة حتى لا يترك أحداً يقلق راحة الإمام أثناء قيلولته.

فاستأذنه الشيخ عبد الحميد سري أن ينظر إلى وجه الإمام وهو نائم حتى يمتع
نظره بالنظر في وجهه، لأن النظر في وجه العالم عبادة، فامتنع الشيخ مفتاح، وبينما
هم كذلك إذا بالشيخ يصفق بيديه ويستدعي الشيخ مفتاح ويقول له: من الباب؟
فيقول له: عبد الحميد سري. فيقول له: ادخله، فأدخله فصافحه ثم سأله عن أحواله
وعن أحوال رفاقه في السويس، ثم قال له مبشراً ومشجعاً على هذه المهمة:

((يا بني نظرة في الوجه خير من ألف شهر)) .

وهذه الرحمة التي امتلأت بها جوانح هذا القلب الكبير وسعت جميع خلق
الله حتى قال ﷺ:

((آل العزائم لهم حال مع الله يجذب الكافر والنافر فما بالك بالمؤمن
المطيع؟))

^{٤١} ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة.

هذه الرحمة التي كان يفتح بها أبواب التوبة والاقبال على الله للعصاة والمذنبين ويدعوهم إلى الله مشجعاً وحثاً قائلاً:

((رب معصية أورثت ذلاً وإنكساراً خيراً من طاعة أورثت عزاً واستكباراً))

ويقول ﷺ أيضاً:

اسمعوا فالذنب سر من هو المعلوم في حل غياب
يكسر الذنب القلوب بوقعه كسره قرب إلى نور الكتاب

هذه الرحمة وسعت حتى الكافرين لتظهر لهم جمال هذا الدين، فيقبلوا على الله خاشعين مخبتين، فقد كان يسكن فوقه امرأة يهودية وأولادها، ورفضت أن تخرج من السكن، وبالغت في إيذائه ﷺ أشد الإيذاء، حتى أنها كانت تمسك الهون وتدق عليه في الحجرة التي ينام فيها، في أوقات راحته حتى لا ينام.

ومن كثرة تكرارها لهذا العمل، حدث خرق في السقف، فكانت تنتظر حتى يلبس ملابسه ويتهيأ للخروج فتلقي عليه من الخرق، القاذورات التي تنجس ثيابه، ويتضايق المريدون ويثور بعضهم، فيقول لهم ﷺ ملاطفاً: قال ﷺ: { لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنٌ وَلَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَلَهُ جَارٌ يُؤْذِيهِ } ٤٢

ثم يأمرهم أن يبدأوا بها دائماً بعد طهي الطعام، فيعطوها ما يكفيها وأولادها، ويطلب منهم أن يشتروا لها وأولادها كسوة من الملابس كل عام، حتى أنها لما رأت أن صنيعها لا يغير شيئاً، بحثت عن سكن آخر وتركت المنزل.

وبعد هنيهة من الزمن، فوجئت بأبي العزائم يدق عليها الباب ويستأذن في زيارتها، ويعتذر إليها إن كان قد بدا منه أو من أحد من أولاده شيئاً أساءها فاضطرت إلى مغادرة المنزل - وإزاء هذه الأخلاق العالية، لم تتمالك اليهودية إلا أن تعلن إسلامها إعجاباً بهذا الخلق النبيل.

ويلقن الإمام أبناءه في هذا الأمر درساً عملياً عندما قال له أحدهم مردداً قول

^{٤٢} رواه أبو سعيد النقاش والأصبهاني وابن النجار عن علي كرم الله وجهه.



القائل: (اتق شر من أحسنت إليه) فقال ﷺ:

هذه العبارة غير كاملة، اكملها بما يأتي:

((اتق شر من أحسنت إليه بدوام الإحسان إليه)).

وصدق ﷺ إذ يقول:

ليس الرقي إلى العليا بأعمال	ولا الوصول بأقوال وأحوال
ولا بعلم به تغوى ولا أمل	ولا جهاد بأبدان وأموا
لكنه منة من فضل واهبه	به تعد جميلاً بين أبدال
خلق عظيم وإيقان ومعرفة	بالله ذي الفضل والاحسان والوالي
إذا عرفت مقام الله خفت وفي	خوف المقام تنال القرب
هذا الوصال وهذا القرب أجمعه	سعادة أبداً فضلاً بغير زوال

وبالجملة فإن صفات الدعاة إلى الله والعلماء أهل الخشية والحكمة قد أفاض فيها الإمام أبو العزائم ﷺ في كثير من كتبه وأهمها:

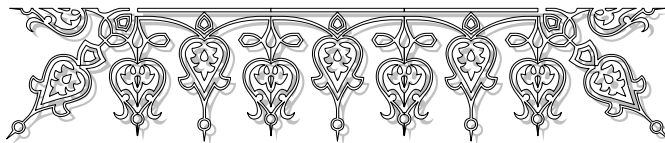
(معارج المقربين) و(مذكرة المرشدين والمسترشدين) و(الطهور الدار على قلوب الأبرار) و(دستور السالكين طريق رب العالمين) و(آداب السلوك إلى ملك الملوك) و(شراب الأرواح من فضل الكريم الفتح) وغيرها من الكتب.

ونكتفي بهذا القدر رغبة في الإيجاز ...

ومن أراد المزيد فعليه بهذه الكتب.

والله الموفق والهادي إلى أقوم السبيل...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الفصل السابع الجهاد الأكبر

تمهيد

أولاً: العلم

ثانياً: العمل بالعلم

- تصحيح الوجهة

ثالثاً: تزكية النفس

الفصل السابع: الجهاد الأكبر

تمهيد

على أن أروع ما قدمه الإمام أبو العزائم من تجديد في العصر الحديث، هو تربية جيل من الصوفية العظام، الذين عرفوا الله حق معرفته، وقاموا في لجة هذا البحر العميق (الدنيا) منارات يهتدي بها الحائرون ويقتدي بها السالكون، فكأنهم المعنيون بقول رسول الله ﷺ: { الْعُلَمَاءُ سُرُجُ الدُّنْيَا وَمَصَابِيحُ الْآخِرَةِ }^{٤٣}

فقد كان ﷺ وهو فرد، مدرسة كاملة يترقى فيها المريد من أوائل مقامات السلوك، حتى يصل إلى منتهى الدرجات قربا من ملك الملوك ﷺ، وهو في ذلك كله أسبقهم عملاً بما يقول، وأنهضهم عزيمة لما يطلب، وأقواهم حالاً فيما يأمر. وفي ذلك يقول ﷺ:

بعض حالي يدك شم وبقولي يلوح نور الجمال

وقد أفاض ﷺ في الحديث على مراتب تهذيب السالكين ومراحل مجاهدتهم، وبين المقامات والأحوال التي يمرون بها في سيرهم وسلوكهم، وذلك في معظم كتبه وأهمها في ذلك الأمر: (معارج القربين) و(مذكرة المرشدين والسترشدين) و(الطهور الدار على قلوب الأبرار) و(دستور السالكين طريق رب العالمين) و(آداب السلوك إلى ملك الملوك) و(شراب الأرواح من فضل الكريم الفتح) وغيرها من الكتب التي لا يتسع المجال لذكرها الآن.

والحديث عن كيفية تربيته ﷺ للسالكين وإرشاده للواصلين، يحتاج إلى مجلدات كثيرة لما يتصف به من تحليل نفسي وسمو روحي ولا تساع جوانبه، حيث

^{٤٣} رواه ابن عدي وأبو يعلى عن علي كرم الله وجهه.

أن السالكين تختلف مشاربهم وأذواقهم، ولكل مشرب ذوقه ومواجيده ومقاماته وأحواله ومنازلاته ومؤانساته وملاطفاته، ولكننا سنجمل ما لا بد منه، حتى لا يخلو هذا المختصر من إشارة إلى مراقي الرجال ومجاهداتهم في المدرسة العزمية، وهي بحسب المراحل الإجمالية التي يمر بها السالكون كما يلي:

أولاً: العلم

فيوجه ﷺ السالك في بدايته إلى تحصيل ما لا بد له منه من العلوم الشرعية التي تصحح عمله ويقول في ذلك:

((عمل بلا علم ضلال وعلم بلا عمل وبال)) ويطلب من المريد أن يجد في تحصيل تلك البدايات - وقد لخصها في مقدمة كتابه ((أصول الوصول)) ويقول في ذلك منبهاً ومشجعاً:

حصل العلم بعزم صادق لا تكن في العلم كسلاناً ملول

حصل العلم بالقدر الذي يقتضيه الوقت لا قال يقول

ومن لم يستطع أن يحصل هذا العلم بنفسه، كان يوجهه إلى تحصيله عن طريق السماع من العلماء أهل الخشية، ويوضح له أمثل الطرق لتحصيل العلم من هؤلاء العلماء فيقول له في الحكمة ((زك نفسك قبل السماع تشرق عليك أنوار العلوم)). ويقول أيضاً:

خذ ما صفا لك من نور الإشارة كن حال السماع قوي العزم والدين

ويطلب من المريد أن يجالس العلماء أهل الخشية ويقول له: كل كلام يخرج من الفم وعليه كسوة من نور القلب الذي خرج منه)) بل يوضح أن تأثير هؤلاء العلماء بحالهم وأنوار قلوبهم، أبلغ من تأثير أقوالهم في نفوس السامعين فيقول: ((تسبق أنوارهم أقوالهم فتجذب القلوب وتطهرها لسماع العلم الموهوب)).

فإذا انتهى المريد من تحصيل ما لا بد له منه من علوم الشريعة، نهاه عن

البحث في المطولات والمراجع، إلا إذا كان مؤهلاً للدعوة إلى الله، فإن تحصيل العلم بالنسبة للداعي إلى الله عبادة خاصة يتقرب بها إلى الله ﷻ، ويحصل له بها من القرب والأجر والثواب ما لا يحصل لغيره من العباد والزهاد.

ثانياً: العمل بالعلم

وهذا هو الركن الأعظم عند الصوفية قديماً وحديثاً، حتى أنه ﷺ يقول ((لا يكون المريد عندنا مريداً حتى يعمل بما علم)) ، ويتوه إلى أن العمل هو الباب الذي يفتح منه للمريد الهبات الإلهية والعلوم اللدنية والألطف الخفية، فيكرر دائماً على أسماع المريدين، قول سيدنا رسول الله ﷺ { من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم }^{٤٤} وحتى يدفع المريد إلى العمل يقول له:

العلم يهتف بالعمل فاعمل تنل كل الأمل

ثم يبين له شئ من هذا الأمل وهي العلوم التي لا تنال إلا بالمجاهدات والمكابدات فيقول:

علم يقين بعده عين اليقين لمن وصل
من بعد ذا حق جلي كبرى الولاية فاتصل

فيبين له أنه بعد أن انتهى من علوم الدراسة، فأمامه علوم الوراثة - وتعريف هذه العلوم باختصار شديد كما يلي:

- أما علم اليقين: فهو الخبر الذي يتلقاه المرء عن صادق،
 - وأما عين اليقين: فهو الخبر الذي يشاهده بعينه ويراه من مسافة قريبة.
 - وأما حق اليقين: فهو ما كان عن مجانسة ومخالطة وقرب هو قرب القرابة.
- ونضرب لذلك مثلاً ببيت الله الحرام ... ، فالناس في شأنه، وشأن العلم به، على ثلاثة أقسام:

^{٤٤} رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس.

- أما الذي سمع عنه ممن سبق له الذهاب إليه وهو عنده صادق، فتيقن من صدق الخبر لصدق المخبر، فهو في علم اليقين.
 - وأما من سافر إلى البيت ورآه من مشارف مكة ولم يصل إليه بعد، فذلك يعلمه ويراه عن عين اليقين.
 - وأما الذي وصل إليه وتحققه وطاف به فذلك ما يسمى بحق اليقين.
- حتى يتشوق إلى نيل تلك العلوم، فيجاهد نفسه على عمل الطاعات والقربات ويفطمها عن الشهوات والمخالفات.

ويوضح في نفس الوقت للدعاة والمرشدين السر الثمين في تثبيت ما حصلوه من علوم، في عقولهم وأفئدتهم فيقول: (العلم يهتف بالعمل اعمل وإلا فارتحل).

وحتى ينال السالك رضاء الله في علمه وعمله، يكشف النقاب عن الباعث الحثيث الذي بسببه يتجمل الأحاب بمواهب الكريم الثواب، وهو أنهم يطلبون العلم الذي به يزدادون خشية لله ﷻ، لا العلم الذي يورث الجدل ويفتح أبواب النزاع والخلافات بين المسلم وغيره أو بين المسلم وإخوانه المسلمين، فيقول ﷺ:

أراقب الله بالأعضاء والقلب	العلم يجعلني أخشى من الرب
وإن علمت علوم الكشف والغيب	إن لم أكن أخشى من ربي فمن
مثل الجبال الرواسي لم يزل	وإن تحصلت من علم ومن فقه
مهواة أهل الجفا والبعد والريب	العلم معراج أهل الحب والحسنى

تصحيح الوجهة:



وللقصد والنية عند أبي العزائم شأن عظيم كغيره من الصوفية الصادقين.

فهم ﷺ يوجهون أحبابهم أن يكون عملهم خالصاً لله ﷻ، طاهراً من شوائب الرياء والعجب والعلة والغرض، وأصل الأصول في ذلك كله عندهم أن يكون العمل ابتغاء رضوان الله الأكبر أو طلباً لوجهه الكريم عملاً بقول الله ﷻ ﴿يَدْعُونَ

رَبِّهِمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعِيَّةِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴿ [٢٨ الكهف].

وفي ذلك يذكر أحبابه بأن الجنة كون كما أن الدنيا كون، ومن وراء ذلك
مكون الأكوان ﷻ فيقول:

((قال الله ﷻ { عجباً لمن رآني دون مكوناتي }، قال العارف: سبحانك
تنزهت!، قال: { من اتخذني وسيلة إلى جناتي فقد رآني دون مكوناتي })).

ويبين ﷺ حاله في هذا المقام ليتأس به السالكون ويقتدي به الواصلون فيقول:

غيري يميل إلى الجنان ويرغب	وأنا الذي منها أفر وأهرب
الكل طمعاً في الجنان تعبدوا	صلوا وصاموا عن رضاك تحجبوا
نار الجحيم مع الرضا هي	أما النعيم بغيره لا أرغب

ثم يكشف الستار عن حال الواصلين، ومنزلة المتمكنين ليشوق إلى هذه
المنازل أهل السلوك والتلوين فيقول عنهم:

وجنة الخلد لو ظهرت بطلعتها	لفارقت حسننها بالزهد همتهم
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم	أحد تنزه تعلمه سريرتهم

ويظهر ﷺ حقيقة الخوف الذي يورق بل ويشغل أصحاب هذا المقام فيقول:

أنا لا أخاف وحقه من ناره	كلا ولا أبغي الجنان لطبيها
فالقرب منه جنتي ومحاسني	والبعد عنه ناره ولهيها

وعلى هذا المنهج يسوق الإمام أبو العزائم ﷺ أبناءه في أعمالهم التي
يتوجهون بها إلى الله ﷻ، فيمرنهم على تفريد الله ﷻ بالعبادة وإفراده سبحانه
بالقصد، ثم يكشف لهم عن معونات الحق ﷻ في العمل لهم حتى يتحققوا بالعجز
والمسكنة والاضطرار ويعلمون حقيقة أنه لولا معونة الله وتوفيق الله ما صح لهم عمل
واحد في هذه الحياة فيقول:

(لا تفرح بالعمل إلا إذا تحققت بالإخلاص فيه، ولا تفرح بالإخلاص إلا إذا

تحققت بإصابة الحق فيه، ولا تفرح بإصابة الحق إلا إذا تحققت بتوفيق الله فيه ومعونته، ولا تفرح بالتوفيق إلا إذا فرحت بالله الذي أقامك مقام العامل لذاته، حتى صرت من عمال الله) ^{٤٥}.

وهكذا فإن السالك عند أبي العزائم لا يبدأ السير إلى الله ﷻ إلا إذا صحح الوجهة فجعل عمله وقوله ونيته وماله وكله لله ﷻ ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [الأنعام].

وهاكم مثلاً واحداً من آلاف الأمثلة في توجيه الأستاذ ﷺ لطلابه ومريديه في تصحيح الوجهة لله ﷻ:

فقد كان ﷺ يزور الشندويلي باشا بجزيرة شندويل بالقرب من سوهاج، ومعه أحبابه ومريده، ورأى واحداً منهم على غرة بنت الشندويلي باشا، فهام بها عشقاً حتى ملكت عليه كل جوانحه، فتغير حاله واضطرب باله، وبدت عليه علامات الذبول والنحافة، فلما رآه ﷺ على هذه الهيئة - وكان يختفي منه ليقينه باطلاعه على حالته - سأله عن سبب تغير حاله فأجابه ولم يدس (يُخْفِ) عنه شيئاً، وطلب منه أن يطلب من الباشا أن يزوجه بابنته، ولما كان الشندويلي باشا لا يؤخر لإمامه طلباً، فقد استجاب بسرعة، بل إنه هياً مكاناً للزواج وأقام العرس فوراً بعد عقد القران، ودخل الرجل بزوجته، وفي الصباح إذا به يأتي إلى أبي العزائم مدعوراً! فسأله ما بك؟

قال: لقد ماتت زوجتي، فقال له: امكث معها في حجرتها حتى نأتيك! فأظهر الخوف كطبيعة النفس البشرية تخاف أن تمكث مع الميت بمفردها في مكان، فذهب معه الإمام ﷺ، وقال له: بعد أن رأى حالتها: أليست هذه محبوبتك؟ التي من أجلها ذبلت ونحلت وتغير حالك؟ أليست هذه التي كانت شغلك الشاغل وهمك الملازم وفكرك الدائب؟ ... ثم قال له: يا بني ((فتش عن محبوبك)).

^{٤٥} شراب الأرواح.

وكان الإنسان ليس له إلا محبوب واحد لذاته وجمالاته وكمالاته وهو الله ﷻ. وكل محبوب آخر يحبه الإنسان فإنما هو لظهور بعض صفات المحبوب الأول ﷻ على هذا المحبوب، أو نسبته له سبحانه، قال ﷺ { أَجِبُوا اللَّهَ لَمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ وَأَجِبُونِي لِحُبِّ اللَّهِ وَأَجِبُوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي }^{٤٦}

وكي لا تقف همة المريد عند حد ما في طلب العلم، كان دائماً ﷺ يوجههم إلى طلب المزيد ويقول لهم: إذا كان الله ﷻ قد أمر حبيبه ومصطفاه وهو الذي أفاض عليه علوم الأولين والآخرين أن يقول: ﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [١١٤ طه] فما بالناس نحن؟ وإذا كان سيدنا موسى نبي الله وكليمه عندما سئل من أعلم الناس يا موسى؟ فقال أنا!، أمره الله ﷻ أن يتوجه إلى سيدنا الخضر عليه السلام لطلب المزيد من العلوم التي قال له فيها الخضر: ((يا موسى أنت على علم علمك الله لا أعلمه أنا وأنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وما علمي وعلمك في علم الله إلا كما يأخذ العصفور من هذا اليم)) وأشار إلى عصفور كان يشرب من البحر.

ولذا يقول ﷺ: ((السالك في طريقنا لا يشبع من طلب العلم أبداً، بل هو دائماً عالم ومتعلم، فهو يتعلم ممن فوقه في المكانة والعلم، ويعلم من دونه، ومن قال أنني علمت فقد جهل)) .

وقد روى أن رجلاً من الإخوان أرسل ابنه لطلب العلم في الأزهر وكانت اقامته في دار أبي العزائم، فكان يصافح الشيخ قبل خروجه كل صباح، فيسأله ﷺ عن اسمه؟ ثم يسأله عن عمله؟ فيقول: طالب علم ومرت السنون ... وبعد أن انتهى من دراسته وتخرج، صافح الشيخ كعادته وسأله ﷺ كحالته فأجاب: اشتغل عالم، فقال ﷺ: الآن قد جهلت.

وهكذا فالسالك على معارج الكمالات الإلهية لا يصل إلى مقام إلا بعد أن يكشف بعلم هذا المقام، ولما كان لا نهاية لكمالات الله ﷻ... كان لا نهاية لعلوم الله ﷻ، بل أن الإنسان كلما ازداد علماً! أحس بأن ما يجهله أكثر مما علمه ملايين المرات!!، هذا إذا كان سالكاً على يد عارف رباني وحكيم روحاني يكشفه بحقيقة

^{٤٦} المستدرك على الصحيحين عن ابن عباس، كما رواه الترمذي والحاكم والطبراني باختلاف طفيف في اللفظ.

ثالثاً: تزكية النفس



فإذا لمعت على المريد بواذر الصفاء، وظهرت عليه الرغبة الملحة في نوال الكمالات، والعزيمة الصلدة في الوصول إلى المشاهدات، وتعلقت روحه بالمنازل العالية، والمقامات السامية والأخلاق الراقية، انتقل به ؑ إلى مرحلة جهاد النفس فيقول له:

هذب النفس إن رمت الوصول	غير هذا عندنا عين الفضول
هذب النفس بتوحيد العلي	عن بيان الآي من فرد قؤول
سلمن للمرشد الفرد الذي	يجذب الأرواح عنه لا تحول

ومراتب النفس التي ينزل فيها المريد عند الإمام أبي العزائم هي كما يقول ؑ:

((وتزكية النفس هي تطهيرها من كثافة الجمادية ووقوف النباتية ورعونات الحيوانية وسعير الإبليلية وتشبيه الملكية، فإن الإنسان الكامل وسط كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣] ٤٧))

فالنفوس عند الإمام أبي العزائم ؑ تنقسم إلى سبعة أنواع^{٤٨}:

- ١- النفس الجمادية
- ٢- النفس النباتية
- ٣- النفس الحيوانية
- ٤- النفس الإبليلية
- ٥- النفس السبعية
- ٦- النفس الملكوتية

^{٤٧} الطهور المدار على قلوب الأبرار لإمام أبي العزائم ؑ ص ١١١.

^{٤٨} وقد فصلنا الحديث عن هذه النفوس في كتابنا (النفس - وصفها وتزكيتها) طبعة أبريل ٢٠٠٩، دار الإيمان والحياة ت ٢٥٢٥٢١٤٠

٧- النفس القدسية

ولكل نفس من هذه النفوس نوازعها وفطرها وشهواتها.

فإذا علم السالك هذه الحقائق، استطاع مجاهداتها، ويشرح الإمام رحمه الله بإجمال تلك الحقائق لمن دخل في مقام المجاهدة فيقول:

جاهد نفوساً فيك بالشرع الأمين	واحذر قوى الشيطان في القلب كمين
غل وكيد من حسود ماكر	ظلم العباد بنية في كل حين
هذا اللعين به الهلاك فخله	أسرع إلى القرآن في الركن المتين
والنفس شهوة مطعم أو مشرب	أو ملبس فاحذر بها الداء الدفين
إلا الضرورة فالإباحة إن دعت	فيها الضرورة فأطلبنها من معين
والنفس إن تدعو مساسا فاحذرن	إلا الحلال فإنه الماء المعين
جع اضعفنها واحذرن من غيها	غض الجفون وحاذرن فتك الكمين
والنفس داعية الرياسة فاحذرن	فرعونها تنجو من الداء الدفين
وادخل حصون الشرع قلباً قابلاً	تحيا سعيداً في شهود المتقين
تلك النفوس قوية في فعلها	قد تحجب الأفراد كم أردت سجين
والشرع عصمة سالك يهدي إلى	دار الصفا رضوان رب العالمين
في الشيب جاهد كالشباب وحافظن	فالنفس شيطان يبيد السالكين
والجأ إلى مولاك معتصماً به	مستشفعاً بالأنبياء والمرسلين
مولاي إني عاجز عن كبحها	هب لي اعتصاماً منك بالشرع الأمين
هب لي اتباع محمد واجذب إلى	روض الشهود العبد بالعزم المكين
واقبل متاب العبد وامنحني الرضا	والفضل والغفران من فضل المتين

ويحذر المريد من الركون إلى النفس فيقول:

((النفس ككرة ملساء وضعت على قمة جبل عال منحدر أملس كيف يكون حال نزولها؟)) ليبين لنا أن السالك إذا غفل عن النفس نفساً! ربما يغتر بحاله أو

يطمئن إلى مقامه، فيكون في ذلك هلاكه !! ... فالمريد الصادق، بل والعارف
الواصل، بل والفرد المتمكن، لا يغفلون جميعهم عن جهاد أنفسهم لحظة طالما فيهم
نفس يتردد في هذه الحياة!!! وإلى ذلك يشير بقوله: ((كَمَلُ الأُولِيَاءِ لَا يَرْتَا حُونَ مِنْ
جَهَادِ النَّفْسِ إِلَّا مَعَ خُرُوجِ النَّفْسِ الْآخِرِ مِنْ رُوحِهِمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا)).

وموجز تعريف النفس عنده هي:

جملة الأوصاف التي تشير إليها الحقيقة التي تسمت بها.

فالنفس الجمادية:

هي التي تعمل على جمود الإنسان وتراخيه وكسله وقعوده عن العمل.

والنفس النباتية:

﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ [١٧ نوح] هي القوى المغذية التي تعمل
على تغذية أجزاء جسم الإنسان والمحافظة على نموه.

والنفس الحيوانية:

يجملها ألام أبو العزائم ؑ في قوله:

وابتهاج الحيوان أكل وشرب ونكاح وذاك قصد القصي

والنفس الإبلسية:

والتي تهتم بالنواز الشريرة في الإنسان وتغذيها من مكر وخداع وحيل ووقية
وغيرها، يشير إليها في قوله:

وابتهاج الشيطان حسد وكبر بفساد وفرقة وبغي

أما النفس السبعية:

فهي القوة الغضبية في الإنسان من حمية وشجاعة وتهور وغيرها، والنفس
الملكية: هي النواز الطيبة في الإنسان من حياء وبذل وإشار وصدق ووفاء وهلم
جرا، ويلمح إليها في قوله ؑ:



وابتهاج النفوس بعد زكاها رغبة الفوز بالمقام العلي
هي نفس إن طُهرت وتزكّت تتهنى في خطوة بالولي

أما النفس القدسية:

فهي من أسرار الحق العلية، وهي نفحته البهية التي جملت الهياكل الإيمانية بالحقائق النورانية وجعلتها تشناق إلى المقامات العلية وتحن إلى الجمالات والكمالات الوهبية، وهي خاصة بالأفراد أولي العطية الذين يقول في شأنهم رب البرية في محكم الآيات القرآنية: ﴿يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [١٥ غافر].

والطريق الذي به يستطيع السالك مجاهدة تلك النفوس بعد حصون الشريعة المطهرة والعمل بأحكامها لأنها أكمل حصون الأمن التي يتحصن بها الإنسان في مقامات الجهاد، يلخصها الإمام رحمه الله في هذه المنظومة والتي سماها:

(منظومة السير والسلوك وضوابطهما):

السير سير السالك الأبواب	فوق الصراط بصحة الآداب
في الروض حصن الشرع يسلك ناظراً	لحق لا لظواهر الأسباب
حتى يشاهد مشهد التوحيد في	عين اليقين بصحة الأجباب
بدء الطريق رعاية للغيب في	حل وترحال حضور غياب
يسقي مدامة غيب قرآن الهدى	يعطي الولاية بعد رشف شراب
يفنى فيشهد آية في خلقه	فيرى جمال الوجه في المحراب
من بعد ذاك يراقب الغيب العلي	بالنفس والأعضاء والألباب
وتجرد من فطرة من فتنة	من غفوة سهو وظل حجاب
إن الطريق مراحل هي شهوة	حظ وآمال بنص كتاب
فوق الرواحل همة علم به	ينجو من الشيطان من مراتب

سير واقبال بصدق عزيمة	إحياء ليل فوق سطح تراب
تفريد ربك بالعبادة مخلصاً	ترجوه غفراناً وخير مآب
والصمت معراج وجوعك طهرة	والصمت رفرف حضرة التواب
والذكر منشور الولاية حجة	والخوف حصن الأمن خير جواب
أما الرجا فهو المزاج لواصل	فامزجهما ترقى إلى الأصحاب
هذا الطريق به الوصول لرنا	والقلب طهره من الأسباب
اشهد يد المعطي تفز بالاجتبا	تُعْطَى مقام الحب في الترحاب
عمر بذكر الله قلبك تشهدن	نور الولي ترى ضيا الوهاب
ادخل حصون الشرع معتصماً بها	أعضاءك احفظها مع الآداب
لا تصطفي إلا الحبيب محمداً	تابعه تُعْطَى ثم خير متاب
بالاتباع يحبك الله العلي	وتفوز بالحسنى بنص كتاب

وهكذا يوجز الإمام رحمه الله في هذه المنظومة الرياضات الروحية التي يدخلها السالك ولا يزال يجتازها واحدة بعد واحدة وأبرزها:

- مراقبة الله في الغيب والشهادة.
- ثم التجرد من الشهوات والحظوظ الكاسدة.
- ثم تحصيل العلم النافع.
- ثم العزيمة الصادقة.
- والصمت.
- والجوع.
- والسهر.
- والذكر.



وهم أركان الولاية كما قال القائل:

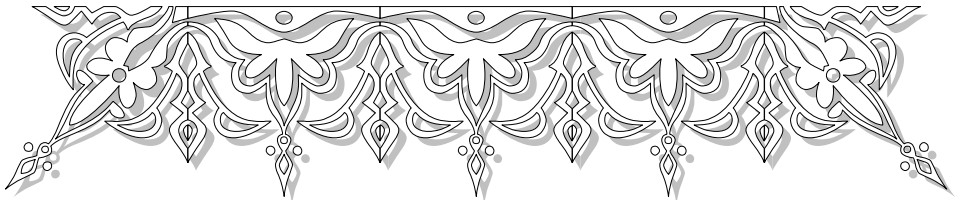
بيت الولاية قسمت أركانه ساداتنا فيه من الأبدال
ما بين صمت وسهر دائم والذكر والجوع العزيز الغالي

ويوضح للسالك الجناحين اللذين يطير بهما في سماء التفريد، وهما الخوف والرجاء، حتى يصل إلى معرفة نفسه، فيعرف ربه بجوده وعطفه وكرمه، فيقول كما قال الإمام أبو العزائم:

عرفت نفسي أنني كنت لا شئ فصرت لا شئ في نفسي وفي كلي
به تنزه صرت الآن موجوداً به وجودي وإمدادي به حولي
ومن أنا عدم الله جملني فصرت صورته العليا بلا نيل

وهكذا يحدد الإمام أبو العزائم رحمه الله جهاد النفس والغاية فيه في كلمة واحدة جمعت فأوعت فيقول:

((المجاهدة للمشاهدة))^{٤٩}



^{٤٩} وقد فصلنا ذلك في كتابنا (المجاهدة للصفاء والمشاهدة) طبعة يناير ٢٠٠٥، دار الإيمان والحياة ت ٢٠٢٥٢١٤٠



الفصل الثامن

الرياضة الروحية

تمهيد

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الفكر - نتائج

الفكر

ثالثاً: الذكر - مراتب

الذكر - أنواع الذكر

الخلوة

الفصل الثامن: الرياضة الروحية

تمهيد

فإذا أراد السالك الوصول إلى الأحوال العالية والتجمل بها، من فراسة صادقة وإلهام بأنواعه، وفتح، وكشف، ومشاهدات، وتجليات، ومؤانسات، وملاطفات، وغيرها مما لا يباح لأهلها التصريح به بعبارة!! .. أو الرمز إليه بإشارة!! ، بل يقولون كما يقول الإمام الغزالي رحمه الله:

فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر
وكما يقول الإمام أبي العزائم:

احفظن سري فسري لا يباح	من يبح بالسر بعد العلم طاح
علمنا فوق العقول مكانة	كيف لا وهو الضيا الغيب الصراح
خصنا بالفضل فيه ربنا	ذاك سرٌّ غامضٌ كيف يباح
والفتى المجذوب بالحب له آية	إن ذاق خمر الحب صاح
وهو مجذوب العناية إن يبح	بالحقائق ما على الفاني جناح

إذا أراد ذلك فلا بد له بعد جهاد نفسه، من تصفية قلبه من الشواغل والصوارف الكونية، حتى يتأهل لنزول الفيوضات والتجليات الوهية، وهي الجنة العاجلة التي يعجلها الله لأوليائه التي يقول فيها الإمام أبو العزائم رحمه الله: ((إن لله جنة عاجلة من دخلها لا يحتاج إلى جنة آجلة إلا وهي المعرفة بالله تعالى)).

والطريق إلى ذلك هو ضروب الرياضات الروحية التي ينزل فيها المرشد السالك بحسب ما تأهل له من مقامات وما يناسبه من رياضات.

وقد كانت الرياضات الروحية عند الصوفية قبل الإمام أبي العزائم ؒ، تكاد تركز على التقشف والزهد والبعد عن التمتع، وممارسة العبادات والأعمال الشاقة حتى تنطوي النفس على الطاعة، وتنجلي مرآة القلب من صدأ الغفلة ..

لكنه ؒ جدد وغير كل هذه الأحوال في نفسه أولاً وفي أحبابه ومريديه ثانياً:

ففي نفسه: كان ؒ يلبس أفخر الملابس، ويضع نظاراً على عينيه في وقت كان لا يملك مثل هذا المنظار إلا نفر قليل من وجهاء مصر، وأقتنى سيارة خاصة يستخدمها في تنقلاته في زمن لم يكن يمتلك فيه السيارة إلا كبار الباشوات، وكان يحرص في أكله أن يكون جامعاً لكل القيم الغذائية المفروض توافرها في وجبة الغذاء أو الفطور أو العشاء صحياً وعلمياً.

وفي تلاميذه كان يوجههم فيقول: ((يا بني لا عليك أن تلبس الثوب البهي وتشرب المشرب الروي وتتغذى بالمطعم الشهي، وتجلس وتنعم بالفراش الوطي، وتنكح أجمل النساء، ما دمت تحصلهم من الحلال، ثم تعرف فضل الله عليك في كل ذلك، وتشكره سبحانه على ما أولاك)).

ومن هنا نجد أن الرياضات الروحية عند الإمام أبي العزائم تختلف كلاً وبعضاً عن كثير من مناهج الصوفية المعاصرة له، وسنلمح إلى بعض منها لنرى كيف كان ؒ يختصر الطريق لمريديه، ويسهل لهم الوصول إلى المطلوب بأيسر جهد وأقل عناء.

أولاً: القرآن الكريم

وهو الركن الأعظم في الفتوحات الإلهية، والعلوم الوهية عند الإمام أبي العزائم. وفي هذا يقول ؒ:

((القرآن المجيد مورد آل العزائم الروي، وروضهم الجنى، وحوضهم المورود، وكوثرهم المشهود، ميزان أحوالهم ومرجع مقاماتهم، يسألونه قبل العمل، فإن أذن سارعوا، وإن منع تركوا واستغفروا، فهو الإمام الناطق وإن صمت، لأنهم يسمعون عن رسول الله ﷺ، فتسمعه آذان قلوبهم حضوراً .. ووجوداً ... وإن كان



التالي له إنساناً آخر ...

وقفت بهم همتهم العلية على القرآن، فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه، فلو أمرهم بقتل أنفسهم لقتلوا، أو بمفارقة أموالهم وأولادهم لفارقوها، فرحين بالسمع والطاعة، تجلت لهم حقائق القرآن جليلة، وانبجست لهم أنواره العلية ظاهرة، فلم تبق بهم همة إلا في القرآن ولا رغبة إلا فيه.

أحبوا القرآن حباً يبنى عن كمال حبهم للمتكلم سبحانه، كاشفهم الله تعالى بمراده في كلامه وبحكمته في أحكامه، فكان عليه السلام أقرب إليهم من أنفسهم، وتجلّى لهم سبحانه في كلامه العزيز حتى كان الرجل منهم إذا سئل لم تعمل هذا؟ يقول أمرني القرآن، ولم تترك هذا يقول نهاني القرآن، وإذا طلب منه أمر يقول: مه حتى أستشير القرآن، فيقرأ القرآن المرة والمرة، حتى تتضح له حقيقة حاله وسر قصده، فيسارع إلى التنفيذ أو إلى الترك، فالقرآن طهور الحب وحلّ القرب ولا يوفق للعمل بالقرآن إلا من جذبتة العناية، واقتطعت المشيئة واختطفته محبة الله السابقة له ^{٥٠}

ونهجته عليه السلام لمريديه، أن يقرأ السالك ما لا يقل عن جزء من القرآن كل يوم، ويقول لهم: ((ليس الشأن أن تحفظ القرآن ولكن الشأن أن يحفظك القرآن)).

فالمهم في التلاوة عنده عليه السلام أن يلاحظ التالي المعاني الآتية:

البهجة بتلاوة كلام ربه، والعزم الأكيد على التباعد عما نهى القرآن، والمصارعة إلى عمل ما أمر به، وأن يشهد عظمة وجلال وكبرياء وعزة المتكلم سبحانه ظاهرة جليلة لعيون سره، فيكون تالياً لكتاب الله متلقياً عنه سبحانه متشرفاً بمعيته جل جلاله.

وهو بعد ذلك كله، يرتّله مخلصاً لوجه الله تعالى ... لا لغرض آخر إلا ابتغاء وجه الله العظيم، وقد تحدث عن هذه الآداب بالتفصيل في كتاب: **"الفرقة الناجية"** وكتاب **"شراب الأرواح"** فليرجع إليهما من أراد المزيد.

^{٥٠} الطهور المدار ص (٩١ - ٩٢).

ثانياً: الفكر



وللفكر عند الإمام أبي العزائم رحمه الله مذاقٌ خاص ... فهو عمدة السالكين، وشراب الواصلين ورحيق المتمكنين، ولا يتحقق للمراد هذا القرب والوداد إلا بسلوك الطريق الذي يوضحه رحمه الله للمرايين والأفراد، فعندما يصفو القلب بالمجاهدات من الشهوات والحظوظ والغفلات، تظهر له أنوار رب العباد عليه السلام منبثة في الكائنات، فيشرب من رحيق ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [٣٥ النور] .. وينزل في مقام ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [١١٥ البقرة] فيشهد أسرار الكائنات، ويعلم حكم الموجودات، وهذا هو المقام الأول في ذكر العارفين، وفي ذلك يقول رحمه الله:

((الذكر هو حضور القلب ويقظته، وحركة الفكر في تركية النفس أو الاعتبار بالحوادث أو التأمل في مصنوعات الله تعالى في السموات والأرض، من أسرار القدرة وغوامض الحكمة وما فيهم من القدرة وما في مراتب الوجود من النسب والارتباطات مما سخر له وقام لأجله، فسبحان البديع المبدع، الذي أبدع كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، هذا هو الروض الزاهر اليانع الذي يطيب فيه ذكر الذاكر وفكر الفاكِر ...))

أما الذكر باللسان عندهم فهو النطق بالاسم المتجلي في الآثار المشهودة التي كوشفوا بها بنور المعرفة، فينطق اللسان بهذا الاسم عن وجد وذوق لمعاني تجلياته، ولهم في كل مشهد اسم يذكر عند حضور القلب، وقد ينطقون الاسم المحيط الجامع اسم الجلالة (الله) عند الاستغراق في شهود معاني جميع الأسماء في أنفسهم وفي الملك والملوك، فتطيب النفس وتزكو وتتجمل بجمال الأحوال، وترقى إلى أعلى المقامات من القرب، والحب، والشوق، والوله، والتأله، والخشية، والرغبة، وغير ذلك من مقامات اليقين، وهذا كله هو ذكر المجاهدين ^{٥١} ((

وهذا الذكر الذي أشار إليه الإمام أبو العزائم هو ما يسمى بالفكر، وهو عبادة كمل الأولياء أهل اليقين والتحقيق، وقد برز جميع العبادات بنص حديث سيدنا

^{٥١} معارج المقربين ص (١٨٧ - ١٨٨).

رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: { لَا عِبَادَةَ كَالْتَّفَكُّرِ } ٥٢ ويقول فيه الإمام أبو العزائم أيضاً ((لحظة فكر بيقين خير من عبادة سنين))

وإن كان هذا الفكر لا يتجاوز - مهما بلغ من صفاء الإنسان ولطافته - الحد الذي حدّه له سيدنا رسول الله ﷺ في قوله: { تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ } ٥٣ فالفكر في آلاء الله موصل إلى السعادة الأبدية، لأن الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الحشية، وما جليت القلوب بمثل الأحزان ولا استنارت بمثل الفكر، وقد عبر عنه ﷺ عن ذلك نظماً فقال:

زج بالفكر في شئون المعاني	ييقين محصن بالأمان
تتجلى من الشئون شمس	مشرقات بنورها الرباني
لا تتجاوز تلك الشئون بفكر	فالمعاني جلت عن الإمكان
ورياض التفكير تلك المراني	وهو كنز مطلسم بالمباني
ودع القلب للمقلب يجلي	فيه ما شاء من شهود بيان

إلى أن يقول ﷺ:

عدّ عن فكرك المقيّد وارحل	عن موازين عقلك الإنساني
وبنور اليقين فاسكن إلى الله	بصدق تفز بالروح والريحان
ما توهمته بميزان كسب	فهو مهواة حاطب حيران
نزّه الذات والمعاني عن الفكر	وجُلّ في سائر الأكوان
جلّت الذات والمعاني تعالت	هي غيبٌ والكون أي البيان

فإذا صفت حضرة الفكر بالرياضة بالذكر، والذكر هنا بحسب ما يلوح للفرد الذاكر، فعندما ينظر الإنسان إلى السماء يشهد سر الرافع فيذكره، وحينما يقع بصره

٥٢ رواه أبو الشيخ عن أبي ذر.
٥٣ رواه ابن ماجه والطبراني عن أبي ذر.

على الأرض يرى سر الباسط فيستحضره، ولما ينظر إلى الماء يجد فيه سر الحي فيتذكره وعندما يلتفت إلى الجبال يتحقق سر القوي المتين فيستعظم قدرته، وأينما ولى وجهه إلى إنسان، لاحظ بعين فكرته ورأى بنور بصيرته نور البصير في بصره وسر السميع في أذنه وجمال المتكلم في لسانه، وغيب المدبر في عقله، وقدرة القادر في قوته، فيكون كما قال الإمام أبو العزائم:

وإن نظرت عيني إلى أي كائن تغيب المباني والمعاني سواطع
لأن المعاني الشمس والكل إذا أشرقت فالنجم بالشمس طالع

وفي هذا المقام ينمو الشوق ويلد الغرام وتتأجج لواعج المحبة للمليك العلام ﷻ، فتستور البصيرة، وتجول في أفق السريرة، فترى من غيوب الرحمن في حيلة الإنسان ما يعجز اللسان عن البيان، فيمثل قول الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه:

أتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
وداؤك فيك وما تبصر وداؤك منك ولا تشعر

فيتحقق بحق اليقين بقول سيد الأولين والآخرين ﷺ { خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ }^٤ أي خلق الله كل مظهر من مظاهر آدم ﷺ، أي كل إنسان على صورته سبحانه، يعني سميعاً وبصيراً متكلاً مع التنزيه الكامل بين العبدية وحضرة الربوبية، فالرب رب وأن تنزل والعبد عبد وإن علا، وهنا يخاطب حقيقته بهذا الخطاب النبيل الذي قال فيه الإمام أبو العزائم:

يا صورة الرحمن والنور العلي يا سدرة الأوصاف والغيب الجلي
فيك العوالم كلها طويت فهل أدركت سرّاً فيك من معاني الولي
خفيت بذاتك من معاني القدس لا يشهدن إلا لذي قلب خلي
أنست بالأكوان بعد شهوده وسجود أملاك العلى بتنزل
أولا سمعت ألسن عند شهوده تومى بأن القدس أول منزل

^٤ رواه الشيخان وأحمد عن أبي هريرة ﷺ.

فاهجر سكونك للكيان وبادرن
بالعزم كي تسكن بوطن أول
فيك المعاني مشرقات بالذي
يرقى به أهل الصفا بتأهل

فإذا أحس الإنسان في قرارة نفسه تلك المعاني، تذكر أدواره الأولى عندما كان عدماً، وعندما صار ماءً مهيناً، وعندما صار نطفة في قرار مكين، ويشهد عناية الله به في تلك الأدوار ورحمة الله به في تلك الأطوار، ثم يتذكر مفارقتة لهذا الجسد الفاني، وإقباله على الله، وما له في الدار الآخرة حيث القيامة، والحشر، والحساب، والميزان، والصراط، والنعيم، والجحيم، فيقبل على الله بكله، وينشغل بذكره سبحانه في كل وقت وآن، ... وإلى ذلك يشير الإمام أبو العزائم فيقول:

أيا أيها الإنسان من طين فخار	تكونت كي ترى مظاهر أسرارى
ومن نطفة أنشأت آياً جلية	بمحض الفضل حصن قرار
تدبر فأنت الطين والماء فأشهدن	جمالي وإحساني وسرى وأنوارى
أكنت سميعاً أو بصيراً وعالمأ	ولكنني أنعمت بالمدرار
نسيت جمال الله فيك تيقظأ	فمن ينسه يلقي سعيه النار
أيا طينة الصلصال من بجماله	تحليت بالأنوار بعد فخار
أتنسى مفيض الفضل والجود والعطا	وتهجر أورادي وتترك أذكاري
وللدون والدنيا تميل وترتجي	نوال الرضا والعفو إحسان غفار
تذكر جميلي من (ألست) وبعدها	وتابع سبيلي مخلصاً يا سارى
ولا تنسى إحساني إليك ورحمتي	وكن مخلصاً في خفية وجهار
ولا تشتغل بسواي ترفع للعلا	وتحظى بفضلي صحبة الأخيار
فلا ينس إحسان الجميل وفضله	سوى مبعد أو جاهل وممارى

ويشرح ﷺ للسالك كيف يتحقق بقول الله ﷻ ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١]، ويلمح إلى شئ مما يدركه السالك عند نظره إلى الآفاق سواء في الأجرام السماوية من كواكب ونجوم وسيارات، أو في العوالم الأرضية من بحار وأنهار وحيوانات وحشرات وجمادات ومعادن ونباتات، وإلى شئ

مما يراه في حقائقه الظاهرة كالعينين والأذنين واليدين والرجلين واللسان ، أو حقائقه الباطنة كالعقل والروح والقلب والفؤاد والنفس والسر

حتى يشتد وجده إلى خالق هذه الأنواع، ويتحقق بقول الله ﷻ :

﴿ سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

[٥٣ فصلت]، وذلك في كتاب **النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين** وكتاب **معارج المقربين**، فمن أراد المزيد في هذا الباب فعليه بهما.

نتائج الفكر



فإذا دخل السالك في رياض الفكر.. وانبلجت له أنوار الذكر ...

ظهرت حقيقة نفسه، فعلم وتيقن ذله وضعفه وعجزه وانكساره وغرته، وتلك أكمل جمالات العبيد، التي ينظر إليهم بها وفيها الحميد المجيد.

فعندما سأله سيدينا أبو يزيد البسطامي ﷺ: بم يتقرب إليك المتقربون؟ قال ﷻ: بما ليس فيّ، قال وما الذي ليس فيك؟ قال: الذل والتواضع والمسكنة.

وعندما سأله سيدينا موسى ﷺ قائلاً: { يا رب أين أجذك؟ قال: يا موسى تجدني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي } °، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

بأضداد الصفات أنال قربي وأحظى من إلهي بالوصال

وقال سيدي أحمد الرفاعي ﷺ: ((طرقت سبعين باباً للوصول إلى الله ﷻ فلم أَدْخِلْ (إلا من باب الذل))) ، ويوضح ذلك الإمام أبو العزائم فيقول:

ذلي له عزٌ وجهلي علمه وهو الولي بنوره حلاني

ويقول سيدي ابن عطاء الله السكندري ﷺ: على لسان الحضرة العلية:

فحْدَقْ أعين الإيمان وانظر ترى الأكوان تؤذَنُ بالنفاد

° حلية الأولياء والزهد لابن حنبل وغيرها كثير باختلافات ووردت عن داود عليه السلام قريب منها.

فمن عدم إلي عدم مصير وأنت إلى الفنا لا شك غاد
وها خلعي عليك فلا تزلها وصن وجه الرجاء عن العباد
ببائي أوقف الآمال طرا ولا تأتي لحضرتنا بـزاد
ووصفك فألزمته وكن ذليلاً ترى مني المنى طوع القياد
وكن عبداً لنا والعبد يرضى بما تقضى الموالي من مراد
أأستر وصفك الأدنى بوصفي فتجزى ذاك جهلاً بالعناد
وهل شاركتني بالملك حتى غدوت منازعي والرشد باد
فإن رمت الوصول إلى جنابي فهذي النفس فاحذرها وعاد
وخض بحر الفناء عسى ترانا وأعددنا إلى يوم الميعاد
وكن مستمطراً منا لتلقى جميل الصنع من مولى جواد
ولا تستهدى يوماً من سوانا فما أحد سوانا اليوم هاد

فهذا هو الجمال الذي يجمل الله أهله بحل الكمال الإلهي فإذا وقف أمام مولاه جاهلاً، جملة بعلمه، وإذا تأدب بين يدي سيده وأظهر ضعفه، تفضل عليه بقوته، وإذا ناداه مضطراً لباه، وإذا خضع بين يديه وقد ماتت نفسه عن شهواتها وحظوظها وأغراضها، أحياء الحياة الإيمانية التي يقول فيها ﷺ: ﴿أَوْمَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [١٢٢ الأنعام].

وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

من يمت يحيا باقياً بحياة وبقاءٍ منعم بالعيان
يحيا بالله سامعاً وبصيراً ويبقى بالله في مقام التدانى
ذاك سرٌّ عن دركه كل عقل مبعّد بالحدود والإمكان

فالفكر هو الذي يجمل المراد بحلة العبودية ومرتبة العبدية وهما أرقى المراتب التي يتفضل الله ﷻ بها على أهل الخصوصية حتى أنه ﷺ خصَّ بهذا المقام الكريم حبيبه ومصطفاه في أكثر من موضع في كتابه ﷺ...

فتارة يشي عليه فيقول: ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ اَنْزَلَ عَلٰى عَبْدِهِ الْكِتٰبَ ﴾ [الكهف] ، ومرة يذكر فضله ﷺ عليه فيقول: ﴿ سُبْحٰنَ الَّذِيْ اَسْتَرٰى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَا الَّذِيْ بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ اٰيٰتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء]، وآونة يبين اختصاصه واصطفائه عنده لنزول كلامه فيقول: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِيْ نَزَلَ الْفُرْقَانُ عَلٰى عَبْدِهِ لِيَكُوْنَ لِلْعٰلَمِيْنَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان].

فمقام العبدية هو أرقى المقامات الاصطفائية، والنازلون به هم أكمل الناس شَبْهًا بسيدنا رسول الله ﷺ، حيث كان يخلو بنفسه في غار حراء متفكرًا شهرًا كل عام، حتى قالت قريش في شأنه: (لقد عشق محمد ربه).

وهذه العبادة كانت قد اختفت من بين كثير من السالكين حتى أحيائها وأظهرها الإمام أبو العزائم ﷺ وجعلها الركن الأعظم في الوصول إلى الله ﷻ في نهجه المبارك عندما يعرف بنفسه فيقول:

((محمد ماضى أبو العزائم: الخوف قوامه، والذل حليته، والرغبة باطنه، والرغبة ظاهره، والحيرة رداءه، والصبر أنيسه، والرضا رفيقه، والشكر زاده، والثقة كنزه، والفكر طريقه، والتسليم مذهبه، والتواضع رفعتة، والفقه منهجه، والصدق ضالته، والإخلاص مراده، والسيد ﷺ مقصوده، والله سبحانه معبوده، والشكر ذكره، والدعاء عمله، وما يقرب إلى النار عدوه، وما يقرب إلى الجنة أليفه، وبر الوالدين سروره، وصلة الرحم جوره، وإدخال السرور على عباد الله وصوله، والرحمة بخلق الله تعالى حظوته، والقرآن الكريم خلوته، والحضور بقلبه مع الحق ﷻ جلوته، يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبه وبلغه مراده، وهكذا فليكن كل ماض أو من يحب ماضى

٥٦ (

وهذه العبارة الرائعة، قد تفضل بشرحها فضيلة العارف بالله تعالى الشيخ محمد علي سلامة في كتابه (الإمام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين) وبنى عليها هذا الكتاب، فليرجع إليه من يريد التفصيل.

ثالثاً: الذكر
ذكر الأسماء والصفات:

ظهر الإمام أبو العزائم رحمه الله في وقت غلب فيه على الصوفية ذكر الأسماء الحسنى الإلهية في الخلوات بأعداد معينة يحددها المشايخ، وينقلون السالك من اسم إلى اسم على حسب قواعد معينة وأسماء محددة، تختلف من طريقة إلى أخرى.

وربما ينتج من هذه الأذكار أحوال تجعل السالكين يخرجون عن المألوف، إما بشدة تأثرهم بالواردات التي ترد عليهم، أو خروجهم عن حد الاعتدال في العبادة، وهو الحالة الوسط ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فتؤثر هذه الأحوال على الأعضاء، فيخرج الإنسان أشعث الرأس! حافي القدمين أحياناً!! وأحياناً أخرى يهيم على وجهه في القفاري والجبال!!، وأحياناً يترك الخلق!! ويميل إلى العزلة والبعد عن المجتمع!!، وربما يتفوه بعبارات لا تليق أو لا يفهمها العامة من الناس، وغير ذلك من الأمور التي تبعد كثيراً عن حقيقة التصوف الذي كان عليه سيدنا رسول الله ﷺ. وأصحابه الكرام ...

فأعلن الإمام أبو الغزائم صحبته المدوية والتي حددها في هذا المبدأ الكريم :
(إنما يسعد آخر هذه الأمة بما سعد به أولها) وغيّر مفاهيم الصوفية نحو الذكر
بالأسماء الإلهية فقسمها إلى قسمين:

— أسماء للتعلق.

— وأسماء للتخلق.

أما التعلق: فلا يكون إلا بالاسم المفرد الدال على الذات والجامع لجميع الأسماء والصفات والجماليات والكمالات الإلهية (الله)، وهو الذي أمر الله به حبيبه في قوله سبحانه ﴿ قُلِ اللَّهُ تَزَهُمُ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأأنعام، ١٩١]، وأمر

المؤمنين به في قوله ﷺ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١: الأحزاب] فهذا الاسم هو الذي يكرره السالك في سيره وسلوكه إلى الله ﷻ ...

مستحضراً معانيه مراقباً لعظمة الله ﷻ عند النطق به، متأكداً من خروج الألفاظ كلها من مخارجها الصحيحة عند التلفظ به، لأن سلامة النطق أصل قبول العمل عند الله ﷻ.

وليس للذكر عند الإمام أبي العزائم عدداً مخصوصاً، بل يطلقه لأنه لا يليق عنده أن نعدَّ على الله ﷻ وهو ﷻ لا يعد علينا نعمه السابغة علينا أناء الليل وأطراف النهار.

وأما الأسماء الآلهية التسعة والتسعون، فيقسمها ﷻ إلى أسماء جمال وعددها سبعون؛ وهي مثل الرزاق الوهاب والغفار وما يشبهها، وأسماء جلال وعددها تسعة عشر، وهي القهار والمنتقم والجبار وأمثالها، وأسماء كمال وعددها عشرة؛ وهي الفرد - الصمد - الواحد الأحد وهلم جرا.

وكل هذه الأسماء عنده ﷻ للتخلق بحسب مقتضياتها أي أن السالك يتخلق بهذه الأسماء في سلوكه وعمله ومعاملاته للخلائق أجمعين، ونضرب لذلك مثلاً فنقول:

ليس الشأن أن تذكر اسم الله ﷻ العفو مائة ألف مرة أو يزيد ثم يسئ إليك أخ مسلم فترفض أن تعفو عنه، ولكن التحقق بهذا الاسم أن يكون العبد متأسياً بقوله ﷻ {وَأَن أَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَنِي} ^{٥٧}.

وكذا ليس ذكر اسم الله الكريم يجعل الإنسان يتحقق به ولو ذكره ملايين المرات!! وهو لا يفتح بيته للضيفان والمحتاجين، أما الذي يبرز كرمه ويفتح داره متحققاً قول رسول الله ﷺ: {يَدْخُلُ الضَّيْفُ وَرِزْقُهُ مَعَهُ، وَيُخْرَجُ بِذُنُوبِ أَهْلِ الدَّارِ

^{٥٧} رواه ابن مردويه من حديث أنس وقيس بن سعد بن عبادة.

فيلقيها في البحر { ^{٥٨} فهذا هو الذي يكشفه الله ﷻ بأسرار اسمه الكريم، ويجعل له النصيب الأكبر من فضل الله العظيم المتعلق باسمه سبحانه الكريم!!

وهكذا يتخلق السالك بكل اسم من هذه الأسماء عند مقتضياته، فيتخلق مثلاً بالقهار والمنتقم والجبار عند ملاقاته لأعداء الله، ويتخلق بالرحيم واللطيف بأخوانه المؤمنين، ويتخلق بالباسط والودود لذوي رحمه، ويتخلق بهذه الأسماء كلها بحسب مقتضياتها حتى يحبه الله ﷻ، فإن الله ﷻ يتفضل بمحبته على من تخلق بأسمائه الحسنى سر قوله ﷻ { إن الله يحب من خلقه من كان على خلقه } ^{٥٩} وقوله ﷻ في معنى الحديث: { إن لله تسعة وتسعين خلقاً، من تخلق بواحد منها دخل الجنة ، فقال سيدنا أبو بكر ؓ: أفي واحد منها يا رسول الله؟ قال: بل فيك كلها يا أبا بكر }

ويعتبر ﷻ التخلق بالأسماء الحسنى الآلهية هو أكبر نسب ينتسب به الإنسان، ويسببه يتفضل الله عليه بكل أنواع الكرم والجود والود والعطف الآلهي، فيقول ﷻ موضحاً هذا النسب الآلهي:

((نسب به يقبل عليك ونسب به تقبل عليه، فإذا تجمل بهما الإنسان، كان مع الله وكان الله معه، وصار محبوباً لله مراداً لذاته، وأي شرف أعظم وأكمل من اتصال نسب العبد بالله تعالى .

النسب الذي يقبل به عليك، إقبال امداد واحسان ووداد وامتنان وشفقة ورحمة ورأفة حتى يمنحك منه ما تشاء أو يكون لك عنده ما تشاء، هو تحققك بحقيقتك وانكشاف معانيك لك حتى لا تنس من أنت نفساً ولا طرفة عين ! فتكون بهذا الانكشاف دائم الاضطرار والتوكل عليه، والنفويض لجناحه العلي والفقر لذاته الأحدية، فإذا تحققت النسب الذي هو حقيقتك، أقبل عليك بمعاني الربوبية، وقابلك بواسع الإحسان والعطية، فكنت ممتعاً بالجنة العاجلة التي يعجلها لأوليائه،

^{٥٨} رواه الديلمي عن أنس والدارقطني عن عائشة.

^{٥٩} رواه الطبراني عن أسامة بن شريك النيزاني.

لأنك باتصالك بنسبه العالي استحققت الولاية الخاصة وخصصت بالكرامة والعناية.

والنسب الذي تقبل به عليه سبحانه هو التخلق بأخلاقه الإلهية في المضايق التي تدفعك بقوة إلى التخلق بأخلاقك الحيوانية أو الأخلاق الإبلسية، عند ذلك تجاهد نفسك في ذات الله وتتخلق بخلق الكريم عند مقتضى ذلك مقبلاً عليه سبحانه لأنه سبحانه يحب صفاته ويحب أخلاقه خصوصاً إذا ظهرت في شخص يمكنه أن ينفذ مراده السيئ وموجب خلقه القبيح بدون أن يحصل له من ذلك مضرة، فيكون تخلقه بخلق ربه في هذا الموطن رفرف أعلى للدخول على حضرته العلية بدون حاجب ولا مانع، ولم يترق مقرباً على سلم أقرب من هذا النسب، فإن نفساً واحداً يتنفسه الرجل متخلقاً بخلق من أخلاقه ﷺ بمقتضاه يكشف عنه جميع الحجب حتى يتشرف بالمواجهة والمشاهدة))^{٦٠}.

ويشير إلى هذا الإمام في بعض مواجيده النظمية فيقول:

نسباً نسب حقيقي ومقامي	ثم انتسابي للمقام السامي
فالأول التوفيق للعمل الذي	هو شكر نعمة موجب إكرام
حل بها أنا عبده متحقق	بالذل والتكليف بالإسلام
لأقوم بالطاعات مفتقراً إلى	نيل القبول بصحة الإحرام
نسب العباداة للقريب تقربي	لحظيرة الرضوان والإنعام
وبها أكون أنا العبيد لخالقي	عند الصلاة لذاته وصيام
أما انتسابي للمقام تخلقي	بجماله السامي بنص كلام
نسب به كشف الغيوب لواصل	وتحقق بالكشف لا الأوهام

وكان ﷺ يحث مريديه على التخلق بهذه الأخلاق العلية في كل فرصة تسنح له، بل ويتابعهم في ذلك من وراء حجاب، وهو الذي يقول في حكمته البالغة

^{٦٠} شراب الأرواح ص (٦٠، ٦١).

الجامعة: ((ليس بشيخ من لم يمدك من وراء حجاب)).

فهذا رجل من خاصة أصحابه يريد أن يصفاحه، وكان قد حدث بينه وبين أمه خلاف، ولا يعلم أحد بذلك، فيرفض ﷺ مصافحته ويقول له زاجراً ومؤدباً: ((هذه يدٌ عاقاة ولا أسلم على يد عاقاة، يا بني اذهب فاستعطف أمك واكسب ودها فهو خير لك من ملء السماء والأرض والبحر عبادة لله ﷻ))

وهذه واحدة من النساء الفضليات حرمت من نعمة الولد، فتذهب إليه ﷺ تسأله أن يدعو الله ﷻ لها لتنجب، فيستشف بروحه النورانية أن أم زوجها غير راضية عنها، فسألها عن ذلك فتجيبه بالإيجاب، فيقول لها: اذهبي وارضى حماتك يهب الله لك الولد، فتفعل ويكرمها الله ﷻ بالولد ببركة هديه وإرشاده.

وهذا رجل من أخصّ أخوانه حرم أيضاً من نعمة بقاء الولد، فكان كلما ولدت زوجته طفلاً مات، وكان يوجد بينه وبين أخ صادق آخر خلاف، فيقول له ﷺ: إذا أردت أن يعيش لك ولد فسمه باسم أخيك فلان، لينبهه بأن ترضية النفوس هي التي تستجلب الخير من حضرة القدوس.

وهذا سائقه الخاص وكان مسيحياً فأكرمه الله بالإسلام على يديه وسماه صهيب الرومي تيمناً بسيدنا صهيب ﷺ، يكشف له ببصيرته النورانية وشفافيته الروحانية عن سر إسلامه فيقول له: يا بني زر أمك التي أرضعتك لبن الإسلام، فيتعجب لأن أمه مسيحية! وتمسكة بدينها، ثم يستقصي الأمر فإذا به يعلم أن أمه مرضت وهو طفل صغير، وكانت تسكن بمدينة الإسماعيلية فأخذته جارة لها مسلمة وأرضعته فكان لبنها سر إسلامه، فذهب إليها وودها وبرها لأنها أمه في الرضاعة.

وهكذا لا يترك ﷺ مريداً سالكاً تحقق صدقه عنده إلا ويراقب سلوكه وأخلاقه ببصيرته النافذة، ويوجهه إلى تصحيح حاله وتحسين خلقه وإخلاص قصده، تارة في الدروس العامة إن كان لا يتحمل المواجهة لصغره في مقام التربية، وأخرى فيما بينه وبينه إن كان قد تأهل لهذا المقام العالي، ويلوح للجميع بأسرار الوصول إلى رضى حضرة البديع فيقول:

تفاض على أولي الهمم العوالي	هي الأخلاق أسرار المعالي
وتشهد به نور المثال	ترى الإنسان إنساناً عياناً
كما يجلى على المملك الموالى	يلوح عليه نور الوصف يجلى
فحلّ مقام أعلى بالجمال	بأخلاق المهيمن قد تحلّى
وفقر للغني به نوال	فذلّ للعلي به فخارى
وأحظى من إلهي بالوصال	بأضداد الصفات أنال قربي
بأفق القلب شمس الاتصال	بأخلاق المراد وقد أضاءت
لأفق شروق أنوار المجالى	على الخلق العظيم به رقى

مراتب الذكر

ويقسم ﷺ الذكر إلى قسمين:

١- ذكر اللسان.

٢- ذكر القلب.

ويشير إليهما في قوله:

الذكر ذكران ذكر القلب ولسان هما مقاما شهودي دار رضوان

فذكر فؤادي رؤية الوجه ظاهراً وباسم الذي أهواه ذكر لسان

ويقول أيضاً: ((لا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر، والذكر يكون باللسان ويكون بالقلب، فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب، وذكر القلب عليه المعول؛ فإذا كان العبد ذاكرةً بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه حال سلوكه))^{٦١}

^{٦١} مذكرة المرشدين والمسترشدين صفحة (٢٣).

ذكر اللسان:

فيبدأ المريء عنده بذكر الورد القولي لليوم واللييلة ويشتمل على:

- ١- الاستغفار مائة مرة بالنهار ومائة مرة بالليل.
- ٢- قول (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير) مائة مرة نهاراً، ومائة مرة بالليل.
- ٣- الصلاة على النبي ﷺ بهذه الصيغة:

((اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة تحل بها العقد وتفرج بها الكرب وتزيل بها الضرر وتهون بها الأمور الصعاب، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا رب العالمين)) مائة مرة بالنهار ومائة ليلاً.

فإذا انجلى القلب وحضر مع ربه كاشفه بذكر القلب وبين له مراتبه، والتي يجمعها ﷺ بقوله: (إذا ذكر اللسان سكنت النفس وإذا ذكرت النفس سكن القلب وإذا ذكر القلب سكنت الروح وإذا ذكرت الروح سكن السر وإذا ذكر السر سكنت نفخة القدس وإذا ذكرت نفخة القدس ذكر الله تعالى) ...^{٦٢}

ذكر القلب:

وذكر القلب عنده له منازل عدة بحسب ما يلوح للسالك من الأنوار وما تتحمله حقائقه من المواجهات والأسرار، وإجمال هذه المنازل هو:

- ١- ذكر القلب:
- وهو استحضار عظمة الله استحضاراً يجعله ﷻ يسيطر على غاشية القلب؛ فلا يتنفس الإنسان نفساً ولا يتحرك حركة إلا وهو يراقب الله ﷻ وهو مقام المراقبة.
- ٢- ذكر السر:

^{٦٢} جوامع الكلم ص ١٤.

وهو انكشاف الستار عن حقائق الأسرار الخافية في المظاهر والآثار. فأينما تقع عين رأسه على أثر من آثار قدرة الله تشهد عين بصيرته ما فيه من أسرار وحكم وخواص أودعها فيه الله.

غض عين الحس واشهد بالضمير تشهدن يا صب أنوار القدير

٣- ذكر الروح:

وهو شهود تجليات الأسماء الإلهية منفعة في جميع المظاهر الكونية حيث أن الكون كله يدور ويتحرك بسر انفعال هذه الأسماء.

٤- ذكر اللطائف البرزخية:

وهذه اللطائف هي الحقائق النورانية غير المرئية والكامنة في الهياكل الإنسانية، فإذا فنى الإنسان عن عوالم الأكوان واتصلت روحه بحضرة الرحمن، ذكرت اللطائف وذكرها في المواجهات بحسب ما يلوح لها من الكشف والعيان.

وتلك المراتب وهذي المنازل لا يستطيع السالك أن ينزلها بمفرده ولكن لابد له من مرشد يوجهه ويلاحظه ويحفظه من الحظوظ الخفية، والقواطع والحجب النفسانية، حتى تستوي حقائقه النورانية على جودى الأمان في لجة الألوهية.

الخلوة

والخلوة عند الإمام أبي العزائم ؒ تغاير مفهومها عند السادة الصوفية، فالخلوة عند الصوفية: بناء محاط بالجدران يسع إنساناً واحداً واقفاً أو جالساً أو نائماً، يدخل فيها السالك بإذن شيخه، ليتحقق له الصفاء، ويحدث له الفتح، وهذه الخلوة عند الإمام ؒ لا يجب أن يدخلها المريد إلا بعد أن يتحقق الشيخ أن قلبه قد خلا من الصور الكونية، وأن سره قد صفا من الهواجس النفسية، وإلا كان كما يقول ؒ:

كم عابد في ظلمة لا يشهدن إلا وساوس نفسه بخيال

هذا بالإضافة إلى أن هذه الخلوة الموصوفة سابقاً تجعل المريد قاصراً نفعه على نفسه ولا يتعداه إلى غيره، بل ربما قصر في حق من كلفه الله بأمرهم، ولكن الخلوة الحقيقية كما بينها الإمام أبو العزائم هي خلوة القلب وطهارته بالكلية من جميع الشواغل الكونية، والخلجات والخواطر النفسية وتوجهه وانشغاله بالله عز شأنه، ومن كان هذا حاله لا يهتم أن يكون في عمله بين زملائه أو في بيته مع أولاده أو حتى في السوق يقضي حوائجه لأنه لا يشغله شاغل عن الله ﷻ، وحاله تعبر عنه السيدة رابعة العدوية فتقول:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للخليل مؤانس وحبب قلبي في الفؤاد أنيسي
ويقول في ذلك أيضاً الإمام أبو العزائم ﷺ:

أنا حاضر وحبب قلبي لم يغب نفساً فما هذا الغرام البادى
يا ذكر لم أك غافلاً عن بغيتي فلم الهيام وفي الفؤاد مرادى
فأجابني لم تنس نفساً إنما ذكر الحبيب مدامة الأفراد

أنواع الذكر

وحتى لا يمل السالك، نوع ﷺ الأذكار والأوراد ليدخل من ورد إلى ورد ومن طاعة إلى قربة، فيكون لسانه أبداً رطباً بذكر الله وقلبه دائماً يستحضر عظمته كأنه يراه سبحانه وتعالى.

ومن تلك الأنواع على سبيل المثال، غير ما ذكرناه سابقاً من الفكر وتلاوة القرآن والورد القولي ما يلي:

١ - الأحزاب:

والحزب يعني دعاء مخصوص يتوجه به العبد إلى الله ﷻ إذا حزبه أي أهمله أو

شغله أمر فيكشف عنه الله ما نزل به بسر هذا الدعاء.

وقد ترك ﷺ ما يزيد عن الخمسمائة حزب، وإن كان أغلبها ما زال مخطوطاً ولم يطبع حتى الآن إلا أنها تمثل قمة النشر الصوفي، من حيث الصياغة والعبارات إلى جانب ترفيتها للقلوب وإخمادها للنفوس، بما تحويه من تضرع وابتهالات.

وسنذكر منها هنا حزباً واحداً كيان عملي لتوضيح ما سبق أن ذكرناه، وهو الحزب الذي اختاره ﷺ ليردده أحبائه مع الفتوحات الربانية في الصلاة على خير البرية عند جلوس الإخوان واجتماعهم مع بعضهم البعض ويسمى حزب الحصن الحصين:

حزب الحصن الحصين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَهَلَا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ يا جبار يا قهار يا منتقم يا شديد البطش يا حي يا قيوم يا علي يا عظيم، ﴿ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ ﴿ ١٥ ﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ ١٦ ﴾ إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿ ١٧ ﴾ الله أكبر (٥ مرات) كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ (٥ مرات) يا سلام يا حافظ يا قريب يا مجيب يا رءوف يا حفيظ احفظنا من أهل الشر كلهم ومن شرهم وأربط على قلوبهم وألسنتهم وأبصارهم وأسماعهم، واجعلهم خاضعين لنا يا عزيز (٣ مرات) لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿ ١٨ ﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وهذا الحزب إذا كرره الإنسان صباحاً ومساءً يحفظه من الآفات ويقيه من الحسد والسحر ويلبسه تاج الهيبة وحلة العزة.

٢- الفتوحات الربانية في الصلاة على خير البرية:

وللصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم شأن عظيم في تهذيب نفوس السالكين وترقيق حالهم عند الإمام أبي العزائم رحمه الله.

وقد أفاض الله ﷻ عليه ما يزيد على الخمسمائة فتح في الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ بعبارات تكشف عن صريح مقامه ﷺ، وتبين مقداره العظيم عند الله ﷻ وتوضح خفي كمالاته التي تجعل القلوب تتعلق بهذا الحبيب المحبوب تعلقاً صورياً أو معنوياً حتى يكشفها الله ﷻ ببعض مقاماته العلية.

وقد طبع من هذه الفتوحات المباركة خمسون فتحاً واختار الإمام رحمه الله أربعة منها يتلوها المريدون في جماعة في مجالسهم التي يعقدونها لذلك وهي موجودة بكتاب نيل الخيرات، ويكفي أن نشير إلى صيغة واحدة من تلك الصيغ لنعلم قدر ما ناله الإمام أبو العزائم من حنان وعطف ووداد سيدنا رسول الله ﷺ وهو الذي يخاطبه فيقول:

عشقت ولكن بعد رأى عيوني فصح غرامى ثم طاب جنوني

تلك الصيغة هي نهاية الفتح الثاني ويقول فيها:

((اللهم صلّ وسلم وبارك على الرحمة العظمى لجميع العالم، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، ومتعنا باتباعه ﷺ واحمنا بحمايته ﷺ واجعلنا من أهل شفاعته ﷺ، وأحبنا بمحبته ﷺ، وأوصلنا إليه على براق سنته ونجائب محبته وابعثنا محفوفين بأنواره ملحوظين بعين رأفته وحنانته، فائزين بجواره في مقام يغبطنا عليه الملائكة والمقربون إنك واسع المغفرة والفضل مجيب الدعاء، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ١٧ فَاَسْتَجِبْنَا لَهُ وَجِئْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّرُ الْمُؤْمِنِينَ))، صلى الله على سيدنا محمد أجود الأجودين وعلى آله وصحبه الكرام والتابعين لهم على الدوام آمين)).

وقد تحيّرت مرة في مبلغ هذه الرحمة فرأيت مناماً كتاباً ضخماً مكتوب عليه بخط كبير ((الرحمة العظمى لجميع العالم)) ثم تصفحته فإذا فيه شرح وافٍ لكيفية إيصال الرحمة المحمدية لكل العوالم العلوية والسفلية مبوبة لكل صنف على حده، فكان شيئاً يبهر العقول ويحير الألباب، فعلمت أن الإمام أبا العزائم ما عبر في هذه الصيغ الكريمة من الصلوات إلا عمّا شاهده من مقامات الحقيقة المحمدية، فهو يميّط اللثام عن أسرارها ويكشف الحجب عن أنوارها ويظهر أسرار كمالاتها في هذه الصيغ المباركة التي نرجو الله ﷻ أن يقيض لها من يقوم باخراجها وطبعها لينتفع بها المسلمون أجمعون.

وليس أدل على رفعة مقامه ﷺ عند سيدنا رسول الله ﷺ من تقسيمه للصلوات التي تلقاها العارفون من سيدنا رسول الله ﷺ إلى ثلاثة أصناف:

١- صلوات عديدة:

وهي الصلوات التي يهتم فيها صاحبها بأعداد ما حوله من الكائنات ويذكرها في صلواته، ظاناً أنه يعطى من الأجر على قدر أو عدد ما يذكر، وإن كان في الحقيقة لا يأخذ إلا أجراً واحداً على كل صيغة لأنها صيغة واحدة مثل ... :

(اللهم صلّ على سيدنا محمد عدد ذرات الرمال، وعدد قطرات البحار، وعدد أوراق الأشجار، وعدد بذور الثمار .. الخ).

٢- صلوات مددية:

وهي التي يمد بها سيدنا رسول الله ﷺ أحبابه من الصالحين عن طريق الإلهام، كالصلوات المنسوبة لسيد عبد السلام بن بشيش وسيد أحمد البدوي وسيد إبراهيم الدسوقي وغيرهم من الأقطاب والأنجاء.

وقد جمع كل هذه الصيغ الشيخ يوسف النبهاني في كتابه (سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين).

٣- صلوات شهودية أو (عينية):

وهذه تكون في مقام المواجهات الشديدة لسيدنا رسول الله ﷺ وأصحابه يتملون به ﷺ ويشاهدون جمالاته وكمالاته ويفاض عليهم في تلك الحضرة من عيون هباته ومن ميزاب تفضلاته، فيعبرون عما يشاهدون، ليشوقوا السالكين والمحبين، وهذا الحال يعبر عنه الإمام فيقول:

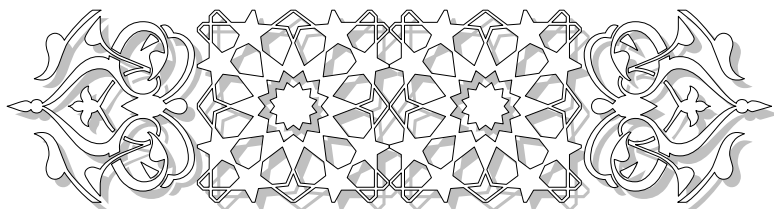
من خمر نور جمالك	ومن رحيق وصالك
شربت صرفاً فهمت	وهام أهل كمالك
ومبشرى قال هيا	قم فالحما لك سالك
فسرت وهو إمامي	حتى وصلت هنالك
وأصبح القلب نوراً	والقلب قد كان حالك
ناديت يا ليت قومي	قد يعلمون بذلك

ويقول أيضاً:

وناداني الإمام هيا أذاك الوصل بالبشر
فقم للدير يا ماضي فإني قد صدر أمري
تملأ بي وشاهدني ومل عندي عن الغير
وأنبأ من يرد قربي بحسني حيث لا يدري

ومن ذلك نعلم أن الصلوات الممنوحة للإمام أبي العزائم ؑ:

إنما هي عبارات تكشف عن أسرار ... ومشاهدات ...!! وتبين جمالات وكمالات الحقيقة المحمدية والأنوار الأحمدية التي خص بها سيدنا رسول الله ﷺ خاصة المحبين والمهمين والعاشقين لذاته المحمدية ﷺ.



الفصل التاسع

أدب الدعوة إلى الله

تجرو الدعوة إلى الله

تهذيب الرعاة إلى الله

أحوال الرعاة الروحانية

آداب وأوصاف الرعاة إلى

الله

أنواع الرعاة إلى الله

تجرو الدعوة إلى الله



يرى ﷺ أن الدعوة إلى الله ﷻ تتجدد في كل زمان ومكان لأنه ما من زمان إلا وتجدد فيه أحداث لم تكن على عهد السلف وتظهر فيه شئون تقتضيها سعة العمران والتغيرات الزمانية والمكانية والعلمية.

ولما كانت تلك الأحداث والشئون لا بد وأن ينظر إليها بعين الشريعة لثبت حكمها من حيث الحل والحرام والندب والكراهة والوجوب والمنع، وكان لا بد لكل زمان من أفراد يصطفيهم الله بنفسه فيفقههم في دينه ويلهمهم الصواب في القول والعمل، ويقيمهم مقام رسله صلوات الله وسلامه عليهم، فتتطوي النبوة في صدورهم، إلا أنه لا يوحى إليهم ...

ولذلك نظائر في الأمور المحسوسة فإننا لو عرضنا أمراض هذا العصر على ابن سينا وابن بختيشوع وغيرهما من كبار الأطباء، لجهل هذا المرض ولما علم له دواء، فكما أن الله سبحانه يحدث في كل زمان أطباء للأشباح لطفاً بالخلق ورحمة بهم، فهو سبحانه أرحم الراحمين بعباده، فيجدد لهم رجالاً يستنبطون الحكم على كل حدث حدث، أو شأن تجدد، وهم ورثة رسول الله ﷺ، سر قول الصادق المصطفى: دوق ﷺ:

{ العلماء ورثة الأنبياء } ٦٣

ومعلوم أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما ورثوا نوراً وهدى، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم^{٦٣} «وإننا نرى دون تحيز أو عصبية، وإنما إحقاقاً للحق، أن الإمام السيد محمد ماض أبو العزائم هو المجدد لهذا العصر، لأنه جدد أحوال السلف الصالح في أخلاقهم وعقيدتهم وعباداتهم ومعاملاتهم، وأحيا ما اندرس من أحوال الأئمة السابقين سواء في جهاد الأعداء أو في محاربة الظالمين أو في تهذيب السالكين، أو في التبشير بالإسلام بين غير

^{٦٣} رواه ابن النجار عن أنس.

^{٦٤} الطهور المدار ص (١١، ١٢).

المسلمين أو محاجة ومعارضة المستشرقين.

وقد كان ﷺ مدرسة كاملة تتشعب من جوانبها جميع العلوم الإسلامية النظرية والعملية إلى جانب ما أفاضه الله عليه من العلوم الوهبية والأحوال السنية، فرضي الله تعالى عنه وجزاه الله عنا وعن المسلمين أجمعين خير الجزاء.

هذا ولا تزال دعوته ﷺ موصولة في صدور الدعاة الصادقين من خاصة أتباعه الذين أشار إليهم فقال: ((من أراد الوصول فعليه بعبد موصول، وعليه بحفظ الأصول، وأول أصل من الأصول ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٧: الأنبياء])).

تهذيب الرعاية إلى الله

وفي سبيل ذلك كان جهاد الإمام أبي العزائم ﷺ في إعداد الدعاة إلى الله بالصفة والكيفية التي وضحها فيما ذكرناه، فبعد أن ينزلهم في منازل الجهاد والرياضات الروحية، يكشف لهم بين الآونة والأخرى الحجب والقواطع التي تعوقهم عن بلوغ المراد وهي كما بينها ﷺ عقبات للسالكين لخصها ﷺ فيما يلي:

- ١- الحرص على الدنيا والجاه والرياسة ونظره إلى خصوصيته.
- ٢- غرور المريد بعمله وعلمه وبشاء الخلق عليه.
- ٣- ميله إلى حب الكرامات وشهرتها بين الناس.
- ٤- الانشغال باقبال الخلق عليه فيرغب فيما في أيديهم.
- ٥- الاشتغال بالجدل مع الخلق ومعاداتهم.
- ٦- أن يصرف المريد وقته ملتفتاً عن المرشد مشغولاً بما يبعده عن منازل القرب ومشاهد الحب.
- ٧- تمكن العدو من المريد وابهامه بأنه يدافع عن الحق وعن السنة،

فيرى أن عمله هذا هو الحق، فيعتقد في نفسه أنه خدَم المرشد ونفعه، ولولاه لم يكن له طريق وينسى نفسه^{٦٥}

أما حجب الواصلين وقواطع المنتهين، فقد فصلها ﷺ في كتابيه شراب الأرواح ومذكرة المرشدين والمسترشدين فمن أراد المزيد فعليه بهما.

ونشير هنا إلى شئ من طريقته ﷺ في تربية الدعاة إلى الله ﷻ فقد كان ﷺ إذا صحبه السالك وأخلص في صحبته وصدق في إرادته، يمن الله ﷻ عليه ببركته، فيفتح الله له باباً من الإلهام يجعله يعجز العلماء بل ويدهش الحكماء عندما ينطق بالحكمة العالية التي أفيضت على قلبه من الله ﷻ سر قوله سبحانه ﴿ ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [٦٥ الكهف].

وأخطر ما يحيق بالسالك في هذا الوقت، أن يرى نفسه صاحب هذا العطاء، أو يتيه على غيره بالفضل الذي حظى به من ربه، أو ينس حقيقته الطينية ويطلب من الخلق عطاءً أو ينتظر منهم التعظيم له، فكان ﷺ يلاحظ أولاده ليخرجهم من هذه العقبات ويجعلهم لا يلتفتون إلى دنيا أو آخرة أو كرامة أو منزلة فيقول لهم:

(من كان الله مراده فمقعد صدق وراءه):

ويحذرهم فيقول:

(إذا كان لك غير الله مراد، فكيف تبلغ منه منازل القرب والوداد؟).

فإذا نسي السالك أو تناسى لانشغاله بنفسه هذه القواطع والحجج أخرجه بطريقة أو بأخرى وخذوا أمثلة نيرة على ذلك ...:

مرة يؤدب العلماء الذي رأوا لأنفسهم شأنًا نتيجة علمهم وإقبال الخلق عليهم مع أنه حذرهم من ذلك فقال:

فإذا دعاهم أن يدلوا غيرهم قاموا بحول منه لا بفخار

^{٦٥} معارج المقربين ص ١٤٤.

يدعون والرهوت ملء قلوبهم بالهدى هدى المصطفى
وإذا رأيت الخلق مقبلة فلا تركن ركون مقرب من نار
فالخلق فتنة من أردت صدوده وشهود أهل البعد في الأدوار

ولذلك جاذبة وقعت في مدينة منفلوط، وهي بلدة تشتهر بالعلم والعلماء ...

فأتى رحمه الله رجل صياد من بلدة برج البرلس، وهو الشيخ عرفات الجمال، وأمره أن يلقي الدرس بالمسجد الجامع، ووجه الإخوان جميعهم، بما فيهم الدعاة والعلماء لاستماعه !!!، فأتى بالعجب العجيب حتى أبهر الحاضرين، وأضحلت أنفس العلماء والدعاة في أعينهم، عندما رأوا هذا الأمي الذي كان لا يقرأ ولا يكتب، وقد أفاض الله عليه من العلوم ما لم يقرأوه في كتاب، أو يسمعه من عالم، فذهبوا وأثنوا عليه عند الشيخ !!!

وأحس رحمه الله بشفافيته النورانية بأن هذا الشاء حرك نفسه نحو العجب (أي اعجاب المرء بنفسه) وهو من أخطر الأمراض والعقبات على السالكين، بل إنه أكبر قاطع عن اللحاق بمنازل المقربين، فخرجه رحمه الله من هذا العائق في الحال بقوله:

(عرفات لقد كان يشرب الجوزة ويلق فيها حلق ذهب !!) وهذا أمر لم يكن يديره إلا عرفات فقد كان قبل أن يتوب الله عليه على يد الإمام رحمه الله، يشرب المسكرات مع صديق له ويتناولون الجلوس في منازلهم، وذات مرة، تنافس مع زميله على أيهما يبقى مدة أطول مع الشرب المتواصل لا يؤثر فيه الشراب ولا يسكر، وكانا بمنزل صديقه فشرب وعبَّ حتى ثمل صديقه وبقي هو على حالته، ولكي يثبت لصديقه صحوه، قام فخلع الحلق من أذن زوجة صديقه وهي نائمة وعلقه في الجوزة، وذكره رحمه الله بهذا الأمر الذي يدل على قوة بصيرته، حتى يتذكر بدء حقيقته فيعلم فضل الله عليه فلا يغتر ولا يعجب بنفسه ...

وهذا الأمر أيضاً كشف لنا شدة ملاحظة العارفين لمريدهم، وأن هذه الملاحظة ليست من بدء سلوكهم معهم، بل أنها من بداية ظهورهم ووجودهم، وفي ذلك يقول سيدي سهل التستري رحمه الله:

((إني أعرف أبنائي من يوم ألت بربكم، وأريهم وهم في أصلاب آبائهم منذ ذلك اليوم))

وقد كان يقول الإمام أبو العزائم ؑ مطابقاً لهذه الحقيقة:

(أبنائي في أصلاب آبائهم لما يأتوا بعد).

وأحياناً كان يتدخل تدخلاً مباشراً على بعد، ليخرج السالك من غفوته، تارة في اليقظة وأحياناً في النوم.

ونضرب مثالين على ذلك من آلاف الأمثلة التي يرويها أحبابه ومريدوه، فأما في اليقظة فتدل عليه هذه الحادثة:

فقد طلب أهل ههنا بمحافظة الشرقية منه ؑ في بيته بالقاهرة وهم يزورونه أن يرسل معهم واعظاً يذكرهم، فأمر ابنه المبارك السيد أحمد ؑ أن يبحث في ثنانيا الإخوان الحاضرين عن واعظ يكلفه بهذا الأمر، وبعد جهد قال: يا سيدي لا يوجد أحد على الإطلاق لا من الدعاة ولا من الإخوان الواعظين، فقال: من عندك من الإخوان؟ فقال: لا يوجد إلا الشيخ عبد العليم. (وهو تاجر بصل أمني من منطقة بولاق) فقال: أحضره. فأتى به وخلع عليه جبة كانت له وعمامة يحتفظ بها في دولابه الخاص، وذوده بالنفقات وأمره أن يتوجه مع إخوانه إلى ههنا ليذكرهم.

فأفاض الله ﷻ عليه من العلوم الوهية والأسرار العلية، حتى أنه وكان يتحدث في الجامع الكبير بههنا، وكان بالمسجد أسرتان تبرص كل منهما بالأخرى لعداوة قديمة بينهما، لكنهما تأثرا بما سمعا، فما كان منهم إلا أن قاموا يعانق بعضهم بعضاً، ويصافح بعضهم بعضاً وهم نادمون على ما فرطوا في أنفسهم...

واستمر هذا الحال المبهر مع الشيخ عبد العليم تاجر البصل الأمني ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث، وكان جالساً في غرفته التي خصصها له الإخوان، تحركت نفسه فأعجب بنفسه، فوضع العمامة بناحية على رأسه من شدة إعجابه بحاله وشأنه، وإذا

به يرى ويتحقق أن ما عنده وما في صدره قد ذهب ولكنه كان حصيف الرأي، فعندما علم أن أمره سينكشف، طلب الإخوان وأخبرهم بأن الشيخ طلبه ولا بد أن يسافر في الحال !!!

وسافر ليجد الشيخ مستعداً للقاءه، وأخبره بما وقع في نفسه وأعطاه درساً في هذا الأمر حتى لا يتبع رعونات نفسه، ولا يركن إلى عجبه طرفة عين ولا أقل من ذلك ولا أكثر.

وأما مناماً:

فكما حدث في مدينة المنيا عندما دعت جمعية الشبان المسلمين الإمام أبا العزائم رحمه الله للقاء محاضرة بها، ولشدة إعجابهم بحضرته، طلبوا منه أن يحدد لهم ميعاد لقاء آخر، فأشار عليهم أنه لن يتمكن في ذلك الوقت، ولكنه ينيب عنه الشيخ محمد أبوشريف (وهو ترزي عربي بمدينة المنيا).

وذهب الشيخ أبو شريف، وألقى محاضرة في بر الوالدين أذهلت السامعين، حتى أنهم لشدة إعجابهم به طلبوا منه تحديد موعد آخر لمحاضرة أخرى، فضرب لهم موعداً دون أن يستأذن من الشيخ، وشعر في نفسه بأنه صار عالماً جهيداً لا يحتاج إذناً، وإذا به يرى الشيخ رحمه الله في المنام يؤنبه ويذره ويقول له: كيف تحدد ميعاداً بدون إذن من الشيخ والله ﷻ يقول ﴿ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَعِذُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَعِذُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور، ٦٢]، ثم لطمه على خده فقام من نومه وقد أصاب وجهه ورقبته شلل، حتى أنه لا يستطيع أن يحرك رقبتة أو يلفت وجهه، فأحس بجرمه وعرض نفسه على الأطباء لاستحيائه من الذهاب إلى الشيخ، ولكنهم عجزوا جميعاً عن تحقيق الشفاء.

وبعد خمسة عثر يوماً، أخذه الإخوان إلى الشيخ وكان بمنزله في المطاهرة في

ذلك اليوم، فوبخه وعنفه ليستيقظ ويتوب من هفوته، ثم صفح عنه ولطمه على الجهة الأخرى لطمه عادت بها رقبته إلى حالتها الطبيعية.

وهكذا كان لا يغفل ﷺ عن ملاحظة الدعاة والمرشدين حتى في اخص شئونهم، تهديباً لنفوسهم وتخليصاً لهم من عشراتهم حتى كان يخبرهم بخلجات نفوسهم وأحاديثهم مع غيرهم ... وخذوا مثلاً:

كان ﷺ في دسوق نائماً، وإذا به يستيقظ فجأة ويقول لخدمه أنتوني بعبد الحي، فقالوا إنه يزور سيدي إبراهيم الدسوقي، قال: أعلم، فلما أحضره وامتلأ واقفاً بين يديه، قال له: لم تشكوني إلى سيدي إبراهيم الدسوقي؟ قال: يا سيدي لي شهران لم أزر أولادي في الإسكندرية واشتقت إليهم، قال: وهل منعتك من ذلك؟ أو قد طلبت أنت ذلك ورفضت أنا؟ قم الساعة! واذهب لترى أولادك، وذوده بالزاد والنفقة اللازمين لذلك.

أحوال الدعاة الروحانية



فإذا وصل الداعي إلى مقامات الحقيقة، وفتحت لعين بصيرته أنوار الطريقة، وجهه إلى المحافظة بشدة على آداب الشريعة، لأن أكبر ما يقطع السالك عن الله ﷻ في هذا المقام هو الحال أو الاعتقاد أو القول الذي يخالف أحكام الشريعة.

فيقول لهم ﷺ:

(إذا تعارض كشفك مع القرآن والسنة، فاضرب به عرض الحائط، وقل لنفسك إن الله ﷻ ضمن لي العصمة في اتباع القرآن والسنة ولم يضمنها لي في الكشف). ويحذر من تحدثه نفسه في هذا المقام بالكرامات والرغبة في ظهورها على يديه لشهوة في نفسه، ولكنها شهوة خفية لا يطلع عليها، بل ولا يتنبه إليها إلا كمل الواصلين يقول لهم:

(ليست الكرامة أن تطير في الهواء، لأن الطير يفعل ذلك وليست الكرامة أن
تمشي على الماء، لأن السمك يفعل ذلك وليست الكرامة أن تطوى لك الأرض
لأن إبليس وهو عدو الله ﷻ يفعل معه ذلك، وإنما الكرامة: أن يكرمك الله ﷻ
بالاستقامة، فالاستقامة خير من ألف كرامة).

أما من تحدثه نفسه بأنه وصل واتصل، ومادام قد وصل واتصل فلا عليه من
ترك العبادات الشرعية لأنها في نظره، وسائل للوصول إلى الحقيقة وهو يعتقد أنه قد
وصل إليها يقول له:

(من ترك الصلاة وقال إني قد وصلت فقل له: قد وصلت ولكن إلى سقر،
لأنه لو كان أحد يرفع عنه التكليف، لكان الأولى بذلك سيدنا رسول الله ﷺ أو
الخلفاء الراشدين أو العشرة المبشرين بالجنة، وهؤلاء كان أكمل الناس قياماً
بالأحكام الشرعية والعبادات الإسلامية)
ويوجه إلى ذلك نظماً فيقول:

لسنته فاخضع وكن متأدباً وحاذر فحصى الشرع باب السلامة
على الجمر قف إن أوقفك تواضعاً يكن لك برداً بل سلاماً برحمة
وهكذا يوضح أن العصمة والحفظ في المنازل والمقامات لا يكون إلا
بالمحافظة على أحكام وأوامر الشريعة المطهرة.
الشرع عصمة سالك يهدي إلى رضوان رب العالمين

ويبين لهم أن الأحوال تنقسم إلى ثلاثة:

١- أحوال ربانية وهي المحفوظة بالآداب والتعاليم الإلهية.

٢- أحوال طبيعية أو (نفسانية):

وهي التي توسوس بها النفس الأمارّة أو تصوّرها للإنسان أوهامه
وخيالاته الفاسدة من أشياء يراها في نفسه وليس لها وجود في عالم الحقيقة.

٣- أحوال شيطانية:

وهي أحوال الأدعياء التي يخدعون بها الناس ليصلوا بها إلى
أغراضهم وأهدافهم الخبيثة.

ويبين ﷺ المقامات والمنازل التي يمر بها الواصل ويشرح لكل منزلة آدابها،
ويبين عقباتها حتى يكون السالك على علم بما يعرض عليه، وذلك في كتاب شراب
الأرواح وكتاب الصوفية والتصوف وكتاب مصطلحات الرجال، وإن كان الأخيرين لم
يطبعا بعد.

آداب وأوصاف الدعاة إلى الله



وضع ﷺ أوصافاً وآداباً للدعاة إلى الله ﷻ ينبغي أن يكونوا عليها حتى
يستطيعوا أن يؤثروا في الناس، فمن جملة هذه الآداب التي يتجملون بها مع الناس:

١- (أن يكون الداعي إلى الله تعالى:

- حكيماً رحيماً حريصاً على النفوس.
- معتقداً عند الناس.
- مشهوراً باتباع السنة والكتاب والعمل بهما.
- متباعداً عما ينفر القلوب من كل الأعمال والأخلاق والأحوال.
- وأن يكون متمكناً من أصول التوحيد.
- طبيباً حاذقاً بأمراض النفوس ودوائها.
- خبيراً بمداواة الناس، فاهماً منزلة كل إنسان، له معرفة بسيما الناس

- التي تدل على خفى طباعهم وغرائزهم ومكنون أخلاقهم^{٦٦}
- ٢- أن يألف الناس، ويتحمل أذاهم ... حتى يألفوه، ويرغبهم في الأخلاق الكريمة.
- ٣- أن يجاهد نفسه ليعمل أولاً بعلمه ثم يدعو الناس إلى ذلك.
- ٤- ألا يفرق بين الناس بسبب الفقر أو الغنى أو الجاه أو النسب في الاقبال عليهم والبشاشة لهم.
- ٥- لا يستحي إذا كان لا يعلم أن يقول لا أعلم، كما لا يستحي أن يطلب العلم ممن فوقه دون التعصب لشيخه.
- ٦- أن يتحصن بالحصون الشرعية عند دواعيها، وفي ذلك أمور كثيرة فصلها الإمام رحمه الله في وصيته الجامعة حيث يقول لإخوانه وأحابه:
- (الواجب علينا أن نتباعد عما يرينا أو يوقعنا في الريبة عند الناس، بأن نتحصن بالحصون الشرعية، فلا نتكلم أمام الناس بخصوصياتنا ولا بخصوصيات المرشد.
- ولا نفضل طريقتنا أو أستاذنا على الطرق الأخرى ولا على الرجال، لأن ذلك يوقع المسلمين في فتنة وشغل في غير الحق.
- وأن نحافظ على إخواننا المسلمين من الوقوع في غيبتنا وظن السوء بنا، بترك الأعمال التي لو عملناها لا تضرنا ولكنها تلفت المسلمين إلى ذمنا مثل:
- أن نترك الصلاة في المساجد بالتلذذ بها في الخلوة.
- ومثل أن نترك الكلام مع الناس اشتغالاً بالأنس بالله.
- ومثل أن نترك العمل في الدنيا توكلاً على الله.

^{٦٦} مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ١٠٢.

- ومثل الخلوة بالأجنيبات تحصناً بمراقبة الله تعالى واعتقاد أنه لن يضره ولن يضرها ذلك، لعلمه بنفسه ومعرفته بالكبائر المحرمة شرعاً.

فإن ذلك موجب لوقوع الناس في الشر وفساد اعتقادهم في الطريق وأهله.

ومثل ترك الملابس وتكلف لبس المرقعات، مما يجعل الناس يقعون فيه، فإن ذلك مخالف لطريقتنا ومبدأنا لأننا نحب اقبال الخلق على الله ودعوتهم جميعاً إلى الحق.

ومن كان هذا طريقه وحاله، فالواجب عليه أن يؤلف الخلق اجمعين لا فرق بين المسلم وغيره من المجوسي واليهودي والنصراني، وأن تأليفهم يكون بالمحافظة على وصايا القرآن الشريف، وكمال الاقتداء بسيدنا ومولانا محمد ﷺ في السر والعلن، وبأن يخفي مواجيدته وأحواله وأساره عن العامة حتى يكون مع الخاصة^{٦٧}

٧- بذل ما في اليد للناس تأليفاً لهم وعدم التطلع إلى ما في أيديهم.

٨- ترك الجدل مرة واحدة إلا ما كان لبيان حكم من الأحكام الشرعية مختلف فيه ويكون بالتالي هي أحسن.

أما أخلاقهم التي يتحلون بها في ذواتهم وأنفسهم، فلقد أجملها ﷺ في قوله واصفاً الدعاة الصادقين إلى الله:

(الصبر مطيتهم، وجمال الأخلاق رائداهم، والحلم سفيرهم، والحياء وزيرهم، والخشية من الله قوامهم، ووجهه الكريم قبلتهم، وفضله ورضوانه مبتغاهم، سرورهم اقبال الخلق على الله فهي تجارتهم التي يبذلون لأجلها النفس والنفيس، وهي كما وصف الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ...﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَوْنَ فِيهَا تحيةً وسلاماً﴾ ﴿٧٦ - ٧٣﴾ الفرقان]. ومقاماً

^{٦٧} مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ٣٤.

وقد اشتاق إليهم رسول الله ﷺ ووصفهم بإخوانه ﷺ، فهم أبداله ﷺ وخلفائه ﷺ وخلفاء ربنا ﷺ، قاموا مقام الرسل عليهم الصلاة والسلام بالرحمة والعاطفة والرأفة والحرص على المؤمنين والزهد فيما سوى الحق، يحبون عباد الله في الله ورسوله ﷺ، ويرغبونهم فيما عنده ﷺ بين خوف لا يبلغ درجة اليأس وطمع لا يؤدي إلى أمن من مكر الله.

أخلصوا لله سرائرهم، فجمال الله ظواهرهم وبواطنهم وأخلصوا له المعاملة فأكرمهم سبحانه بالمواجهة والمنازلة.

نظروا الدنيا بعين شهدت الحق فاحتقروها، وسكنوا فيها بأبدان قلوبها في الملاء الأعلى فاستوحشوها، وأقاموا فيها بآمال غايتها الأنس بالله فهجروها، فهم في الدنيا وليسوا فيها.

ظهر الحق لهم جلياً فاتخذوا الله ولياً، وعلموا مرتبتهم فتولوا خالقهم، علموا الناس بأعمالهم قبل أقوالهم وبأحوالهم قبل أعمالهم، فالرجل منهم واحد في الخلق وهو أمة عند الله تعالى.

هذه هي صفات الدعاة إلى الله تعالى وأحوالهم، فمن ظفر بواحد منهم فقد وصل إلى الله تعالى وعرفه سبحانه^{٦٨}

أنواع الدعاة إلى الله

وقد قسم ﷺ الدعاة إلى الله ﷻ إلى أربعة أصناف هم:

١ - العلماء بالله:

وهم الذي عرفوا حقيقة أنفسهم فكاشفهم الله ﷻ بذاته سبحانه

^{٦٨} نيل الخيرات الطبعة (١١) ص (١٢ - ١٣).

وأسمائه وصفاته.

٢- العلماء بأيام الله:

وهم الذين فقهوا قول الله عز وجل: ﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾ فعلموا الأيام التي لها شأن وقدر عند الله، فذكروا بها انفسهم حتى لانت جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وإلى طاعة الله، ثم قاموا يذكرون بها غيرهم حتى يخرجونهم من ظلمات الشكوك والأوهام إلى نور الطاعة والقرب من الملك العلام، وقد فصل تلك الأيام تلميذه النجيب الشيخ محمد علي سلامة في كتابه (أيام الله) فليراجعه من يريد الاحاطة بتفصيل ذلك.

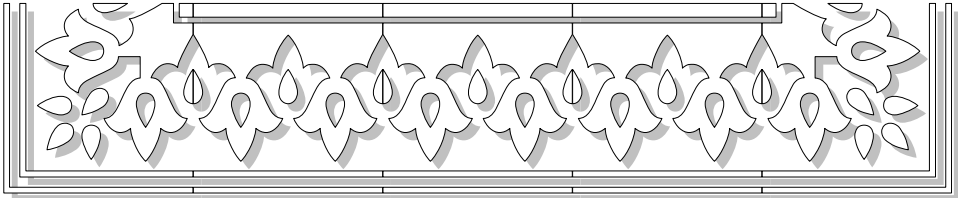
٣- العلماء بأحكام الله:

وهم حملة الشريعة الأمانة الذين يحفظون أحكام الله في العبادات والمعاملات ويفصلونها للناس بحسب الوقائع والمناسبات.

٤- العلماء بحكمة أحكام الله:

وهم الذين عملوا بالأحكام ليصلوا بها إلى معرفة الحاكم ﷻ، فكاشفهم ﷻ بالحكمة التي من أجلها أوجد وفرض هذه الأحكام على عباده.

وقد أشار ﷺ إلى الحكم المختلفة للصلاة والزكاة والمعاملات في كتابه (أسرار القرآن) وأشار إلى حكمة أحكام الصيام في كتابه (صيام أهل المدينة المنورة) وأشار إلى حكمة أحكام الحج في كتابه (هداية السالك إلى علم المناسك).



الفصل العاشر

جهد الإمام أبي العزائم
في إصلاح المجتمع الصوفي

الحاجة إلى الطريق

● حالة أهل الطريق في عصره

جهوده للإصلاح أهل الطريق

- المرحلة الأولى:

بيان أحوال السلف الصالح

- المرحلة الثانية:

بيان أوصاف أهل الطريق وأهوائهم

- المرحلة الثالثة:

وعوته إلى توحيد أهل الطريق

- المرحلة الرابعة:

المرشد الدال على الله

شبهات في أئمة الطريق

- الشبهة الأولى: الولي المجزوب

- الشبهة الثانية: أبناء الصالحين

- الشبهة الثالثة: النسب الشريف

- الشبهة الرابعة: أوعياء الحال

- المرحلة الخامسة:

آواب أهل الطريق

آواب أهل الطريق

تمة

الحاجة إلى الطريق



يرى ﷺ أن الناس جميعاً لا يحتاجون إلى سلوك طريق القوم، وإنما يحتاج إلى ذلك أصحاب الهمم العالية من المؤمنين، وأصحاب العزيمة الصادقة من المخلصين، والذين تنبعث من نفوسهم الرغبة الصادقة في الوصول إلى ما كان عليه السلف الصالح من أحوال ومقامات عند الله ﷻ، وفي ذلك يقول ﷺ:

وليس الكل مطلوباً لهذا ولكن خص لبعض أفراد قليلة
فدار أهل عصرك واجتنبهم وواصلهم على قدر الضرورة
فمنكرهم يسئ ومن يسلم فقربه ولا تأمن شروره
ومن طُلبَتْهُمْ عين العناية يروك بعين أنوار السريرة
وهو يقسم مراتب الدين إلى أربعة هي:

١- الإسلام.

٢- الإيمان.

٣- الإحسان.

٤- الإيقان.

ويرى أن أهل الطريق هم أهل مقام الإحسان وأهل مقام الإيقان.

أما مقامات الإسلام والإيمان فيكفي أهلها العمل بظواهر الشريعة والاستقامة على الطريقة، لعدم علو همتهم إلى هذه الأحوال العالية التي لخصها في قوله:

الحب مبدأنا والوجه قبلتنا والمصطفى قدوتي فاعلم مراقينا

ولما كان الإنسان لا يستطيع أن يلج هذه المقامات، وأن يدخل هذه المنازلات بمفرده، لعدم علمه بمزلاتها وعقباتها لزمه أن يبحث على المرشد الحي القائم الذي خبر هذا الطريق وسلك دروبه ومفازاته واقتحم صعابه وعقباته، ورده

الحق إلى الخلق ليدعوهم إلى حضرة ذاته كما قال ابن البنا السرقسطي في منظومته:

إنما القوم مسافرون لحضرة الله وظاعنون
فاتحوا فيه إلى دليل عالم بالسير وبالمقيل
قد سلك الطريق ثم عاد ليخبر القوم بما استفاد

فيقول ﷺ مبيناً حاجة السالكين إلى الطريق: (يلزم لمن أراد أن يسلك طريق الله تعالى - لتحصل له النجاة والفوز والسعادة والوصول - أن يبدأ أولاً بالبحث عن الرجل الحي العالم بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ، والعالم بتزكية النفوس وتخليصها من أمراضها ورعوناتها، والعالم بالأخلاق المحمدية المتجمل بها، الممنوح الحال الذي به يجرد النفوس من أحوال التوحيد، العالم بعلوم اليقين ومشارب الأبرار ومشاهد المقرين، العالم بحقيقة التوحيد الخالص من الشرك الخفي والأخفى، فإذا وجد هذا الرجل، فهو إمام أهل عصره جميعاً، والواجب عليهم جميعاً أن يتركوا الحظ والهوى والعلو في الأرض والتعصب للأباء والأجداد إقبالاً على الله تعالى، وتحقيراً لكل لذة يعقبها العذاب، وكل سيادة تنتج الشقاء، وكل شهرة تؤدي إلى حرمان الرحمة والغفران، وكل وظيفة تبعد عن دار الكرامة والإحسان الأبدي)^{٦٩}

وهذا الرجل هو ما يسمى في اصطلاح القوم الشيخ أو المربي أو المرشد أو الدليل أو الرفيق في السفر إلى الله ﷻ، وقد كان السلف الصالح ﷺ يسافرون آلاف الأميال بحثاً عن هذا الرجل، فهذا الإمام أبو الحسن الشاذلي ﷺ يأتي من تونس إلى مصر بحثاً عنه، ثم إلى بلاد الشام وبلاد العراق، وهناك أخبره الشيخ أبو الفتح الواسطي أن شيخه في بلاد المغرب وقال له: (جئت تبحث هنا عن القطب، والقطب عندهم).

وهكذا نجد كمل الرجال لا يصلون إلى بغيتهم إلا بعد البحث عن الرجل الحي الذي أقامه الله لدلالة الخلق على الله والذي يقول فيه الإمام علي رضي الله تعالى عنه وأرضاه وكرم الله وجهه:

^{٦٩} مذكرة المرشدين ص (٥٧).

(اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجة إما ظاهراً مشهوراً وإما باطناً مستوراً
ثلاثا تبطل حجج الله تعالى وبيناته).

حالة أهل الطريق في عصره

لكنه في العصر الذي ظهر فيه الإمام أبو العزائم رحمه الله، اندرست كثير من معالم الطريق، وأصبح الناس يشغلون بأمور لا تمت إلى طريق القوم بصلة، وجعلوها هي أساس الطريق، فمثلاً: جعلوا لكل طريقة زياً خاصاً بها إذا لبسها المريد صار من أهل هذا الطريق وإن كان لم يتحقق باطناً بأحوال أهلها، ومن ذلك ما يقول رحمه الله:

(ومن الدعاة الجهلاء من يجلسون في وسط العامة فيذكرون اسم ولي من أولياء الله ويشنون عنه الأقاصيص المفيدة بأنه ينفع ويضر، وأن من اتبعه يكثر ماله وولده، وأن من زار قبره تقضى حوائجه ويموت أعدائه، ويذكرون لهم من الكرامات ما هو حق وباطل، حتى يرغب الناس فيكون الضرر بذلك من جهتين: من جهة أنهم يتبعون طريقه لعاجل فان، فيكونون ممن يعبدون الله على حرف، ومن جهة أخرى أنهم يتبعونه لينتفعوا به من الجهة التي لا يمكنه أن ينفع نفسه ولا غيره منها، لأن النافع هو الله ويحرمون النفع من الجهة التي ينتفع منها لأن الله أقامه سبباً للنفع فيها، وهي جهة تلقي العلوم وفهم فقه القرآن الكريم وتزكية النفس وفهم أسرار التوحيد، وكشف حكم الأحكام أو التجمل بعلوم اليقين مما به السعادة الأبدية التي لا تذكر الدنيا بجانبها بشئ إلا كما يذكر العدم مع الوجود، وقد يحصل ضرر ثالث لا يقل عن هذين الضررين، وهو أن يكون الرجل الذي يدعون إليه متوفياً وليست له كتب علمية ينتفع بها من يقتدي به، فيحصل الضرر لمن اتبعه بحرمانه من طلب الرجل العالم الذي جعله الله نوراً والانتفاع بعلمه والاقتداء بعمله)^{٧٠}

فانكر رحمه الله هذه الأحوال التي ظهرت من هؤلاء المدعين ووضحها وبينها،

^{٧٠} مذكرة المرشدين ص (٩٨).

إحقاقاً للحق وإزهاقاً للباطل، فقد كان مرة في مدينة دمياط، وجاءه نفر من الأدعياء ومعهم بعض الثعابين والحيات وقالوا له: نحن نمسك الثعابين والحيات فماذا تفعل أنت؟

فقال لهم ﷺ: إمساكم للحيات والثعابين هديتم به كم رجل إلى الله عز وجل؟ فسكتوا. فقال ﷺ:

((أما أنا فأخرج حيات الحقد من القلوب وانزع ثعابين الحسد من الأفئدة، وأمسك بعقارب الحظ والشهوة من النفوس وأخرج الناس من هذه الظلمات إلى نور الطاعة في حصون الشريعة))

وأنكر ﷺ على من ينتسبون للعلم أو الطريق ويجعلون العلم أو الطريق باباً من أبواب جلب الدنيا، وأنكر أيضاً على من يشغلون أنفسهم بالمفاضلة بين فلان وفلان أو التعصب لشخص على آخر لحظ أو هوى مستكن في نفسه، فقام ﷺ بجهود كثيرة لإصلاح الطريق وأهله بعد أن نعى عليهم وقال لهم:

(أصبح اسم الطريق مردولاً وأهل الطريق محقرين وأقوالهم مردودة، وأحوالهم منكورة، وأعمالهم مقبحة عند أهل الغرة وأهل الدنيا، لم ذلك؟ وكيف كان ذلك؟ لم يكن ذلك إلا لأن رجالاً اتخذوا الطريق مغماً ومكسباً، فزينوا ظاهريهم للناس لخراب سرائرهم وباعوا الدين بالدنيا، وعملوا أعمال الآخرة بالدنيا، فذهبت أنوار الطريق، ومحييت أسرارهم وانطمست معالمه وجهلت أحوال أهله، وحجبت الامدادات السماوية، والفيوضات الربانية التي كانت تفاض على القلوب العامرة باليقين، والأبدان العاملة بسنة سيد المرسلين، والعقول الجائلة في الفكر في آيات السموات والأراضين، والأنفس السابحة في ملكوت السموات والأرض، والأرواح المواجهة لقدس الجبروت.

أما الآن فأصبحت أجسامهم بلا أرواح.

كل ذلك للاشتغال بالدنيا عن الآخرة وترك البحث عن الرجل المرشد العامل الدال على الله بقوله وعمله وحاله، كثر الحفاظ والمرشدون، وقل الراغبون والطالبون،

يقرأون القرآن لا يتجاوز حناجرهم يجلسون مجالس الأنبياء والقلوب قلوب
الشياطين^{٧١}

وأنكر أيضاً ﷺ على الذين يستخدمون المخدرات في مجالسهم ليفسدوا على
الناس القوى التي بها إدراك الحكمة العالية وكشف خدعهم التي يزخرفونها لأهل
التسليم ليستدرجهم إلى أن يتمكنوا من قلوبهم فيتصرفون في أموالهم، ويلعبون
بعقائدهم.

واشتد انكاره على من يأمر تلاميذه بترك العلم والتعليم وترك الوظائف
والرواتب، بل وترك الأعمال الشرعية موهماً أن ذلك يحجب عن الأنوار، وأرجع كل
ذلك إلى جهل الناس بحالة الطريق وأهله وما كان عليه السلف الصالح من أحوال
ومجاهدات ومقامات، فقام يوضح ذلك كله على ما سنبينه في ما يلي:

جهوده للإصلاح أهل الطريق

وضع ﷺ خطته لإصلاح أحوال أهل الطريق على عدة مراحل:

المرحلة الأولى

بيان أحوال السلف الصالح

فقد أخذ ﷺ يذكرهم في كل واد وفي كل ناد

بما كان عليه أهل الطريق من السلف الصالح من أحوال عليّة وأخلاق ربانية
وعلوم وهبية، جعلت لهم المنزلة العظيمة والمكانة الكريمة، ليس عند العامة فقط بل
عند العلماء الأجلاء، وحتى عند الحكام، ويضرب لهم الأمثلة الكثيرة على ذلك.

نذكر منها على سبيل المثال:

^{٧١} مذكرّة المرشدين ص (٧٦).

كان الرجل من أهل الطريق يمشي فيجتمع الناس عليه، فيردّهم الناس عنه بالسياط فلا يرتدون، ويمر بعده أمير المؤمنين والناس يضربون الناس بالسياط ليجمعوا عليه فلا يجتمعون كان أمير المؤمنين يزور أهل الطريق في بيوتهم فيسمع منهم القوارص من الوعظ حتى يبكي، وفي زيارة أمير المؤمنين هارون لفضيل، وما واجه به ابن جريج أبا جعفر المنصور، وما كتبه بعض الصحابة لأمر المؤمنين عمر، كل هذا دليل على أن أهل الطريق كانوا أئمة للأمر، وسادة للخلفاء لأنهم خافوا الله فأخاف منهم كل شيء، وأقبلوا على الله فأقبل بقلوب الخلق عليهم، وجملوا سرائرهم لله، فجمل الله علانيتهم لعباده.

أنت تسمع من أسرارهم وكراماتهم ما دونه أهل التاريخ عنهم، خصوصاً من ترجموا لأهل الطريق، واعتنوا بآثارهم، كانوا إذا جلسوا في مجلس، لاحت أنوار الحكمة، وظهرت أسرار المعرفة وامتألت القلوب إيماناً، وذكر الله لرؤيتهم، وكره الناس الدنيا بما فيها، ورغبوا في الآخرة وما فيها، وكم أسلم يهودي ونصراني ومجوسي عند سماع عباراتهم، وعلم أحوالهم وبيان أخبارهم.

هكذا كان الطريق وكان أهل الطريق، حتى بلغ من التعظيم في القلوب أن الناس كانوا إذا أقسموا يقولون: وحيات أهل الطريق^{٧٢}

وهذا ما ذكره أيضاً الإمام الشعراني رحمته الله في كتابه الأنوار القدسية حيث يقول:

((وقد أدركنا بحمد الله جملة من أشياخ الطريق أول هذا القرن، وكانوا على قدم عظيم في العبادة والنسك والورع والخشية وكف الجوارح الظاهرة والباطنة عن الآثام حتى لا تجد أحدهم قط يعمل شيئاً يكتبه كاتب الشمال، وكان للطريق حرمة وهيبة، وكان الأمراء والملوك يتبركون بأهلها ويقبلون بطون أقدامهم، لما يشهدونه من صفاتهم الحسنة.

وقد رأيت بعيني السلطان الغوري، وهو يقبل يد سيدي محمد بن عنان، ورأيت السلطان طومان باي الذي تولى بعده يقبل بطن رجله، وطلعت مرة مع سيدي الشيخ

^{٧٢} مذكرة المرشدين ص (٦٦، ٦٧).

أبي الحسن الغمري للسلطان الغوري في شفاعه، فقام للشيخ وعضده من تحت إبطه وقال: يا سيدي عززني في هذا النهار، فأنا ومملكتي كلها لا تفي حق طريقك^{٧٣}

ولو استقرأنا صفحات التاريخ لوجدنا تصديقاً لهذا الكلام العجب العجائب:

فهذا هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي يطوف بالبيت الحرام، فلا يتمكن من الطواف. إلا بمشقة بالغة، ويحاول الجند أن ينحوا الناس عن طريقه فلا يستطيعون، وبعد انتهائه من الطواف، جلس بالقرب من البيت يستريح قليلاً من التعب، وإذا برجل يريد أن يطوف، فيخلي له الناس المطاف بأكمله، بل ويتركون الحجر ليستلمه بمفرده وهم في ذلك كله يتمسحون به ويتركون آثاره، فيسأل أهل الشام هشام بن عبد الملك عن هذا الرجل، فيقولون من هذا؟ فيقول: لا أعرفه - مع أنه يعرفه معرفة جيدة - خوفاً عليهم أن يقعوا في حبه، فلا يسع الفرزدق الشاعر المشهور إلا أن يقول على البديهة:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقي النقي الطاهر العلم
يكاد يمسكه عرفان راحته	عند الحطيم إذا ما جاء يستلم
إذا رآته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
إن عد أهلي التقي كانوا أئمتهم	أو قيل من خير أهل الأرض قيل:
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله	بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا بضائره	العرب تعرف من أنكرت والعجم
يغضى حياءً ويغضى من مهابته	ولا يكلم إلا حين يتسم
ما قال: (لا) قط إلا في تشهده	لولا التشهد كانت (لاؤه) نعم

وقد كان هذا الرجل الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين عليه السلام أجمعين.

^{٧٣} الأنوار القدسية للشعراني.

وهذه عمدة الخليفة المأمون ترى سيدنا موسى الكاظم عليه السلام يمشى في موكبته، وحوله ما يزيد عن السبعين ألفاً، فإذا فتح فاه بكلمة، أسرع ما يزيد على العشرة آلاف قلم يسجلونها في حينها، فانبهرت من هذا الموقف وقالت: هذا هو الملك لا ملك ابن أخي !

عيد ولكن الملوك عييدهم وعبيدهم أضحى له الكون خادماً

ولعل قائل يقول أن هذا قد كان في الزمن الفاضل وقد انقضى وقته وذهب أمده، فنقول له: إن هذا يجدده الله ﷻ في كل زمان ومكان مصداقاً لقوله ﷺ:

{ وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ
أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى }^{٧٤}

وإليك مثلاً واحداً حدث في عصرنا الحديث:

فقد دخل الخديوي عباس الثاني ساحة الأزهر وحوله الجند، ولكن طلبة العلم والعلماء والناس بالأزهر، لم تأخذهم صولة الحكم، ولا رهبة السلطان، فظلوا في أماكنهم لم يتحرك منهم أحد، وفي غضون ذلك، دخل الشيخ محمد البهي عليه السلام، فانفضت الحلقة، وتجمع الطلبة والعلماء والناس حول الشيخ، يسعون لتقبيل يده والتماس بركته، فاغتاظ الخديوي من هذا الأمر، وطلب من رئيس الديوان أن يدعوه لزيارته في قصره، وصمم في نفسه أن يتخلص منه حقداً وحسداً على مكانته، فأوعز للخادم أن يدس له السم في قدح القهوة ففعل ما أمره به، وأتى به ووضع أمام الشيخ، فنظر إليه الشيخ ثم قال للخديوي انظر: !! وفتح فاه فدعر الخديوي من هول ما رأى، فقد رأى فم الشيخ وقد تحول إلى بحر عظيم هائج الأمواج، فالتفت إليه الشيخ وقال له بلطف: ماذا يصنع فجانك في هذا البحر العظيم؟ وشربه فلم يؤثر فيه ! ، فتاب على يديه وبنى له مسجده في طنطا، وأوقف عليه الأوقاف وكان يذهب إليه دائماً لزيارته والتماس بركته.

^{٧٤} عن ثوبان ، سنن أبي داود، وللحديث بمعناه روايات عديدة باختلافات.

أما عن احترام العلماء لهم وتبجيلهم لمكانتهم، فحدث عن ذلك ولا حرج،
ويكفي أن نذكر ما كان يكنه الشافعي وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما لشيبان
الراعي وما دار بينهما من مساجلات تسجل بماء الذهب.
ويكفيك أن تعلم أن ما كان يعجز عنه أحمد بن حنبل، كان يرسل به لأبي
حمزة الصوفي فيجيبه عنه إلهاماً من الله ﷻ.

وهذا العز بن عبد السلام سلطان العلماء، يتحير عندما يسمع كلام الشيخ أبي
الحسن الشاذلي، ويخرج من الخيمة مندهشاً ينادي على الناس ويقول: هلموا
فاسمعوا هذا الحديث فإنه قريب عهد من الله ﷻ.
والأمثلة في هذا الباب طويلة وكثيرة، وفي هذا النذر اليسير ما يكفي صاحب
القلب البصير، والمؤمن يكفيه قليل الحكمة.

المرحلة الثانية

بيان أوصاف أهل الطريق وأهدافهم

ثم يبين ﷺ الأوصاف التي إذا اتصف بها إنسان صار من أهل الطريق، وأفاض
الله عليه من إمداداتهم فيقول:

((أهل الطريق: قوم صفت قلوبهم، فلم يحقد أحدهم على الآخر لأن كل
واحد منهم عون للآخر على مقصوده، وقال الله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ
وَالتَّقْوَى ﴾ [المائدة ٢] وكل واحد منهم مرآة لأخيه، يشهد فيها ما من الله به عليه من
المنن فيشكره، أو ما ألم بنفسه من العيوب فيتطهر منها، أو من الأمراض فيتداوى
منها، فالأخ منهم يحن إلى أخيه أكثر من حنينه إلى الماء البارد في اليوم الصائف
لأن لقاء أخيه: إما مزيد من المواهب وإما تخلص من الأمراض والقطيعة والبعد، لم
تقع أبصارهم إلا على محاسن إخوانهم وفضائل أصحابهم، لا اشتغال كل واحد منهم

يعيوب نفسه عن عيوب أخيه، إذا أغضبتهم اجتهدوا في أن يرضوا الله فيك، وسعوا في أن يداووك من فساد أخلاقك، ويرغبوك في ربك فهم يدرأون السيئة بالحسنة، وإن أرضيتهم اجتهدوا في أن يرضوا الله فيك، فلا أذيتك لهم تخرجهم عن مراقبة ربهم، ولا إرضائك لهم يلفتهم عن مواجهة مولاهم سبحانه، اجتمعت قلوبهم وإن تفرقت أبدانهم، وتآلفت أرواحهم لأنها بالست تعارفت، قد بلغ بهم الحب في الله حتى منحهم الله من المواهب ما غبطتهم عليه الملائكة والأنبياء، هذه علامتهم، وتلك صفاتهم، فأين هم؟ ومن هم؟^{٧٥}

ثم يوضح ﷺ لهم الأعمال التي يجب أن يتنافسوا فيها فيقول:

((اعلموا أن المزاحمة والمنافسة، إنما تكون في الفرار من الدنيا إلى الآخرة، وفي التخلي عن الرذائل النفسانية للتجمل بالفضائل الروحانية في عمل الخير النافع لجميع الإخوان وفي السبق في عمل القربات والمصارعة إلى المنافسة في رفعة الدرجات عند الله لا عند الخلق، وفي احتقار نفسه ليعظمه الله، وفي الرضا بالفقر ليغنيه الله وفي التواضع لعباد الله ليرفعه الله، وفي بغض الشهرة والسمعة والرياسة خوفاً من القطيعة عن الله، وفي اعتقاد أن الدار الدنيا فانية زائلة، وفي ذلك تكون المنافسة والمزاحمة، ينافس في ذلك أهل الله الصالحون وأحباب الله المقربون ! ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين ٢٦] وليست المنافسة والمزاحمة في جمع ما يفني من المال، وما لا ينفع من الشهرة والسيادة وما لا يدوم من ملاذ المأكّل والمشرب والمنكح والملبس والمسكن))^{٧٦}

وهكذا يبين الإمام ﷺ للصوفية أحوالهم، لتعلوا همهم، ويوضح لهم أعمالهم ليتمسكوا بهدى سلفهم، ويوجههم إلى الميادين التي يجب أن ينزلوا فيها أنفسهم ليتمتعوا بأحوال الصالحين ويحفظوا بصفات المتقين، ويكونوا من حزب الله المفلحين الذين قال الله فيهم: ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة ٢٢].

^{٧٥} مذكرة المرشدين ص (٥٨ - ٥٩).

^{٧٦} مذكرة المرشدين ص (٦٥ - ٦٦).

المرحلة الثالثة

وعده إلى توحيد أهل الطريق:

ففي نظر الإمام أبي الغنائم ؑ لا توجد طرق وإنما هو طريق واحد يوصل العباد إلى رب العباد.

وهذا ما وضعه قول الله عز وجل: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [١٥٣ الأنعام] وإنما التعدد باختلاف مشارب الرجال وتباين مجاهداتهم، واختلاف منازلهم، وإن كانت الغاية عند الجميع واحدة ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ [٤٢ النجم]

وقد نوه بهذه الحقيقة الفذة في معظم كتبه، نذكر منها على سبيل المثال قوله:

((إن الطريق المستقيم يا إخواني واحد لا يتعدد وإن تعددت أنواع السير عليه سرعة وبطء وتأنياً وإقبالاً، والساكون عليه وإن تفاوتت همهم وتنوعت عزائمهم إلا أنهم لا خلاف بينهم، لأنهم كلهم على اعتقاد واحد ورأي واحد، ومذهب واحد سارعوا إلى وجهة واحدة، وتعاونوا على مقصد واحد وتنافسوا في مراد واحد، إنما الخلاف بينهم أن هذا على الطريق الحق، إلا أنه توسط وعمل بالقلب والجسم بحالة وسط، وأخوه معه على الطريق الحق، إلا أنه عمل الواجب البدني، ووقف عنده وذاد في عمل القلوب على الواجب القلبي، والآخر على الطريق الحق، إلا أنه يجاهد نفسه ليتخلى وأخوه معه إلا أنه ينافس ليتحلى، والكل في حيلة واحدة، وهي المدينة التي أشار إليها ؑ بقوله:

{ المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون { ٧٧ } }^{٧٨}

ولم يكتف ؑ بالدعوة القولية فقط في هذا المجال بل خطى خطوات عملية في هذا المقام أهمها:

^{٧٧} متفق عليه من حديث سفيان بن أبي زهير.

^{٧٨} مذكرة المرشدين ص ٥٨.

أنه دعا مشايخ الطرق الصوفية جميعاً في عصره إلى بيته على حفل غداء هيأه لهم، وبعد تلييتهم الدعوة وحضورهم جميعاً، باسطهم وأنسهم حتى تناولوا الغداء، ثم وجه الحديث إليهم فيما جمعهم من أجله وقال لهم:

(يا إخواني: ليس الطريق لنكون فرقاً مختلفين وعصباً متافرين، وشيعاً متباغضين، قلوب على الحظ والهوى عقدت، وبالدنيا وما فيها أطمأنت، وللشهرة والسمعة طلبت، حتى أصبح المسلمون - وهم كثيرون - قليلاً، قال الله تعالى:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران] ٧٩

وبعد أن أفاض ﷺ في شرح هذه الآية الكريمة، طلب منهم أن يختاروا واحد منهم ينصبونه إماماً للطريق ويسلم الجميع له، ويساعدوه على أداء رسالته. وقال لهم بالحرف الواحد:

(الرجل الذي تختارونه، أنا أول من أحمل حذائه، وحتى لا تظنوا أنني جمعتكم في بيتي لتختاروني، فسأترككم لمدة ساعتين تختارون من بينكم من شئتم) ثم تركهم وصعد إلى حجرته الخاصة.

وبعد المدة المحددة نزل فوجدهم وقد كادوا يقتتلون بل أن بعضهم تعالى على بعض بالسب والشتم وخلافه، فقال لهم: علام اتفقتم؟ فقالوا اتفقنا على أن نظل على ما نحن فيه؛ وهنا هاج شجوه وغص حلقه وقال قصيدته التي بدايتها:

ما اختلاف الطريق والقصد واحد والصراط السوي للمتواجد

ثم أخذ ينعي عليهم فيقول:

(يا أيها العلماء والمرشدون والخلفاء عن الطريق، وأبناء الأشراف وورثة أهل العلم بالله والفضل، أنتم الأنجم في أفق العامة، فإذا هوت تلك الأنجم، كيف تكون حالة الناس؟ وإذا كسفت تلك الكواكب، فبم يهتدي الناس؟ هلا اقتديتم بسلفكم

الصالح، فزكيتم أنفسكم وجاهدتموها حتى أطاعتكم فملكتموها قبل أن تملككم، فكنتم بدور هدى كما كان سلفكم، وأنجم دلالات كما كان آبائكم ومشايخكم ومن سبقكم وأئمة للمتقين من أهل عصركم وذريتكم.

يا خلفاء الطريق: أنتم تسيرون مع من معكم إلى أين؟ وتعملون لمن؟

فإن قلتم نحن سائرون إلى الله ونعمل لله، أقول لكم: يا إخواني:

الطريق الذي سلك عليه السائرون إلى الله، معلوم لا مجهول، معروف لا ينكر، فهل عليه سلكتكم؟ وعلى جادته نهجتم؟ ومن الميل عنه تحصنتم؟ إن كان ذلك فلم الاختلاف بينكم؟ ولم الشغل في المنافسة فيما لا ينفع؟ عجباً لكم!! لو أنكم على الطريق المستقيم والنهج القويم سرتهم، وبحصون آمنة تحصنتم، لنزع الله ما في صدوركم من غل، ولأشهدكم من جمال آياته وعجائب قدرته، وغرائب حكمته، ما به تبهج أنفسكم فتسكن إلى الله، وتطمئن قلوبكم فتحب الله، وتلين أعضاءكم فتعمل لطاعة الله^{٨٠}))

وما زال ﷺ يردد تلك الكلمات وأمثالها، ولكن كما قال القائل:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

ولكنه مع ذلك كله لم ييأس من روح الله، بل ظل يدعو خلفاء الطريق بالحكمة والموعظة الحسنة، ويطمع في استجابتهم لداعي الحق، ومن أجل ذلك كان يرفض تسجيل دعوته في مشيخة الطرق الصوفية ويقول: ماذا نصنع إذا ذنا الطرق الصوفية طريقة؟ وإن كان اضطر إلى تسجيلها قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى بعامين فقط نظراً لظروف وملابسات حدثت سنوضحها فيما بعد..

وهكذا كان ﷺ صرخة جريئة بين صفوف الصوفية تدعو للعودة إلى الأحوال الشرعية ونبذ الخلافات والاحن من القلوب المؤمنة التقية، فرضى الله عنه في الذاهبين وأعقبه بخير في خاصة أخوانه الحاضرين آمين.

^{٨٠} مذكره المرشدين ص (١٠٨).

المرحلة الرابعة

المرشد الدال على الله

ولما كان الأساس الذي تركز عليه الطرق الصوفية قاطبة هو المرشد أو الشيخ، وهو بمثابة القلب لأهل طريقه، فإذا صلح جسد الإخوان جميعاً، وإذا فسد جسد الإخوان كلهم، فركز الإمام أبو العزائم على ماهية الشيخ الذي يجب أن يلتفت حوله أهل الطريق، نظراً لكثرة الأدعياء والباطالين في عصره، فاستنبط صفاته من كتاب الله ﷻ، وأشار إلى أن الشيخ المتجمل بهذه الصفات هو الذي يجب على أهل الطريق متابعته والمسارة إلى التلقي منه، وهي كما يأتي:

أوصاف إمام الطريق:

جمعت هذه الأوصاف الآية الكريمة:

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة ١٥١]

وهي الأوصاف التي تجمل بها سيدنا رسول الله ﷺ والتي دعا له بها سيدنا إبراهيم عليه السلام في قوله ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة ١٢٩]، وزاده الله ﷻ صفة خامسة وهي: ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة ١٥١] فقد دلت هذه الآية على العلوم التي بعث بها رسول الله ﷺ وأمره الله بتبليغها وهي:

١ - علم الآيات:

ويقصد به العلامات الدالة على قدرة الله ﷻ في الأكوان وفي الإنسان، وهي المشار إليها بقول الله ﷻ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [٥٣ فصلت] وفي ذلك يقول سيدنا أبوذر رضي الله عنه: { تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا عِنْدَنَا مِنْهُ عِلْمٌ } (صحيح ابن حبان عن أبي ذر)

٢- علم تزكية النفوس:

وهو العلم الذي به تصفو النفس من شوائب الرياء وعلائق الحقد وأدران الحسد وبواعث الحظ والهوى، حتى تنال مقام الإخلاص، ولا تحقق العباداة الغاية منها إلا بعد تزكية النفس وتصفيتها لقول الله ﷻ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ ﴿١﴾ وذكَّرَ أَسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٢﴾ [الأعلى]. وهذا هو الطور الهام الذي جاهد فيه رسول الله ﷺ الأصحاب حتى فطرت نفوسهم على الصفاء والوفاء، وذلك لمدة اثني عشر سنة، حتى تأهلت النفوس لعبادة حضرة القدوس، فبدأ نزول العبادات بالصلاة في العام الثاني عشر من بعثة رسول الله ﷺ، ثم توالى بعد ذلك بقية العبادات.

٣- علم الكتاب:

وهو علم الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات والأخلاق والأسر والمجتمعات والسلم والحرب، وهو ما يسمى الآن بعلم ((الفقه)).

٤- علم الحكمة:

وهو العلم الذي يلهمه الله ﷻ للإنسان فيكون حكيماً في تصرفاته، بليغاً في أحواله وهيئاته، مسدداً في أقواله وتحركاته حتى يكاد الناس - غير الحاسدين والحاقدين - لا يرون فيه عيباً في أحواله وأفعاله.

وهذا نتيجة التوفيق، ولأنه عزيز لم يذكر في القرآن كله إلا مرة واحدة وعلى لسان نبي من أنبياء الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [٨٨ هود]، وقد أخبر الله ﷻ أن صاحب الحكمة قد أعطاه الله البر والفضل الكبير في قوله ﷻ: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [٢٦٩ البقرة].

٥- العلم اللدني أو الوهبي:

وهو ما ينتج عن الإخلاص في تنفيذ الأعمال، والصدق في المتابعة لسيدنا رسول الله ﷺ، حيث يفاض على صاحب هذا القلب، علوم وهبية وأسرار روحانية، لم

الإمام أبو الغنائم المجدد الصوفي للأستاذ فوزي محمد أبو زيد ﴿ ١٤١ ﴾

ولن تسجل في كتاب، وهي من باب قول الله ﷻ ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة ٢٨٢] أو من كنز فضل الله ﷻ المرموز إليه بقوله سبحانه ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف ٦٥] أو فتح وفيض من قول رسول الله ﷺ :

{ من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم }^{٨١}

وهذا العلم هو الذي يقول فيه سيدي أبو يزيد البسطامي رحمه الله لعلماء الظاهر:

((أخدمت علمكم ميتاً عن ميت، وناخذ علمنا عن الحي الذي لا يموت، فناخذه في
أى وقت شئنا))

وهو ما أشار إليه الإمام أبو الغنائم في قوله:

هو العلم لا يجلي بغير الحقائق	وعلم بكشف فيه قرب لخالق
وما العلم إلا ما يعلمه العلي	وآي (يعلمكم) ^{٨٢} دليل لصادق
وفي أول الرحمن نور لمهتد	بها علم القرآن جذب الموفق
وما العلم والأعمال من غير خشية	سوى آلة صماء سؤل المنافق

وهذا العلم حقائق صادقة تجيش في صدور العارفين فينقلونها بأفواههم إلى
خاصة المحبين كما يقول الإمام علي عليه السلام:

((يحفظونه في صدورهم حتى يودعوه في قلوب أشباههم وأمثالهم))

ولما كان العلماء ورثة الأنبياء وأكمل الناس وراثته، هم أئمة الطريق، لأنهم
الذين يقومون بتربية مريديهم وتهذيب سلوكهم وتجميل أخلاقهم، كان لابد لمن يقوم
هذا المقام أن يكون متجماً بعلوم الرسالة التي وضحناها، حتى يكون صورة أكملية
يضيئ للسالكين ويهذب المريرين، وينير للواصلين ويجمل المتمكنين .

هذا هو الإمام الذي يقول الله ﷻ فيه: ﴿ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا

^{٨١} رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس.

^{٨٢} أشار إلى قول الله تعالى ((واتقوا الله ويعلمكم الله)).

مُرشدًا ﴿ [١٧ الكهف]، ومن نقص علماً من هذه العلوم، عليه أن يسعى ليتكامل من مرشد رباني في هذا العلم، ولا يتكبر في ذلك لقول الله ﷻ: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [١٧٦ يوسف].

ولما كانت الآية قد وضحت أن هذا الرسول من أنفس أهل زمانه، فكذلك لا بد أن يكون هذا المرشد العالم العامل حياً يحيي به الله النفوس لأهل زمانه، ومن هنا قال الإمام أبو الغنائم ﷺ:

((الله حي قيوم ولا يصل إليه واصل إلا بحي قائم))

وليس معنى ذلك إنكار أحوال العارفين السابقين، فإن من ينكر ذلك فقد بان عن طريق القوم، ولكن لما كان فضل الله واسع، وعطاؤه متجدد، اقتضت إرادته أن يصطفى في كل زمان، من يؤهله للكشف والتبيين عن أمراض النفوس في عصره، ويلهمه بتحضير الدواء الناجع لهذه الأمراض من القرآن والسنة، ومن هنا قيل:

((لكل زمان دولة ورجال))

ولذلك عندما سئل الإمام أبو الغنائم ﷺ عن سيدي أبي الحسن الشاذلي وهو الإمام الأعلى لأهل طريقته وإليه ينتهي نسب الطريقة الروحاني قال:

((لو بعثت في عصر أبي الحسن الشاذلي كنت تلميذاً له، ولو بعث أبو الحسن الشاذلي في عصري كان تلميذاً لي)).

وهذا لأن النفوس لا تتأثر إلا بالمجالسة والمجانسة، والإنسان الذي يطلب الكمالات الدينية، لا بد أن يجالس ويجانس من رأى فيهم هذه الكمالات في عصره وزمانه، وقد كان هذا دأب الصالحين في كل زمان ومكان، وهذا سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ، بعد أن انتقل شيخه الكبير سيدي علي الخواص إلى الرفيق الأعلى، ولاحظ لصدقه أنه لم يتكامل في طريق القوم بعد، انتقل إلى صحبة سيدي محمد الشناوي ﷺ، فتكامل على يديه))، والأمثلة في هذا الباب كثيرة وكثيرة.



شبهات في أئمة الطريق

- الشبهة الأولى:

الدلي المجزوب

فبعض أهل الطريق يسلم لأهل الجذب الذين أفناهم الحب عن سوى المحبوب، وبلغت بهم: الرياضة والتزكية مبلغاً جعلهم روحانيين، حتى صاروا بحيث يعملون أعمالاً لا تقبلها العقول، كترك الأكل زمناً وكبعض الدنيا وما فيها، وكتحمل الحر والبرد، وكالفرار إلى الصحاري وغير ذلك، فسلموا لهم معتقدين أنهم مرشدون، وتركوا أهل العلم بالله والمعرفة.

وهؤلاء المنجذبون بكليتهم إلى الجناح العلي، ليسوا أئمة للمتقين ولا هداة للمسلمين، ولكنهم منحوا الحب والوجد والمعرفة لأنفسهم خاصة، وهم أبدال الأنبياء وليسوا أبدالاً للرسل، وقد قال في شأنهم سيدي محي الدين بن العربي رحمه الله:

لا تقتدي بمن زالت شريعته ولو جاك بالأنبا عن الله

ولذا نبه الإمام أبو العزائم إلى هذه الحقيقة في أكثر من موضع خوفاً على المريء من الانحراف أو الخروج عن جادة الطريق باتباعهم واقتدائهم بأهل الجذب وهم ليسوا بأئمة للمتقين، فيقول رحمه الله:

((وإن كثيراً من السالكين يميلون إلى الذين اختطفتهم العناية فيقلدونهم فيضلون، وليس المجذوب إماماً للمتقين وإنما هو رجل اختطفته العناية من الأزل، ومن اقتدى بالمجذوب في سيره لم ينتفع بحال من الأحوال))^{٨٣}

ثم يوجه رحمه الله إلى كيفية معاملة هؤلاء المجاذيب فيقول:

((وإني ليسرني أن المسلم يعامل هؤلاء معاملة الأطفال الرضع، فيرحمهم

^{٨٣} الشفاء من مرض التفرقة ص (٢٥).

ويشفق عليهم إكراماً لله ورسوله، ولا يقتدى بهم، فإن اقتداءه بهم يصير به هالكا، لأن لهم مواجيد ومشاهد ملكوتية ومكاشفات عن حضرة العزة والجبروت، بها سكروا وإليها جذبوا وفيها فنوا وعن سواها غابوا.

فمن اقتدى بهم وقلدهم - مع ما هو فيه من طمس البصيرة وفساد السريرة والحجاب عن مشاهد القدس - فقد هلك وأهلك غيره^{٨٤}

هذا وقد قوم ﷺ هذا السلوك المعوج، وهو متابعة أهل الجذب بدون مراعاة أحكام الشريعة، بادئ ذي بدء في دعوته ﷺ، فعندما سافر إلى السودان ترك أخاه محمود في بلدة المطاهرة بمحافظة المنيا نائباً عنه وكان ذا أحوال عالية، حتى أنه بلغ به الحال أن كان الإمام ﷺ يملئ قصائده في بلاد السودان، وينقلها هو في نفس اللحظة إلى من حوله، ونظراً لشدة مجاهداته بلغ به الحال إلى أن مكن في مقام التصريف، فكان يعطي الإنسان قدح الماء ويسأله عما يريد أن يتناوله من المشروبات، فيخبره فيقول له اشرب فيجد لذة الشراب الذي يطلبه وطعمه في هذا الماء !!

إلا أن هذه المجاهدات الكثيرة أثرت على قواه العقلية، فجعلته أمام الناس يفعل أشياء تتنافى مع روح الشريعة، كترك الصلاة أمام الناس، والمجاهرة بالفطر في رمضان.

ولما كان بعض ضعاف النفوس قد افتنوا به لما رأوه فيه من كرامات، ودعاهم هذا إلى متابعته والاقتداء به حتى فيما يخالف الشريعة، كترك الصلاة، حاول الإمام أبو العزائم أن ينبه هؤلاء تارة بالرفق واللين، ومرة بالغلظة والشدة، حتى استخدم معهم كل الوسائل الحكيمة الواجب استخدامها في هذا المقام، ولما وجد أنهم مصرين على غيهم، وهم في ظاهر الأمر وأمام الناس ينتسبون إلى دعوته، تبرأ منهم على صفحات الصحف الرسمية، وأعلن في كل البلاد أنه برئ من هؤلاء ومن أعمالهم، حتى اضطره ذلك الأمر إلى تسجيل دعوته كطريقة صوفية في مشيخة

^{٨٤} مذكرة المرشدين ص (٦٤).

الطرق الصوفية، وذلك قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى بعامين فقط، مع أنه ﷺ كان يتضرر عندما يذكر له هذا الأمر فيما سبق، وبصر على تسميتها بجماعة آل العزائم أو الدعوة العزمية.

وهكذا يتبين لنا دور الإمام أبي العزائم في إمطة الشام عن حقيقة المجذوبين، وتحذير السالكين من متابعتهم، لأنهم ليسوا أئمة مرشدين.

بل أنه ﷺ يوضح أن المجذوب الحقيقي الصادق في حاله مع الله لا بد أن يرده الله إلى بشرته في أوقات الصلاة حتى يؤديها، ولا يخرج عن الشريعة طرفة عين مع كمال جذبه، أما من يتخطى حواجز الشريعة، فهو في نظره إنساناً عنده خلل في قواه العقلية، فهو بالأحرى معتوه ولا يمت إلى الجذب الحقيقي بصلة.

فالجذب هو تعلق القلوب بشدة بالحبيب المحبوب، ولما كان المقصد هو رضا المحبوب، فكان أول شيء يفعله المجذوب أن ينفذ ما طلبه منه علام الغيوب، في كلامه المكتوب، ومن لم يفعل ذلك فهو مغلوب أو معيوب، لا يجب على العقلاء إتباعه أو تقليده ولو أخبرهم بصريح الغيوب.

الشبهة الثانية

أبناء الصالحين

وينبغي ﷺ على من يتمسكون في إمامة الطريق بابن الشيخ ولو كان ليس مؤهلاً لهذا المقام، حيث إنهم اختلط عندهم أمر الوراثة الإلهية بالوراثة الشرعية، فجعلوا الابن الصلب، الذي تورثه الشريعة ما خلفه الأب من مقتنيات الدنيا، هو الذي يرث الأحوال الوهية والعلوم اللدنية، ونسوا أن هذه وراثة الكتاب التي يصطفي الله ﷻ لها من يشاء من الأحياء، وقد وضع ذلك سبحانه في قوله ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر ٣٢] ويقول ﷺ :

((هذا وبعض أهل الطريق - إذا مات المرشد أو مات الشيخ المأذون بالطريق - يسلمون لأحد أولاده أو أقاربه، وهذا أمر حسن لو أن من سلموا له يكون على شئ من العلم والعمل والحال، واجتهد في تحصيل ما به كمال نفسه ونفع غيره، وحافظ على الاقتداء بالمرشد محافظة حقيقية في القول والعمل والحال، أما إذا سلموا لابن المرشد أو لأحد أقاربه وكان صبياً لم يبلغ الحلم، أو كبيراً على غير استقامة، بعيداً عن معرفة الطريق وأهله، فإنهم بذلك يكونون عرضوا من اقتدوا به للهلاك وأهلكوا أنفسهم، لأنهم بذلك يجعلوه يغتر بنفسه ويتكبر على العلم ويحتقر العلماء، ولا يزيده الإقبال عليه إلا غروراً وبعداً عن الله، وكأنهم بذلك أساءوا إلى مرشدهم فإنه جملهم بالعلم والعمل والحال، وهم لم يحسنوا إليه في أولاده وأهله، وكان الواجب عليهم أن يجتهدوا في تربية ابن الأستاذ أو من يكونوا من أهله تربية حقيقية، علماً وتهذيباً وعملاً حتى يكون لسان صدق لوالده، وارثاً لعلومه وأحواله.

وإني لأعجب من رجل لا يرضى أن يجعل الحصرم من العنب زيباً، ويرضى أن يجعل الطفل الصغير، المؤهل للتربية والتهذيب والتعليم مرشداً عظيماً، ويظن أنه يحسن صنعا... إلى أن قال رحمه الله: **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى** حكم في كتابه العزيز في ميراث الأرض خاصاً لمخصوصين، وحكم في ميراث السماء أنه فضله يؤتيه لمن يشاء، فحكم سبحانه تعالى في خير الدنيا بما هو واضح، وحكم في ميراث الأنبياء والمرسلين والفضل العظيم، بأنه لمن يشاء: **﴿ ذَلِكْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾** ^{٨٥} [٢١ الحديد]

وقد تأثر في ذلك رحمه الله بأحوال الصوفية العظام: كالشيخ منصور الباز البطائحي رحمه الله، عندما أعطى الخلافة من بعده لولد أخته سيدي أحمد الرفاعي رحمه الله ولم يعطها لولده، حتى ثارت زوجته وألبت عليه كبار الإخوان ليطلبوا منه أن يولي ولده ونتيجة لإلحاحهم، أمرهم باحضار الاثنين، وطلب من كل منهما، أن يحضر كما من حشائش الأرض، فذهب ابنه وعاد بسرعة بكم هائل ينوء بثقله ليثبت مهارته وجدارته، وأبطأ سيدي أحمد الرفاعي، حتى أرسل الشيخ في استدعائه، فجاء وليس معه شئ، فسأله

^{٨٥} مذكرة المرشدين ص (٦٤).

الشيخ أمام الجميع لم لم تحضر ما أمرتك به؟ فقال ﷺ: كلما هممت بقطع نبتة سمعتها تذكر الله ﷻ، فأستحي من الله ﷻ أن أقطعها، فأقام بذلك عليهم الحجة، فسلموا له.

وهكذا الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ مع كثرة ولده، يسلم الراية من بعده لسيدي أبي العباس المرسي، وهو مع صلاح أبنائه ينتقي لخلافته سيدي ياقوت العرش.

ولذلك واقتداء بهدي السلف الصالح، ترك الإمام ﷺ الأمر مشاعاً من بعده، وقد سئل ﷺ: ماذا تقول لله ﷻ إذا قال لك: لم تركت أمر الطريق ولم تعين من يقوم به من بعدك؟ فقال ﷺ:

((أقول له فعلت كما فعل رسول الله ﷺ مع وجود خيار الأصحاب))

فأحيا بذلك نهج السلف في أنه يخلف المرشد خيار أبنائه الروحانيين حالاً وعملاً وعلماً ومعرفة، لو لم يتوفر ذلك في أبنائه الصلب، أما إذا توافرت تلك الخصوصيات في الابن الصلب فهو خير الخيرين لأنه جمع النسيب.

- الشبهة الثالثة

النسب الشريف:

يرى ﷺ تمسك بعض مشايخ الطرق بحقهم في قيادة المريدين بانتسابهم إلى الدوحة النبوية الطاهرة، مع أنهم ليسوا على نهج سابقهم، ليس بشئ إذا أن مسئولية إمامة الطريق تقتدي أن يكون من يقوم بها أكمل الناس تشبهاً بالسلف الصالح في هديهم وسلوكهم وسمتهم وعلمهم، ويرد عليهم في استنادهم في هذا الأمر على الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ والذي يقول فيه:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تُضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ وَعِثْرَتِي

أَهْلَ بَيْتِي {^{٨٦}

فبين حقيقة ما يقصده سيدنا رسول الله ﷺ في ذكره لأهل البيت في هذا الحديث فيقول ﷺ في ذلك قولاً شافياً وافياً:

((والمراد بأهل البيت حملة العلم بالله ﷻ الذين كاشفهم الله تعالى بظاهر القرآن وباطنه وحده ومطلعه، ممن جملهم الله بحقيقة النسب المحمدي الروحاني بدليل قوله ﷺ: { سلمان منا أهل البيت }^{٨٧} وتبنيه ﷺ زيداً ﷺ، وقوله صلى الله عليه وسلم: { أدخل الإسلام بلالاً في نسي }^{٨٨}

ويبين ﷺ حقيقة النسب الذي ينتسب إليه المتقون ويتفاضل به الصالحون فيقول عند حديثه عن الفرقة الناجية:

((فالفرقة الناجية هم أهل القرآن، وهم المعنيون بقوله ﷺ: { أهل القرآن أهل الله }^{٨٩} وهم أهل الله الصالحون الذين اتصل نسبهم بربهم باتصالهم بحبل الله المتين الذي هو القرآن المجيد، ومن ذاق حلاوة القرآن وصل إلى الله بأقوى سبب وصلاً لا ينقطع بعده، فإن القرآن صفة من صفات الله، ومن اتصل بصفة من صفات الله تعالى، اتصل بالله تعالى، لأنه بتلاوته لكلام الله ملاحظاً أنوار المتكلم، عاملاً بالقرآن، يتصف بالكلام والله متصف بالكلام، وأكمل ما يتقرب به إلى الله ﷻ التخلق بأخلاقه، فإن الله ﷻ يحب صفاته ويحب مقتضياتها ظاهرة في عبده، وأحب عبد الله من جملة الله بما يحب من صفاته سبحانه، وجعله مظهراً لاشراق أنوار مقتضياته))^{٩٠}

وهكذا يحث الإمام ﷺ أبناء المشايخ وغيرهم على المسارعة إلى الاتصال بالنسب الروحاني والسر النوراني لأنه هو الذي عليه المعول في طريق القوم، فعندما

^{٨٦} عن جابر بن عبد الله، سنن الترمذي

^{٨٧} رواه الطبراني والحاكم عن عمرو بن عوف.

^{٨٨} الفرقة الناجية ص (٢١).

^{٨٩} رواه النسائي وابن ماجه وأحمد والدارمي والحاكم عن أنس.

^{٩٠} الفرقة الناجية ص (٢٢).

يتصف المريد بصفات شيخه الروحانية من حب ووجد وصدق وورع وزهد واقبال وغيرها، تفاض عليه الجمالات الوهية والكمالات المحمدية والأنوار العرفانية نظراً لثبوت نسبه الروحاني، واتصاله بأصله النوراني، وهذا هو النسب الذي يقول فيه صلى الله عليه وسلم في معنى الحديث الشريف: { نحن معاشر الأنبياء لا نورث درهماً ولا ديناراً، وإنما نورث علماً ونوراً }

ولما كان العلماء ورثة الأنبياء، فالوراثة الحقيقية في هذه المعاني والكمالات الروحانية لا تكون لمجرد الأنساب الطينية، وإنما لاتصال الأرواح النورانية، والتشابه في الكمالات المحمدية، والانتظام في جملة أهل المعية وفي ذلك يقول ﷺ:

هذا هو الشرف الأعلى لمن سبقت له العناية من إحسان بارينا

- الشبهة الرابعة: أدعياء الحال:

ويشن ﷺ حرباً لا هوادة فيها على الأدعياء الذين يوهمون الناس أنهم وصلوا إلى مقامات المعرفة، ويأمرونهم باتباعهم ويؤثرون عليهم تأثيراً بليغاً حتى يتصرفون فيهم كما يحلو لهم، وذلك لسلب أموالهم، فيوضح ذلك ضارباً مثلاً حدث له مع أحدهم فيقول:

((ومنهم من يأمر تلاميذه بترك العلم والتعلم وترك الوظائف والرواتب بل وترك الأعمال الشرعية موهماً أن ذلك يحجب عن الأنوار، ونعم فإنه يحجب عن الأنوار الإبليسية، وقد رأيت رجلاً في آخر صعيد مصر ازدحم عليه الطلاب، لا شغل له إلا شرب التبغ وسألت أحد أتباعه: لم لا تصلي على النبي ﷺ؟ فقال: إن صليت عليه ذهب نوري!! وانصرف إلى شيخه، فأعطاه عصا طويلة وقال امضي بتلك العصا واسلب حاله، فجاءني وأنا جالس مع بعض أهل العلم في أسوان، ووقف أمامي بالعصا وتمتم بكلمات، فاسترسلت في مذاكرتي حتى انتهيت منها ثم نظرت إليه، ففهمت خبث نفسه فقلت له: ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾

﴿ ١٨١ الإسراء ﴾ فسقطت العصا من يده، وجلس على الأرض، ودنا مني، فأسمعته بعض آي القرآن الكريم وشرحت له معناها، فتاب إلى الله وأقبل عليه سبحانه، وأخبرني أن شيخ شيخه بمصر، وأنهم يتركون الأعمال الشرعية ليزيد حالهم، فتحققت قوله ﷺ ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ [٧٥ مريم] وقوله ﷺ : { إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته } { ٩١ } { ٩٢ }

وهكذا يكشف ﷺ أحوال هؤلاء الذي يشربون المسكرات بحجة هداية العصاة، وهؤلاء الذين يجمعون بين النساء والرجال في مكان واحد، وهؤلاء الذين يطلبون من مريديهم التسليم للشيخ على أي حال كان، فيقول:

((بعض من لا بصيرة لهم في الدين ومن لم يسبق لهم تحصيل العلم يقتدون ببعض أدياء الطريق فيدخلون في قلوبهم أن التسليم للشيخ - مهما كان وعلى أي حال كان - خير ولا يصل السالك إلى الله إلا بالتسليم للشيخ، ثم يعملون أمام المريرين صريح الحرام، أو يقولون صريح الكفر، ويأمرون بترك الفرض والسنة، وينهون عن الأعمال الشرعية، فيسلم لهم أهل الجهالة تسليم الأعمى، لاعتقادهم أنهم أهل الحقيقة، وأنهم ارتقوا عن الشريعة، ويضربون مثلاً يدل على كمال جهالتهم فيقولون: ((إن كان شيخك حمار امسك ذيله)) مبالغة في التسليم الأعمى وكم من فئة من الناس استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله))^{٩٣}

ويبين ﷺ بياناً شافياً، لا لبث بعده لكل مرید يريد وجه الله في اتباعه لأهل الطريق ويقول:

((وكيف يسلم السالك طالب النجاة من هول يوم القيامة بصحبة من يهلكه بمخالفة سنة رسول الله ﷺ؟ وهذا ليس بتسليم وإنما جهل بالحق وحظ جلي لا خفي، وللتسليم مقدار مخصوص، فإن خالف المرشد ما كان عليه رسول الله ﷺ، وقف عن الاقتداء به حتى يستبين له الحق فيه، أو يسأله عن مأخذه من كتاب الله

^{٩١} رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه عن أبي موسى.

^{٩٢} الشفاء من مرض التفرقة ص ٢٦ - ٣٧.

^{٩٣} دستور السالكين ص ٦٠، ٦١.

وسنة رسول الله ﷺ، قال الله تعالى ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝ ﴿١٤﴾ الْقِيَامَةُ] والعقل لا يقلد إلا من بعثه الله بالحق بشيراً ونذيراً، مبيناً لنا محاب الله ومراضيه، والمرشد يبين لنا ما خفى من بيان رسول الله ﷺ وما كان عليه الأئمة الهداة من الصحابة والتابعين))^{٩٤}

ويضرب ﷺ مثلاً للأئمة السابقين بأبي يزيد البسطامي ؓ عندما سأل تلاميذه قائلاً: من أنا؟ قالوا: أنت أبو يزيد. قال: أنا محمد رسول الله، يعني لا تنظروا إلي بعين العصمة، ولكن انظروا إلي بعين البصيرة، فإن كنت على ما كان عليه رسول الله ﷺ فاصحبوني، وإن خالفت رسول الله فقوموني، ويختم كلامه قائلاً :

(وهذا أساس الطريق، فإن الحق فوق الخلق، فأقبل الحق ولو من الغريب البعيد البغيض الدني، ولا تقبل الباطل ولو من الولي العالم الورع الزاهد، وأهل السلوك، يعرفون الرجال بالحق، ولا يعرفون الحق بالرجال))^{٩٥}

المرحلة الخامسة □ آداب أهل الطريق:

وللآداب عند الصوفية شأن كبير في سيرهم وسلوكهم إلى الله ﷻ ولذا وضع الإمام أبو العزائم أهميته فقال:

((الزم الأدب وإلا فانتظر العطب))

ولكون الأدب لا يختص بمرحلة واحدة فقط من مراحل الطريق، بل يلزم السالك ويلزم للواصل، وبه يتجمل المتمكن، أوصى ﷺ السالك في هذه المنازل فقال:

((حافظ على الأدب ولو رقيت إلى أعلى الرتب))

^{٩٤} دستور السالكين ص (٦٣).

^{٩٥} دستور السالكين ص (٦٠).

ولما كان الأدب يختلف من منزلة إلى أخرى فسنوضح جملة من الآداب الواجب التحلي بها للسالك في خاصة نفسه ومع أخوانه ومع مرشده.

١- أدب السالك في نفسه:

يُجمل الإمام رحمه الله الأدب الواجب على السالك التحلي به في خاصة نفسه فيقول: ((مقام العبد التقصير)) أي أن السالك يجب أن ينتبه دائماً إلى نواحي القصور في أعماله وأحواله وأفعاله، ليتجنبها أو ليصححها، أما الأعمال الصالحة والفاضلة، فيجب عليه أن ينساها أو يتناساها حتى يسلم من مرض العجب أو الرياء أو الكبر، ومن هنا حدد نظر السالك الصحيح فقال:

((السالك ينظر إلى سيئات نفسه وحسنات الآخرين، ويضع خلف ظهره حسنات نفسه وسيئات الآخرين، وهذا ما أشار إليه رسول الله ﷺ للسيدة عائشة عندما سألته في معنى الحديث الشريف: {يا رسول الله متى يكون الرجل محسناً؟ فقال ﷺ: إذا رأى نفسه مسيئاً، فقالت رضى الله عنها و متى يكون الرجل مسيئاً؟ فقال ﷺ: إذا رأى نفسه محسناً {

ولا يستطيع السالك أن يتأدب بهذه الآداب العالية إلا إذا لاحظ بعين فكرته أو بعين بصيرته حقيقته الأولى، وهى أنه مخلوق من تراب أو من طين أو من ماء مهين، ورأى ما زاد على ذلك من صفات وكمالات، إنما هي فيض هبات وأسرار تنزلات من الحق ﷻ عليه، وهذا هو الأصل الأول لمن أراد الوصول إلى الله ﷻ، وفيه يقول رحمه الله: ((من رأى نفسه فوق التراب ضل)).

وهو ما عبر عنه سيدي ابن عطاء الله السكندري في حكمه حيث يقول ((ادفن نفسك في أرض الخمول، تشرق عليك أنوار الوصول)). وفي هذا المقام يوجه السالك لنفسه الخطاب الذي أشار إليه الإمام أبو العزائم في قوله:

يا أيها الماء المهين من الذي سواك ومن الذي في ظلمة الأحشاء قد
يا نطفة بقرارها قد صورت من ذا الذي بحنانه أنشاك
يا صورة من حسنه قد جملت من ذا الذي بجماله حلاك

ومن الذي بألست أسمعك النداء	ومن الذي بواله ناداك
ومن الذي تعصي ويغفر دائماً	ومن الذي تنسى ولا ينساك
ومن الذي يدنو إليك بفضلته	وإذا سألت جنابه أعطاك
ومن الذي عند الشدائد تقصدن	ومن الذي إن تسألن لباك
ومن الذي شق العيون فأبصرت	ومن الذي بظهوره أعلاك
ومن الذي غذاك من نعمائه	ومن الكروب جميعها أنجاك
ومن الذي منح الجميل بفضلته	ومن الذي بتلطف أحياك
ومن المجيب إذا سألت جنابه	وإذا طلبت وداده أعطاك
ومن الذي كشف الحجاب تودداً	حتى رأت أنواره عيناك
ومن الذي ملأ الفؤاد بحبه	وبسره عند الصفا ناداك
ومن الذي أولاك نور جماله	وبذكره وشهوده صافاك

ولا يزال العبد يكرر على مسامع نفسه هذه العبارات حتى تكون طوع أمره
ورهن إشارته، فيسير بها إلى الله ﷻ سيراً حثيثاً، وهنا يبين ﷺ الأخلاق والكمالات
التي يجب أن يتجمل بها السالك فيقول:

((يجب على السالك في طريقنا أن يكون كالأرض في التواضع وكالشمس في
المنفعة وكالبحر في الكرم وكالليل في الستر)).

هذا مع ملاحظة أن السالك في تجمله بهذه الجمالات لابد أن يتخلى عن
الفطر المهملات والأخلاق السيئات، والتي يشير إليها ﷺ في قوله:

وإياكم وأخلاق إبليس إنها	لقد أبعدته وهو طاووس رامق
دعوا الكبر والحسد القبيحين	دعوا طمعاً فيما يزول وسابقوا
وغضوا عن المكروه أعين عفة	وجودوا ببشر فالسماحة رونق
وإياكم وعدوكم خبث طبعكم	وطمعاً وحب الجاه فهو يفرق

وتجتمع هذه الآداب النصيحة التي يوجهها ﷺ لكل سالك في طريقه فيقول:

((أخي تباعد عن أخلاق إبليس وهي الحسد والكبر والطمع وحب الشهرة والسمعة وأذية الخلق والغيبة والنميمة والكذب والزور وإشاعة الفاحشة في إخوانك المؤمنين، واحب لجميع إخوانك ما تحبه لنفسك، ودع الفساد، وتباعد عن أخلاق البهائم من الحرص والبخل والانتقام والحيل والمكر والخداع والتملك والزنا وشرب الخمر والتهاون بحقوق الناس، وتخلق بأخلاق الملائكة لتأدية المأمورات، والتباعد عن المنهيات، واحفظ الرأس وما وعى: من العينين والأذنين واللسان والأنف، والجسم وما حوى: من اليدين والقلب والبطن والفرج والرجلين، واحكم يا أخي إنك من أكابر الأولياء لله تعالى المحفوظين بعين عنايته لأن الله لا يوفق لهذه إلا صفوته من أوليائه وهو الموفق الهادي سبحانه وأدم الشكر على النعمة تعطى المزيد))^{٩٦}

أما أدب السالك في عباداته المختلفة وفي معاملاته وفي جلوسه ومشيه وكلامه ونومه وغيرها، فهذا يحتاج إلى شرح طويل وقد نفرد بكتاب خاص إذا يسر الله ذلك بمنه وفضله وكرمه^{٩٧}.

٢- أدب السالك مع أخوانه:

والسالكون عند الإمام أبي العزائم يحققون في زمنهم وعصرهم مجتمع المدينة الفاضلة، والذي ظهر لأول مرة في المدينة المنورة عندما كان ساكنوها هم الذين قال الله فيهم: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ [٢٩ الفتح]، وهم يعيدون تلك الأحوال على قدر زمانهم، والمبدأ الذي يضعونه نصب أعينهم هو وصف الله ﷻ لأصحاب سيدنا رسول الله ﷺ في قوله: ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾.. الخ ولا يكون ذلك إلا إذا حدثت الأخوة الإيمانية بمعناها الحقيقي والتي جمع أوصافها ﷺ عندما وصف الإخوان فقال:

((والإخوان هم هياكل متعددة سرت فيهم روح واحدة، كالجسد الواحد تعددت أعضاؤه ولكنه واحد، فإذا تألم عضو منه شعر بالألم كل الجسد، فكذلك

^{٩٦} شراب الأرواح ص ٥٠.
^{٩٧} وقد وضعنا ذلك مفصلاً في كتابنا (المنهج الصوفي والحياة العصرية).

الإخوان يتألمون جميعاً لألم أحدهم، غنيهم فقير لأنه يؤثر الفقير على نفسه، وفقيرهم غني لكمال ثقته بربه، صفت قلوبهم فتجملت ظواهرهم، فإذا رأى الأخ الأخ كأنه أشرقت عليه أنوار، فانبسط وانشرح وصافح وفرح فيزداد نوراً على نوره وحالاً على حاله وعلماً على علمه.

يبدل كل أخ لأخيه ما يجد من وجد أو وجود، فيغذي الأخ أخاه بعلمه، والآخر يغذيه بخبره، فلا يقابل أخ أخاه إلا وفتحت أبواب السماء بالبركات، وهطلت الأرزاق والفتوحات، نزع الله ما في صدورهم من غل، وما في قلوبهم من طمع، لأنه سبحانه هو المحبوب لهم في أنفسهم، وما تقولون في اثنين تقابلا على شوق في الله، ومحبة في الله، وبذل في ذات الله؟

هذا يبذل لأخيه ما به سعادته الأبدية من علم وحال وخلق حسن، والآخر يبذل له نفيس طعامه وشرابه وماله، وما تقولون فيمن تحقق فيهم قوله ﷺ في الحديث القدسي عن الله تعالى: { المتحابون فيّ والمتباذلون فيّ، والمتزاورون فيّ على منابر من نور، يغطهم الملائكة والأنبياء لقربهم من الله } ٩٨ وليس هذا الوصف العلي موجوداً إلا في الصديقين وأبدال الرسل عليهم الصلاة والسلام، فكل أخ يعامل أخوانه بهذا فهو من الصديقين ومن أبدال الرسل عليهم الصلاة والسلام)) ٩٩

ويجمل ﷺ الآداب التي يتأدب بها الأخ مع أخوانه في هذه الحكمة الفذة الجامعة حيث يوضح أن الأخ إما أكبر منك وإما أصغر منك وإما مساو لك، فأما من هو أكبر منك فتعتقد في نفسك أنه خير منك لأنه سبقك بطاعة الله ﷻ، وأما من هو أصغر منك، فتعتقد في نفسك أنه خير منك، لأنك سبقته بمعصية الله ﷻ، وأما المساو فشيء من اثنين: إن كان أعلم منك فتعتقد أنه خير منك، لأنه يعلم ما لا تعلم، وللمنزلة الكريمة التي أعدها الله للعلماء، وأما إن كان أقل منك علماً، فتعتقد في نفسك أنه خير منك لأنك تحاسب على ما تعلمته، فحسابه أخف من حسابك، وهكذا قس في كل الأمور في الغنى والفقر، والصحة والمرض، والعبادات الشاقة في

^{٩٨} رواه السيوطي في الجامع الصغير، عن عبادة بن الصامت.

^{٩٩} دستور آداب السلوك ص ٤٩.

النوافل وتركها، فإذا تأدب السالك بهذه الآداب، فإنه كلما جلس مع إخوانه كما كان قال ﷺ :

((جلس محصلاً لا موصلاً، ومكتسباً لا منفقاً، وطالباً لا مطلوباً، ومجاهداً لأعدائه فيه لا مغروراً مخدوعاً، ومريضاً يستشفى لا طبيباً يعالج)).

وهنا ينصح ﷺ السالك أن يعتقد الإحسان في غيره والنقص في نفسه، وأن يفيض عيون البحث عن عيوب إخوانه، ويصم آذان التنقيب عن نقائص بعضهم، وفي ذلك يقول:

((فإن المرید ليس رسولاً معصوماً، ولا ملكاً نورانياً مجرداً عن لوازم البشرية، وعلى كل أخ أن يشتغل بتطهير نفسه وتركيتها من عيوبها، وأن ينظر لنفسه بالانتقاد أو البحث عن دسائسها ومساوئها، وينظر لكلمات إخوانه ليتكامل بها ومحاسنهم ليتجمل بها))^{١٠٠}

، فإذا أكرم الله ﷻ الأخ بخصوصية يقول له: ((إذا شهد وجوده، وظهرت له خصوصيته، وجب عليه أن يلزم الأعتاب ويتجمل بالآداب، فإن مراد السالك القبول والغيبة عن الخلق بالحضور مع الله تعالى، فمن غيبه علمه وحاله وبيانه عن الحضور مع الحق، فعاند أو جادل أو اصطفى لنفسه إخواناً، أو ظن أنه كمل فقام ليكمل غيره، خلع حلل السلوك، وحرّم السير إلى ملك الملوك، وهذا هو المرض الإيليسي، ومن لم يتدارك نفسه في هذا التيه بتعاطي الأدوية المرة من يد المرشد أو النصوح المخلص من إخوانه، رد عن الجنب إلى الأعتاب أو إلى رعي الدواب، نسأل الله السلامة))^{١٠١}

— أما بالنسبة لتفاضل الإخوان فيما بينهم، فيضع ﷺ قاعدة عظيمة تجعلهم جميعاً يتناسون هذا الفضل فيقول للسابق منهم :

((ليس الطريق لمن سبق، إن الطريق لمن صدق))

^{١٠٠} شراب الأرواح ص (٥٠).

^{١٠١} دستور آداب السلوك.

- ويقول لللاحق منهم:

((من سبقك في صحبة المرشد ولو بيوم فله فضل سبقك عليك))

- ويقول لمن أعطى لسان البيان:

((البيان خصوصية، لا تقتضي الأفضلية، ورب صامت خير من ناطق))

- ويقول لغير العلماء :

((ساعة من عالم متكئ على أريكته خير من عبادة ستين سنة))

- ويقول لأهل المجاهدات:

((جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين))

- ثم يقول لأهل الجذب:

((الجذبة تمنها كبار الأولياء، ولكن الله أرتضى لكمل أوليائه ألا يصلوا إليه إلا

بطريق المجاهدة))

- وهكذا يخرج كل سالك من الحال الذي وقف عنده، والمقام الذي استكن فيه، حتى يرى الجميع أن الفضل لله وللجميع، وأن البركة والفتح لهم بسر الاجتماع، وبدوام الاتباع، ويحذر من يرى نفسه لخصوصية ظهرت له في عين نفسه على أخوانه فيقول:

((كفى بالمرء إثماً أن يرى الخير في نفسه والشر في إخوانه))

- وينبه من ظن أنه وصل إلى حال استغنى به عن الإخوان بقوله :

((كمل الإخوان لو ظن أنه استغنى عن إخوانه فقد ضل))

وهكذا يحفظ لمجتمع الإخوان صحتهم الروحانية بهذه الآداب الرحمانية، ومن خرج

منهم عن ذلك جعل له تهدياً مناسباً إذا قام به ترجع له صحته الروحانية، حتى يكون الجميع حقيقة المثل الذي ضربه ﷺ لمجتمع المؤمنين في قوله ﷺ :

{ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى } ^{١٢} □

فيكونون كما قال ﷺ :

أنتم أنا وأنا أنتم ولا عجب إن كنتم حيث كنت أنا
روح هنا هي بعض أرواح هناك وأرواح هناك هي الروح المقيم هنا

ويلمح ﷺ إلى بعض تلك الآداب فيقول :

وستراً لعورات الأحبة كلهم وعفواً عن الزلات فالعفو أرفق
توادوا بروح الله بالله وابدلوا لإخوانكم بشر اللقا وتعانقوا
لصحتكم بالرفق والحسن فابدلوا لأحبابكم عند اللزوم وخالفوا
وكفوا عن التنفير واسعوا لجمعكم على الله فالدينا متاع مفارق

أما آدابهم في جلوسهم مع بعضهم وفي زياراتهم وتوادهم وفي سياحاتهم وأسفارهم وفي تعاونهم وبرهم وغيرها، فهذا سنيسطه في كتاب الآداب إذا يسر الله ذلك بجوده ولطفه.

ونتيجة هذه التربية السلوكية العالية فقد خرج طلابه ومريدوه على ما كان سائداً في صوفية عصره من التعصب لمشايخهم وتفضيل طريقهم على غيره، بل كان بعضهم ينهي مريديه عن زيارة غيره من الصالحين، وعن مطالعة كتب غيره، وإذا خالف أمره وفعل ذلك، عنفه وزجره وربما طرده، فيقول ﷺ :

((إن دعاة الجهالة لطمعهم يوقعون العامة في بغض العلماء والأتقياء والدعاة

^{١٢} رواه البخاري ومسلم.

إلى الخير، فتحصل الفرقة، ويقوم كل فريق لمناواة الآخر، فتتفرق الجماعة ويسارع كل فريق إلى المتسلطين أو الأمراء فيستعينون بهم على أهل الحق، حتى يضعف القائمون بالحق ويختفون وينتشر الباطل^{١٠٣}))

ويحض إخوانه ﷺ على معاشرة جميع العلماء ومخالطة كل الصالحين، وقراءة كل أصناف العلوم وجميع أنواع الكتب لأن الإسلام ينهي عن العصبية فيقول:

((ينبغي لإخواننا أيدهم الله تعالى - ألا يعادوا علماً من العلوم وألا يهجروا كتاباً من الكتب، وألا يتعصبوا لمذهب من المذاهب، لأن طريقنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها))^{١٠٤}

بل أنه ﷺ، لا يفرق بين الصوفية وغيرهم في هذا الأمر، حتى وصفه كبار المستشرقين عندما رأوه في بلاد السودان ودرسوا مبادئ دعوته، بأنه ﷺ أقرب إلى الدعوة الوهابية منه إلى الصوفية فهو يرى أن المسلم لا يتعصب إلا للإسلام فقط في مواجهة ما عداه أما مع إخوانه المسلمين، فهي الأخوة التي أوجبها الله وحققها سيدنا رسول الله ﷺ.

٣- الأدب مع المرشد:

وقد استنبط ﷺ الآداب الواجبة على السالكين للأئمة والمرشدين من كتاب الله ﷻ، ضارباً بذلك الطقوس والحركات التي انتشرت في صوفية العصر، والتي جعلت الناس ينكرون على أهل الطريق نتيجة خروجهم عن حد الاعتدال في هذه الآداب، فمثلاً بعضهم يقف ولا يستطيع أن يجلس ما دام في حضرة شيخه، وبعضهم يضع ذقنه على صدره ولا يرفعها إلا بإذن من شيخه، وبعضهم يخرج من حضرة شيخه بظهره حتى لا يستدبر الشيخ، وغيرها من الأفعال التي تتنافى وسماحة الإسلام، فأرجع ﷺ الآداب المرعية في صحبة العارفين إلى الآداب التي بينها الله ﷻ في كتابه فيقول ﷺ:

^{١٠٣} معارج المقربين ص (١٦١).

^{١٠٤} معارج المقربين ص (١١٥).

((وقد أدب الله أوليائه بهجرة الكلم عليه الصلاة والسلام للعبد العالم، وبين لنا أدب الكلم عليه الصلاة والسلام معه ما لاقاه منه من الجفوة والاحتقار في مخاطبته بقوله ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ١٠٥ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِط بِهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف] بين لنا ﷺ سوء أدب موسى السامري وبلعام ابن باعوراء الذي أخبر الله عنه بقوله ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف]، وكان من خاصة أصحاب الكلم ﷺ، فبلغ في محبته مبلغاً ظن فيه مساواته له وتفوقه عليه}} ١٠٥

وقد أجمال ﷺ الأدب الواجب مع المرشد في عبارة واحدة حيث يقول:

((تقيمه مقام الوالد الرؤوف الرحيم، وتقوم له بما يقوم به الولد البار الكريم)) ١٠٦

وقد طبق ذلك ﷺ في تربيته لمريديه، فقد حكى لي الشيخ عرفات الجمال رحمه الله تعالى: أنه كان جالساً متربعاً واضعاً رأسه على صدره، جامعاً يديه على فخذه في حضرته ﷺ، فما كان من الإمام أبي العزائم إلا أن قال له:

((يا عرفات ارفع رأسك وأرح نفسك في جلستك، فأنا بالنسبة لك إما أب أو أخ أكبر، والأب لا يرتاح مع تعب ابنه، والأخ الأكبر لا يستريح مع تعب أخيه.

يا بني: ... لا تظن أن هذا هو الأدب المطلوب مع الشيخ، وإنما الأدب المطلوب مع الشيخ أن تحفظ له باطنك في حضرته وتحفظ ظاهره عن الوقوع في المعصية في غيبته))

وبعد أن بين ﷺ أن أدب السالك مع شيخه هو أدب الابن البار الذي وضحه كتاب الله، وبينه سيدنا رسول الله ﷺ في معاملة الابن البار لوالده الرؤوف الرحيم، ينبه بلطف إلى أمور يجب أن يعيها السالك حتى لا يحرم من الامدادات الإلهية التي ترد إليه عن طريق شيخه أبرزها ما يلي:

١٠٥ دستور السالكين ص (٤٥).

١٠٦ دستور السالكين ص (٤٤).

١- أن يكون تطهر ظاهراً وباطناً مما يخالف الشرع من كل الكبائر خلقاً أو عملاً.

٢- أن يتخلق بأخلاق الرسالة من الصبر والرضا والتوكل.

٣- أن يجعل ذات المرشد هي المقصودة له لا لكرامة يبتغيها أو مكانة يرجوها أو دنيا يصيها أو علم يناله أو فقه يفهمه، لأن أهل خصوصيته هم خاصة رسول الله ﷺ.

٤- يلزمه أن يكتفم أحوال الرجل التي أباحها له في سر إلهي أو ديني أو دنيوي أو أخروي - مادام تسمعه منه منفرداً - لئلا يقدح ذلك في حفظه لأمانته.

٥- أن يكون مألوفاً لجميع المخلوقات من الحيوانات والناس بما يناسب كل طبقة.

٦- أن يكون بعيداً عن الشبهات ظاهراً وباطناً ولا يعتمد على حفظه بحاله، ولا يقلد الرجل في أحواله عند مقتضيات الجمع فإنه فرض.

٧- مهما أكرمه الله تعالى بخصوصية لا يخطر على قلبه إنه أشبه المرشد أو ساواه أو استغنى عنه، فإن ذلك دليل القطيعة عن الله تعالى، وإن كان الرجال لا يحظرون على فضل الله تعالى، ولكن الطريق لا يسلم فيه إلا أهل الأدب وفيه سوء الأدب عطب.

وهكذا يبين الإمام رحمه الله، أن السعادة كل السعادة في طريق الله تعالى في الأدب مع المرشد فيقول:

((الوقوف عند المرشد - أمان ونجاة - وإن أنزلك عن مقامك وحالك - لأنه يريد لك الوسط لتتمتع بشهود ربك في كل شيء بوجود كل شيء، وهو السنة في التربية، وانظر إلى ذات السيد ﷺ برده ابن عمر إلى الوسط، فكن كالमित مع

المرشد تحياً أبداً، فظفر المرشد ببصره أعلى في مراتب التمكن من كشفك ببصيرتك فاحذر أن تقف عند حالك أو كشفك وكن - مهما ترقيت - حلة من حلل جماله، وغصناً نضراً من أغصان شجرته، اتصاله حياتك وانفصاله هلاكك^{١٠٧}((

ثم يبين ﷺ قسماً من الآداب العالية في صحبة الواصلين للمرشد فيقول: ((المرشد سر غامض مرتبته، وجهر جلي مكانته، ظاهره ذل العبودية وخشوع المشاهدة، وخوف الإطلاق واستكانة المعرفة، كن اشفق عليه من شفقتك على نفسك، وارهب له من خوفك من النار، ومهما ظهر لك من ذله واحتياجه إليك واستعانتك بك، فاجعل ذلك منزلة الاختبار، وبداية الامتحان، وابذل النفس والنفيس قبل الإشارة والروح عندها، وانظر إلى حوادث الصديق مع السيد ﷺ وعلى ذلك فانهج، إذا أخبرك بخصوصية أو رفعك بمزية، فلا تجعلها شاغلاً لك عن العكوف على ذاته، واحتقر ملك الأرض في جانب خدمة أعتابه، فإنه لو أنس بك ما أبعدك عنه إلا إذا أقامك مقام ذاته في شأن من شئون واجباته، كما فعل موسى بهارون عليهما الصلاة والسلام، ورسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب في غزوة تبوك^{١٠٨}((

وهكذا يرد الإمام أبي الغنائم ﷺ الآداب في هذا الباب إلى آداب الأصحاب رضي الله تعالى عنهم، فالسالك يتأدب في نفسه بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خاصة أنفسهم، ويتجمل مع أخوانه بما كان يتجمل به أصحاب رسول الله ﷺ مع بعضهم ويسلك مع المرشد ما كانوا يسلكونه مع سيدنا رسول الله ﷺ مع حفظ المكانة المحمدية، لأن ذاته ﷺ ليست كسائر الذوات، وهيئته ﷺ ليست كبقية الهيئات وإنما المشابهة من باب قوله ﷺ: {لشيخ في قومه كالنبي في أمته} ١٠٩

وصدق ﷺ إذ يقول:

وي عجيب آخر الأزمان عادت لنا أحوال أفراد حسان

^{١٠٧} شراب الأرواح ص (١٥٧ - ١٥٨).

^{١٠٨} شراب الأرواح ص (١٥٨).

^{١٠٩} رواه ابن حبان والديلمي عن أبي رافع.

تمة:



وهكذا ما ترك الإمام ﷺ شيئاً يهم أهل الطريق في سيرهم وسلوكهم وحالهم مع ربهم، إلا وقد بين لهم مأخذه من كتاب الله ﷻ، ووضح لهم السنة العملية في فعله، والمطابقة لعمل سيدنا رسول الله ﷺ، فجدد الله به أحوال الصوفية وردها إلى حقيقتها التي كانت عليها في عصر رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام.

وأما المقامات التي ينزل فيها أهل الطريق، والمشاهدات التي يواجهون بها والأحوال التي يتحملون بها، فهذا أمر يحتاج إلى بسط كبير ويحتاج أيضاً إلى أن ينزل الإنسان في هذه الأحوال ويصل إلى تلك المقامات ليتعرف عليها ذوقاً، إذ الكلام النظري في هذا الأمر لا يفيد ما لم يصحبه التطبيق العملي...

ولذا كثيراً ما يعترض نفرٌ من أهل العلم على السادة الصوفية وذلك لأنهم قرأوا أذواقهم ومشاهداتهم ولم ينزلوا بأنفسهم فيها، ويعايشونها، فأنكرتها عقولهم ولم تتذوقها قلوبهم، لكن علوم الصوفية الحقة وأسرارها لا ينبغي أخذها إلا من باب ((ذق تعرف)) ولذا آثرنا ألا نتحدث عن المقامات والأحوال التي يمر بها السالكون وينتهي إليها الواصلون - وإن كان أشار إليها ﷺ في كتاب شراب الأرواح، وقسم علوم اليقين من كتاب أصول الوصول - اكتفاء بما نبهنا منها للمريدين في الجلسات الخاصة بعد صفاء نفوسهم وتهذيب أحوالهم، فالأمر كما قال الإمام ﷺ :

((نحن قوم نكتم أسرارنا عن الطالب حتى لا يكون له شهوة إلا في الحق))

ويقول:

إن كان ما قلت نوراً فالسر أعلى وأعلى
يعطي لفرد مراد عن كل غير تسلي
باع النفوس ومالاً حتى به صرت أولى

فمن أراد الأسرار، فليقترب من الأخيار، ويواصل جهاد النفس أناء الليل

﴿ ١٦٤ ﴾ الإمام أبو الغنائم المجدد الصوفي للأستاذ فوزي محمد أومريد

وأطراف النهار، حتى يصفو قلبه من الأغيار، ويجمل بخالص الأنوار، وهنالك يكون بيتاً مؤهلاً لتنزل الأسرار، وكنزاً للهدى والأنوار.

وصلى الله على سر الأسرار ونور الأخيار وآله وصحبه وكل من انتظم في عقد معيته إلى يوم القرار. والحقنا بفضلك بمعيتهم يا عزيز يا غفار.

الفصل الحادي عشر

جهود الإمام أبي الغنائم

العلمية رضي عنه

أولاً - في مجال النشر:

- ١- التفسير
- ٢- العقيدة
- ٣- الأحكام وحكمتها
- ٤- إحياء الروح الإسلامية

٥- الدعوة الصوفية

٦- السيرة النبوية

٧- الأوراد والـ استغاثات

والصلوات

ثانياً – في مجال النظم الصوفي:

تعريفه وكيفية تلقيه

أغراضه

ويولان شروق الإسلام

جهوده العلمية

وقد أثرى الإمام أبو العزائم رحمه الله المكتبة العربية بما يزيد على الستين كتاباً في مختلف أنواع المعرفة، بالإضافة إلى مقالاته التي لا حصر لها، والتي نشرت في مجلاته (السعادة الأبدية والفتح والمدينة المنورة).

إلى جانب ما نشر في الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية التي كانت تصدر في عصره مثل (المؤيد والأهرام، والبلاغ وغيرها).

وترك أيضاً كمّاً هائلاً من المواجهيد الصوفية والقصائد الدينية، ولذا نرى أن نقسم الحديث في هذا الباب إلى شطرين:

أولاً: النشر.

ثانياً: النظم الصوفي.

أولاً: النشر

ويوجد بالمؤلفات التي تركها رحمه الله، وهي تحتوي العلوم والآراء التجديدية التي أوردتها رحمه الله وشرحها في هذه الكتب.

ونستطيع أن نقسم هذه الكتب إلى التصنيفات الآتية:

١- التفسير

وقد كان رحمه الله يلقي دروساً في تفسير القرآن كل ليلة بعد صلاة العشاء، ويسجلها تلاميذه كتابة من حوله، وقد وصل في تفسيره إلى الجزء السابع عشر من القرآن الكريم، غير أن الموجود فعلاً حتى الجزء الثالث عشر، والباقي فقد ما فقد من كتبه رحمه الله المخطوطة.

وقد سمي هذا التفسير ((أسرار القرآن)) ونهج فيه رحمه الله نهجاً فذاً، حيث أنه

كشف عن جواهر المعاني القرآنية المنبثة في الكلمات الإلهية والمرادة من خطاب الله ﷻ لعباده المؤمنين مبتعداً عن العلوم الفرعية - والتي حرص المفسرون أن يحشوا بها تفاسيرهم، حتى يظهروا تضلعهم في هذه العلوم، فمن كان نحويّاً اجتهد في ملأ تفسيره بالقواعد النحوية والاعراب، ومن كان بلاغياً كان كل همه اظهار ما في الآيات من دلالة الألفاظ وبلاغتها، ومن كان ذا فلسفة خاصة، دسها وأسهب في شرحها عند تفسيره للآيات القرآنية، وكل هذا يخرج القارئ عن المعنى المراد - حتى لا ينصرف ذهن السالك عن معاني كلام الله، ولا يلجأ إلى أي من هذه الفنون إلا إذا كان المعنى يحتاج إليها لزيادة إيضاح، فيكون الاعراب مثلاً لا بد من توضيحه لتعلقه بالمعنى الذي تبرزه العبارات، لأن أهم ما يحرص عليه ﷻ في تفسيره، أن يربط المؤمن بربه عند تلاوته لكلامه حتى ينمو بداخله الحس الروحاني الذي يصور له أنه يناجي ربه ﷻ بكلامه، وهو ﷻ يكشف له أو يلهمه بمراده ﷻ في كلامه، ولذا يقول ﷻ كاشفاً الأصل الذي بنى عليه تفسيره :

((ليس الشأن أن تفهم القرآن ولكن الشأن أن تكشف بمراد الله ﷻ في القرآن، لأن الفهم يختلف من شخص إلى شخص على حسب قدرات كل الذهنية والعقلية، ولكن مراد الله ﷻ الذي من أجله أنزل كتابه واحد وإن كان لا يصل إلى معرفته إلا من استنار قلبه بنور ربه ﷻ)).

وهذا ما جعله ﷻ يحكم على كل من فسر القرآن برأيه بدون بصيرة بأنه أخطأ القصد، لأن مراده قد يتعارض مع مراد الله ﷻ فيقول:

((لو جمع رجل كل علوم الأولين والآخرين ثم قال في القرآن برأيه بغير بصيرة من ربه فقد أخطأ ولو اصاب))

وهذا هو النهج الذي وضعه الله ﷻ لحبيبه ﷺ وورثته في قوله ﷻ: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨]، هذا وإن كان ﷻ قد تعرض لتفسير كثير من الآيات القرآنية غير ما سبق وقد نشرت في مجلاته أو في كتبه غير أنه لم يكمل سورة من غير الأجزاء السبع عشرة إلا سورة القدر، فقد فسرهما في رسالة مستقلة سماها ((تفسير سورة القدر)).

٢- العقيدة

وهي الكتب التي يشرح فيها العقيدة للمسلمين، ويرد فيها على سموم المستشرقين وهي:

- ١- عقيدة النجاة.
- ٢- وسائل إظهار الحق.
- ٣- تفصيل النشأة الثانية.

٣- الأحكام وحكمته

وهي الكتب التي فصل فيها الأحكام الشرعية وبين حكمة هذه الأحكام وهي:

- ١- أصول الوصول إلى معية الرسول.
- ٢- هداية السالك إلى علم المناسك.
- ٣- صيام أهل المدينة المنورة.
- ٤- الفتاوى العزمية.

٤- إحياء الروح الإسلامية

وقد عني ببث هذه الروح في كتبه التي تضمنت رأيه في كيفية إعادة المجد الإسلامي، وذلك في كتب:

- ((الإسلام دين الله)) - ((الإسلام نسب)) - ((الإسلام وطن)).
- وتحدث عن واجب المسلمين في تحقيق تلك المثل، حيث فسر دورهم في الجهاد من أجل تحقيق تلك الغاية في كتابه ((الجهاد)).
- وكشف عن أساليب المستعمرين في الكيد للمسلمين في كتابه

((محكمة الصلح الكبرى)).

- ووزع المهام على الأفراد والجماعات في مرحلة الجهاد في كتابه ((النور المبين في علوم اليقين ونيل السعادت)).
- وعالج تفرق المسلمين في كتاب ((الشفاء من مرض التفرقة)).

٥- الرعدة الصوفية

وهي الكتب التي تتضمن آداب الطريق ومشارب الرجال ومنازل الواصلين ومشاهدات المقربين، والمطبوع منها هو:

- ١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.
 - ٢- مذكرة المرشدين والمسترشدين.
 - ٣- آداب السلوك إلى ملك الملوك.
 - ٤- دستور السالكين طريق رب العالمين.
 - ٥- معارج المقربين.
 - ٦- الفرقة الناجية.
 - ٧- من جوامع الكلم.
 - ٨- الطهور المدار على قلوب الأبرار.
 - ٩- الجزء الثاني من كتاب أصول الوصول لمعية الرسول.
- أما المخطوط منها فهو:
- ١- الصوفية والتصوف.
 - ٢- المضمون والمكنون.

- ٣- موارد أهل الصفا.
- ٤- مصطلحات الرجال.
- ٥- الألف مرحلة في طريق الله ﷺ.
- ٦- دستور آداب آل الغزائم.

٦- السيرة النبوية

- وقد طبع منها كتب:
- ١- بشائر الأخيار في مولد المختار.
- ٢- النجاة في سيرة رسول الله.
- ٣- السراج الوهاج في الإسراء والمعراج

٧- الأوراد والاستغاثات والصلوات

وهي:

- ١- ما يزيد على الخمسمائة فتح في الصلوات على رسول الله ﷺ، طبع منها سبعون فتحاً باسم (الفتوحات الربانية والمنح النبوية في الصلاة على خير البرية) ولا يزال الباقي مخطوطاً.
- ٢- ما يقترب من خمسمائة حزب، طبع منها ما يتعلق بشهر رمضان باسم (أدعية الغفران في شهر القرآن) وطبع بعض منها في الأوراد اليومية في كتاب (نيل الخيرات بملازمة الصلوات) ولا يزال الباقي مخطوطاً.
- ٣- الاستغاثات والأدعية بحسب المناسبات، وقد طبع منها ما يناسب ليلة

النصف من شعبان في كتاب ((مشارك أنوار البيان في ليلة النصف من شعبان)) وطبع جزء منها في كتاب ((الأدعية والاستغاثات الكبرى)) والباقي وهو الجزء الأكبر لا يزال مخطوطاً إلى الآن.

هذا وقد فقد كم كبير من المخطوطات النادرة، وكانت معبأة بإحكام في صناديق خاصة بها وذلك عند نقل أثاث المنزل بعد وفاة الإمام أبي العزائم رحمه الله لإعادة بناءه بعد تقسيمه على الورثة، ويقوم بطبع هذه الكتب الآن جهتان:

١- ابنه السيد مختار ماضي أبو العزائم ويتولى طبعها ونشرها عنه مكتبة دار الشعب وغيرها.

٢- دار المدينة المنورة للطبع والنشر، التابعة للمشيخة العزمية.

ثانياً: النظم الصوفي

تعريفه وكيفية تلقيه

وهو الذي يقول فيه رحمه الله: { إِنْ مِنْ الشَّعْرِ لَحِكْمَةٌ } ١١٠

وقد بلغ فيه الإمام أبو العزائم رحمه الله الغاية في جزالة الألفاظ ورصانة الأسلوب وبلاغة العبارة مع المعاني المبتكرة التي لم يسبقه إليها أحد، وقد كان رحمه الله يلقي هذه القصائد عندما تنتابه حالة الوله، فيملي عليه ملك الإلهام هذه المعاني الروحانية والأسرار الربانية، فيصوغها نظماً، وقد وصف رحمه الله هذه الحالة في قوله معبراً عن المراحل التي يمر بها الواصل حتى يصل إلى حالة الإلهام:

((ثم بعد أن تبدو له تلك الآيات الملكية، تعلوه حيرة منه له، فيظهر له منه خفاء ما فيه، فيغيب به عن شهود ما حوله وفوقه وتحتة، ويجول في مدينة حسنة وجماله وكماله، منزهاً ما يظهر له منه من غرائب ما يراه فيه من الآيات التي هي عين

^{١١٠} رواه البخاري عن أبي بن كعب والترمذي والطبراني عن ابن عباس.

ما شهد قبل في غيره، ومن الأنوار التي سمت وعلت، ثم يشهدا في جميع ما شهد، حتى يغيب عنه شمس حقائق ما شهد من غيره، ويعلوه من الدهشة ما يجعله فوق طور الطرب، وتحت ناموس الشوق المقلق الموجب للهيام، وعندها يفنى عن القيود الناسوتية التي بها توصل لكشف الملك، لظهور لمعات أنوار الملكوت بعين بصيرته عن مشكاة المثل الحقي في كوكب التجلي الأسماي، في صورة الزجاجة اللطيفة النورانية، ويفنى بعد هذا الفناء، في رتبة خفاء المرتبة الإحسانية، فتمتلى بغير استحضار، بل بقوة ما يفاض عليه من لدى الأوصاف الحسنى من التنزيه الإثباتي والتشبيه السلبي، ويبوح عند الهيام بلواعج الشوق حتى يكاد يترجم من غير إدراك عن الغيب المصون الظاهر له بالبصيرة^{١١١}

وكان أولاده ومريدوه يكتبون عنه هذه المعاني التي رفض ﷺ أن يطلق عليها اسم ((الشعر)) وإنما سماها ((مواجيد)) لأنها نتيجة حالة الوجد التي يعانيتها ويعايشها، ويكشف اللسان عن شميم منها للمؤهل لها، وأجاز إطلاق اسم قصائد عليها بشرط أن يعرف المتقول لتلك الكلمة أنها ناتجة عن قصود عليّة، وهمم سماوية، وقلوب عرشية وأرواح نورانية فيقول:

ليس شعراً ما قلت حال ورودي بل هو الخمر يحتسى في
راح قدس قصائد من قصود قد أدير من حضرة المعبود

ويقول أيضاً:

ترنمت لا لهياكل ومباني ولكن لفرد واجد روحاني
أغان إلى الغيب المصون مشيرة بها الروح سكرى والجميل عيان
أغني لروحي معرباً عن حقيقتي فلا يصغي لي إلا فتى روحاني
وفي صوري الأخفى ورسمي في ومشهد روحي مشهد رباني
أغان فما للعقل فيها تناسب ولا مشهد للنفس فيها برهان

^{١١١} شراب الأرواح ص (١٧٦ - ١٧٧).

وقد كان ﷺ تأتيه هذه الحالة حتى أثناء نومه، فيقوم ويملي ما ألهمه الله ﷻ به، ولما عرف خاصة الإخوان ذلك الأمر، كانوا يراقبونه مستترين، فإذا هاجه الحنين وأملى ما ورد، أسرعوا في كتابته، ولما ظن بعضهم أنه ﷺ لا يعرف أمرهم، كاشفهم بحقيقة الأمر وأوضح لهم مكنون السر وقال:

أنا لو أغنى في الخفا لتكلمت أحجار هذا البيت عن كلماتي
لكن أشير بفرق فرق محرق يدري مبادئه أولى الهمات

بل والأعجب من ذلك أنه ﷺ كان عندما ينتابه هذا الحال ولا يجد أحداً كاتباً بجواره، ينادي على من بجواره أياً كان، ويأمره أن يكتب فيمسك بالقلم ويكتب بأمر الله ﷻ، مع عدم معرفته بالقراءة والكتابة قبل ذلك.

ولما كانت هذه الأحوال تنتهي، كان يسترجع مع أحبابه ما كتبه، فيبقى على ما يناسب العقول والأفئدة، ويأمرهم بحرق ما تبقى ويقول لهم:

((من أظهر ما لا يطاق أوقع غيره في النفاق)).

ويقول أيضاً:

كيف الإباحة بالأسرار في مالأ وهي الحقيقة تصريحاً وتيقناً
روحي قبيل بياني قد أجود بها سمحاً بها وأرى الأغيار تكويناً
أخشى على الدر أن يلقي بمزيلة فيزدري وأخون الحق والدينا

ولما كانت هذه الإلهامات من الكثرة حتى أنها تجاوزت المائتي ألف قصيدة، كان ذلك يدعو إلى حيرة وعجب كثير من الحاضرين، حتى أن رجلاً منهم وكان يسكن في مدينة السويس، بات ذات ليلة يفكر في هذا الأمر الغريب والشأن العجيب، وكيف أن هذا الرجل يلقي القصائد المتتالية بغير تفكير سبق، ولا إعداد ذهن ولا تصور عقل، ومع ذلك تسمعها كأنها المعنية بقول رسول الله ﷺ { إن من

البيان لسحر { ١١٢ } لشدة وقعها وغريب تأثيرها في نفوس السامعين، والأعجب من هذا، أنها تأتي على أكمل ما يكون من حيث وزن الشعر وقوافيه، حتى أن المرء لا يستطيع أن يستبدل لفظة منها بغيرها، لشدة ترابط كلماتها ...

فرأى هذا الرجل في تلك الليلة سيدنا رسول الله ﷺ جالساً على كرسي وأمامه ستارة، وأمام الستارة يجلس الإمام أبو العزائم على المنصة، وكلما حرك سيدنا رسول الله ﷺ فاه بكلمة ردّد الإمام أبو العزائم نفس الكلمة، فكانه يبلغ عنه، فقام من نومه مسروراً، وانتظر إلى الصباح بفارغ الصبر، ثم أسرع إلى القاهرة ليبشر الشيخ بما رأى، وعندما دخل المنزل، وجد الإمام يلقي درساً على إخوانه، وحينما وقع نظره عليه، خرج الإمام عن درسه وقال فوراً على البديهة:

لولا ولولا ولولا	عهدٌ وثيق لمولى
لكشفت عني ستاري	وبحت بالسر قولاً
لكن وجهاً جميلاً	لعين قلبي تجلى
أغيب عني وأملني	لمن بسري تحلى
لست المغني بقولي	إلا إذا الفرد أملني

أخراجه: 

وقد تناول ﷺ في هذه المواجيد :

كل المواضيع الدينية والخلقية بالإضافة إلى تعبيره عن جميع أحوال الصوفية سواء في جهادهم لأنفسهم أو في وصولهم لمحبتهم أو في مواجهاتهم أو مؤانساتهم، حتى أنه لم يترك شاردة ولا واردة من أحوال الصوفية والصالحين إلا ووصفها ووضحها وبينها في هذه المواجيد الإلهية.

ونستعرض هنا رذاذ من عبير تلك القصائد:

ففي الصلاة مثلاً يقول:

^{١١٢} رواه البخاري عن أبي بن كعب والترمذي والطبراني عن ابن عباس.

أقيم صلاتي إن تجردت عن نفسي فأفنى بها عني بمشهده القدسي
لديها يواجهني بوجه مقدس أكون أنا عرش التنزل والكرسي
عليّ يصلي في صلاتي لأنني تشبهت بالمختار بالجسم والنفس
وها هو في الذكر يقول:

إذا ما ذكرت اسم الجلالة تجلى لي حقائق أنوار من المشهد العالى
فاشهد حال الذكر وجهاً مقدساً تعالى عن التشبيه والأمثال
لدى الذكر أنوار الجميل تلوح لي مواجهة في الذكر والذكر آمالي
ومما يشوق به القلوب إلى حضرة الله قوله:

من إليه حنين أهل الصفاء وهو نور يلوح للأصفاء
من تجلى فأظهر الكون نوراً شوق العالمين بالآلاء
من يلبي الداعي بحال اضطرار من يغيث المضطر بالنعماء
من هو الظاهر المجيب تعالى يعطى فضلاً سوابغ الإعطاء
من يرانا ولا نراه فنعصى يغفر الذنب بعد طول الجفاء
كم عصينا وكم سألنا فلبى أبدل الذنب منه بالرضاء

ويعلي الهمم للإقبال على سيد العرب والعجم فيقول:

سر الوصول إلى الجانب العالى حب النبي محمد والآل
من لحظة في الحب تشهد وجهه وتفوز منه بسره في الحال
تعطى العلوم وتشهدن فتترجمن بلسان أهل القرب والأبدال
تعطى الجمال فلا يراك مصدق إلا ويشهد نوره المتلالي
من أين هذا العلم والنور الذي أعطيته من لحظة في الحال

من حب قلبي للحبيب محمد نلت المنى بل نلت كل آمالي

ويعرج على رمز آدم فيكشفه حيث يقول:

إذا سبقت حسناك جملت التريا يصير لك المصباح نوراً ولا شوبا
له تسجد الأملاك طوعاً وقربة يعلمهم أسمائه يشهد الغيب
وما آدم لولا ضيا نفخة بها لقد سخر الأكوان يجذبها جذبا
إذا سبقت حسناك ترفع سافلاً وتجعل ترب الأرض للعالم القطب

وتارة يفتح الباب للمذنبين حتى لا يقنطوا من رحمة رب العالمين فيقول لهم:

يفرح التواب بالتوبة من عبده يعطى الرضا يوم الحساب
يفتح الباب بتوبته على من أتى متحققاً سوء العقاب
قد يحب الله عبداً تائباً راغباً رضوانه ينسى العذاب
من ويريد العبد أقرب فابتهل تائباً يا عبد واضرع في الرحاب

وبعد التوبة يرغبهم في الجهاد فيقول:

يراقب أحكامي ويحفظ شرعتي فتى سالك يرجو وصالاً لوجهتي
يعامل خلقي بالذي قد شرعته وبالفضل يستجدي جميل مودتي
ويعبدني بالصدق لا يرجو نعمة من الخلق بل يرجو قبولي ونعمتي
وهذا سبيل السالكين وحالهم مراقبة الأحكام رغبة جنتي

ويفصف من يعاني من الوجد والغرام ويتجه إلى الله بخالص الحب والهيام

فيقول:

أهل المحبة لما عاينوا هاموا والغافلون عن المحبوب قد لاموا
ذكروا الحبيب فأدناهم وقربهم وبعد قربهم كشف وإكرام

غابوا بذكرهم طابوا بشربهم ومقعد الصدق نزل فيه قد قاموا
لم تلهمهم جنة الفردوس إذ لهم شوق إلى ربهم وَلَهُ وإحرام
قد نولوا من شراب الود خالصه رفعت لهم بين أهل القرب أعلام
ومن وصفه للعارفين قوله:

العارفون لهم مقام راقى لم يدركن بالعقل والأحداق
شهدوا جمال الله بالعين التي وهبت لهم من منعم خلاق
أهل الشهود هم الكرام أئمة قد جملوا بالحب والأخلاق
أسرارهم وهبت لهم من ربهم والمصطفى الهادي لروحي ساقى
الشرع مشربهم ووجه حبيبهم في حيثما كالشمس في الإشراق

وعندما سمع بعض أهل العلم أحد تلاميذه جالسا بالأزهر الشريف يردد إحدى هذه القصائد! لم يتذوق معانيها .. بل زاد على ذلك، وذهب مغاضبا يريد أن يعاتب الشيخ على مثل هذا الكلام، نظر إليه ﷺ فوجده شديد الاهتمام جدا بهيئته وملبسه، حتى أن حذائه كان شديد اللمعان من شدة عنايته به، فقال له ﷺ:

((لو نظفت قلبك كما نظفت حذاءك لفهمت مثل هذا الكلام !)).

فاعلم أن المواجد لا يتذوقها إلا أهل الوجد، فيتغنون بها ترويحاً عن أنفسهم في سيرهم وسلوكهم إلى ربهم، ويوجه الخطاب لمن يلومه على هذه الأحوال فيقول:

ألا لا تلوما ماضياً إن ماضيا له مهجة ذابت بحر المكاويا
رأى الحسن صرفاً في مطالع أفاقه لروحي إلى رُبْع الحقيقة داعياً
فهامت له عشقاً ولما تهيمت أباح الضنا عني بما قد علانيا
شهدت جمالاً لو تبدى لأكمه تهيم في معناه وأرتد رائيأ
ولو للجمال الشم أبدى جلاله لدكت لوقع الخوف منها العواليا

علام تلوماني ولم تريا الذي بصورة أسماء الجمال بدا لي

ديوان شروق الإسلام:



والأمر يطول لو استعرضنا كل الأغراض التي تحدث عنها ﷺ في مواجيدته.

لكن أغرب ما فيها هو ديوانه المطبوع تحت اسم ((شروق الإسلام)) والذي قد وضع فيه قبساً من الغيوب التي لم تكن قد ظهرت بعد، وظهرت بعده وأبرزها تنبؤه بالحرب العالمية الثانية، مع أنه قد مات قبل اندلاعها، وأيضا تنبؤه بتفكك الاتحاد السوفيتي إلى دول، ومما قاله فيها:

نجم غرب يمحي وكوكب شرق	يقتضي عودة بخير المواهب
نار حرب تشب منها ^{١١٣} بالما	تمحق الظالمين من كل كاذب
عمّت الغرب في شمال وأصّلت	في لظاها الظلام من كل غاصب
فيه ألمانيا وروس ونمسا	تسعر النار بالجرى المحارب
تصطلي دولة البواخر حربا	يمحي عنها في الشرق كل المناصب
نار حرب تشب منهم عليهم	سرّها الظلم والقوى المطالب

بل أنه ﷺ تنبأ بما يحدث في روسيا وفي اليابان الآن من علو لشأن الإسلام فيقول:

يظهر الإسلام في روسيا وفي	أرض يابان يعلو بها القرآن
ينشر الإسلام في روسيا وفي	أمة اليابان بالآي الحسان

ثم يبشر ﷺ بما سيحدث لأهل أوروبا نتيجة ظلمهم فمن ذلك قوله:

يا أوروبا جهلت ثم جهلت أنت في سور رتبة الأنعام

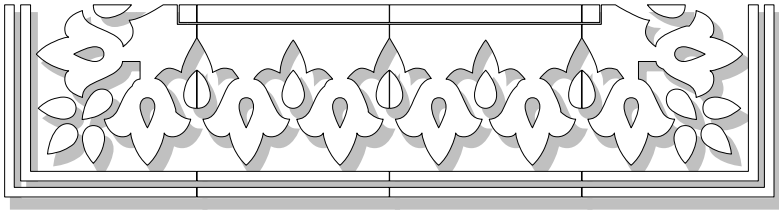
^{١١٣} ألمانيا.

قد رأيتم غناكم فطغيتم سوف ترموا بصعقة الإنتقام
قد جمعتم جيوشكم لتزولوا أبشروا بالدمار ذل الحمام
وفى تبشيرہ ﷺ بانھیار الاتحاد السوفیتی وتفککھ وهو ما حدث مؤخراً، قال:
قوم روسيا قد يصبحون عزيزنا فرقة تسلب النفوس في الأحلام
يقذفون بنار برکان مقت يصبحون الأكام بعد النظام
وفي هذا تكون البشرى لأهل الإسلام حيث يقول لهم:

لديها يضى الشرق بالشمس أشرقت تكون لياليه كنور نهار
يجدد منهاج الهدي من أئمة لقد جهلوا قبل انتشار النار
ويقول أيضاً:

تشرق الشمس في مرابع شرق تترائى بكل أرض حرام
يمحق الله كل تيجان ظلم وبلاد الإسلام أرض السلام
هذا وقد طبع من قصائده ﷺ :

- ١ - ديوان ضياء القلوب في خمسة مجلدات.
- ٢ - والمواجيد التي أملاها في عام ١٣٤٢ هجرية، حيث طبعت على حساب شهور العام.



الفصل الثاني عشر

وصية ووداع

● وصية للإخوانه □

● وصية للأولاده وأهل

بيته

● زوجاته وأولاده

● خاتمة



مزار الإمام أبي العزائم عليه السلام بمسجده
بشارع مجلس الشعب بالقاهرة

الفصل الثاني عشر:

وصية ووداع

وصية للأخوانه

وقد ظل ﷺ يجاهد في كل نفس من أنفاسه في ذات الله تعالى، حتى لما أقعده المرض في آخر أيامه وشلت رجلاه، لم يصرفه ذلك عن مهام الدعوة إلى الله ﷻ، فكان ﷺ في قوة عزيمته ومضاء همته وصدق إرادته كأنه أمة من الدعاة إلى الله ﷻ، لشدة تأثيره في النفوس والقلوب، ولما أحس بدنو الأجل، جمع أحبابه ومريديه، ووصاهم بوصايا بالغة تجمعها هذه القصيدة التي جمعت كل شيء يهم المريد والواصل والتممكن في حالهم مع الله ﷻ، وسندكرها برمتها لأهميتها البالغة وهي:

أيا رفقة بالحق للحق صدقوا	ويا خلة بالله الله وفقوا
أيا سادة ذاقوا رحيقاً مقدساً	على منهج الصديق ساروا ورافقوا
وإخوان صدق بالعزيمة بادروا	برشف المدام الحق حتى تحققوا
ويا عصبة المختار يا نجدة الهدى	ومن بكموا في منهج الحق رافقوا
ويا أولياء الله يا أهل وده	ومن لهم المختار قد يتشوق
ومن خصصوا من سيد الرسل بالصفاء	ومن هم بحار للهدى تتدفق
أيا نخبة الرحمن أهل اختصاصه	ومن وجدهم خلق به لا تخلق
ومن خصصوا منه بفضل ورحمة	ومن هم شمس للأخلاء ^{١١٤} ترمق

^{١١٤} ترمق يشار أو ينظر إليها.

ومن شاهدوا الآيات في كل مظهر
أيا رفقتي يا خلتي يا أحبتي
إليكم إشاراتي فذوقوا سلافيها
ألا فاجتماعاً بالقلوب وألفة
وإياكم وأخلاق إبليس إنها
دعوا الكبر والحسد القبيحين سادتي
وستراً لعورات الأجنة كلهم
وغضوا عن المكروه أعين عفة
وإياكم وعدوكم خبث طبعكم
توادوا بروح الله في الله وابدلوا
لصحبكم بالرفق والحسن فابدلوا
وكفوا عن التنفير واسعوا لجمعكم
ألا من يكن في قلبه بعض ذرة
ألا طهر الأخلاق والنفس زكها
ألا يا أخي بالذل ترقى وترفعن
ويا صاحبي بالجد والعزم جاهدن
ويا أيها الصديق يا مظهر الهدى
ويا أيها الباب الذي نوره جلى
ويا أيها الفاني الذي حبه محا
ويا أيها المحبوب مطلوباً لنا
ويا أيها الراجي لوصل ونظرة
ويا باذلاً ما في يديك تقرباً
ويا باذلاً للنفس بيعاً بهمة
تخلق بأخلاق الاله وحافظن

بأعين تسليم بها النور مشرق
على العروة الوثقى فسيروا ورافقوا
تحاببتموا في الله بالله صادقوا
وعوناً على عمل المكارم تلحقوا
لقد أبعدته وهو طاووس رامق
دعوا طمعاً فيما يزول وسابقوا
وعفواً عن الزلات فالعفو أرفق
وجودوا ببشر فالسماحة رونق
وطمعاً وحب الجاه فهو يفرق
لإخوانكم بشر اللقا وتعانقوا
لأحبابكم عند اللزوم وخالقوا
على الله فالدنيا متاع مفارق
من الكبر والأحقاد ما هو ذائق
وإلا فسهم البعد يرمى فيفتق
وبالزهد تعطي ما له تتشوق
لتشهد أسراراً بها الحق مشرق
بحالك ماضى العزم يمحي المناق
لزين الخفا وبه أضاء المشارق
معاليمه في الحق والقلب يخفق
ومن هو فانٍ عن سوانا محقق
فظاهره يشتاق والروح أشوق
لنيل الرضا ولطيبهم تستنشق
وبشر منهم بالقبول وصدقوا
على منهج المختار في العقد تنسق

وكن ماضى العزم الذي لا يشوبه
ودع عنك ميلاً للحضيض وزينة
وقم داعياً لله بالحكمة التي
ولا تسع في التفريق أجمع به له
فماضيكموا الراجي بفضل محمد
فقد صح (واشوقاه) ^{١١٥} منه لهم به
وها أنا واشوقاه مني له به
إذا كان منه الاشتياق لنا به
فقد خصنا المختار بالشوق خلتي
فهيا بصدق في العزائم وأنهضوا
فهذا زمان الصدق في نصره الهدى
ألا سارعوا أحيوا لسنة أحمد
ألا أطفئوها باليقين تجردوا
وجدوا وجودوا بالنفوس وحافظوا
الا أيها الإخوان إن خشوعكم
ألا بعتموا لله مالاً وأنفساً
ألا حققوا واستبشروا يا أحبتي
وعلماً بأن الدين حسن عقيدة
عبادة ربّ العرش سيروا برحمة
بأنفسنا أولى بمحكم ^{١١٧} آية

شوائب تدليس وبالحق ينطق
بها اشتغل اللاهون عنه وما ارتقوا
بها قد حباك الله وهو الموفق
عليه أولى التسليم إذ أنت واثق
إخوة طه هل مراد يوافق؟
فلبوا بعزم فالملبي موفق
ولولا اشتياقي كادت الروح تزهق
فأولى بنا للوجد فيه نسابق
فشوقاً له شوقاً له لا يفارق
ليل إخوته به فهي أوفق
وأيام أهل العزم أين المصدق؟
ففتنة هذا العصر كالنار تحرق
عن الحظ والأهواء فالحظ مفرّق
على السنة الغراء فالله خالق
واخباتكم لله من هو رازق
بمدلول (إن الله) ^{١١٦} والذكر ينطق
بيعة رضوان من الله تسبقوا
وأنوار أخلاق بها الكشف يشرق
تكونوا بها أبناء طه تحققوا
فدتك نفوس طيبات ^{١١٨} وأينق

^{١١٥} يشير إلى الحديث الذي رواه الإمام مالك في الموطأ والذي يقول فيه ﷺ: { واشوقاه لإخواني الذين لما يأتوا بعد، فقال سيدنا عمر ألسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال أنتم أصحابي، إخواني قوم يأتون آخر الزمان آمنوا بي ولم يروني }.

^{١١٦} يشير إلى قول الله ﷻ: { إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة } (١١١ التوبة)

^{١١٧} يشير إلى قول الله ﷻ: { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم } (٦ الأحزاب).

^{١١٨} الأينق: الجمال السريعة.

فدا سنة المختار مالا وأنفساً
 ألا عزة منكم على كل كافر
 وكونوا أذلاء على كل مؤمن
 ألا خلصوا الأرواح من سجن نأيها
 ألا جاهدوا تلك النفوس بهمة
 ألا اسعدوني باجتماع وألفة
 ولا تيأسوا من رحمة الله إخواني
 على سنة المختار سيروا بهمة
 عساه بحول منه يمنحنا الهدى
 ويمحو بنا الألحاد والبغي والجفا
 ألا فابغضوا من أكّد الله بغضه
 ألا فاحفظوا الأركان أركان ديننا
 أديموا لذكر الله فالذكر نوره
 توادوا بروح الله فيه تزاوروا
 ألا عظموا لشعائر الله تعظموا
 وإنني عبد خاضع أرتجي الرضا
 بعقد المعية آخر الفتح بينت
 ظلوم لنفسي بل جهول وغافل
 إلهي بفضل منك عفواً وتوبة
 إلهي إلهي مذنّب ومقصر
 تفضل على ماضٍ إلهي بنظرة
 توسلت بالمختار طه وحزبه

لنحفظها من كل غر^{١١٩} ينافق
 سعى منكراً للحق يرجو يفرق
 ليجمع بالتوفيق هذا المفرق
 وجدّوا لتزكية النفوس وسابقوا
 تفوزوا برضوان من النار تعتقوا
 على منهج المختار فالنور مشرق
 ومن نصره فالله بالعبد يرفق
 عسى الله يحيينا به ويوفق
 ويحيي بنا أسرارها ويحقق
 لتشرق شمس الدين والشرق يشرق
 أحبّوا بحبّ الله والحظ فارقوا
 صلاة صياماً ثم حجّ تصدقوا
 لأهل الهدى والغى لا شك فارقوا
 تحابوا بحبّ الله فيه توفّقوا
 بها وتسودوا في القيامة تسبقوا
 وأرجو بفضل الله في العقد أنسق
 أوصاف أهلها بها^{١٢٠} أتحقّق
 ولكنني في الله بالعفو واثق
 بها تمحو أوزاري وفضلاً أوفق
 غريبٌ فقيرٌ في الضلالة غارق
 بأعين إحسان بها الفضل^{١٢١} يغدق
 وأنصاره من الهداية سابقوا

^{١١٩} غر أي مخادع.^{١٢٠} يشير إلى قول الله ﷻ: ﴿ محمد رسول الله والذين معه ... ﴾ إلى آخر الآية (٢٩ الفتح).^{١٢١} يغدق أي يعم جميع الأركان والنواحي.

بآيات فرقان ووصف حنانة أفض منك بحر الجود لي يتدفق
وجد لي وإخواني وأهلي جميعهم بمحض العطايا والهبات تسابق
إلهي على طه الحبيب محمد أفض غيث إحسان به القلب يشرق
وآل وأصحاب كرام أئمة ومن تابعوا المختار بالحال صدقوا

وصيته لأولاده وأهل بيته

ثم دعا أولاده وآل بيته جميعاً ووصاهم بوصية جامعة تعتبر مثلاً فريداً في وصايا الصالحين لذويهم، ونظراً لما تمتلأ به من عظات وعبر، فسنذكرها بأكملها وإن كانت قد طبعت في مؤخرة كتاب الإسلام نسب، ولكن ليس كل أحد قد تيسر له الإطلاع على الكتاب، وهذا ما دعانا إلى تسجيلها هنا وهي:

((أي إخوتي وأبنائي وأرحامي:

إني يسرني سروركم، ويحزنني حزنكم، أجد في نفس هذا الوجد بمجرد العلم بداعي كل نوع قبل شهود مسببه، فكيف بشهود ذلك؟ ما ذلك إلا لأن الروح السارية في تلك الأجسام المختلفة متصلة وإن تباعدت الأجسام، والاتصال الروحاني لا يستلزم اتصال الأشباح مثال ذلك ما يراه الإنسان في نومه لأخيه، فيحصل ما يراه من الخيرات وغيرها، وارتسام الصور في المرأة من غير اتصال جسم المرأة بجسم المصور، فكأنني أنا وأنتم. وإن تعددت الأجسام كنفس واحدة. يتألم أحدها بآلم الآخر ويفرح بفرحه. فأنا يا أخواني يسرني ويفرحني أن تكونوا مجملين بالعافية فائزين بنيل الخير الحقيقي الذي به يدوم لي بكم الفرح والهناء في الدنيا والآخرة.

وطريق هذا الخير الحقيقي محصور فيما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ. وقد قررت لكم ذلك في كتاب ((النور المبين)) عند قولي: ((بالإسلام نيل السعادتين)). فكونوا على ثقة يا إخوتي وأولادي وعشيرتي أن كل لذة ينالها المرء بمعصية الله هي عذاب أليم في الدنيا والآخرة، وكل حظ يناله الإنسان بمعصية الله هو شقاء في الدنيا والآخرة، وليست لذة تفنى وتوجب العذاب الأليم بلذة يتلذذ بها إنسان عاقل، وكيف

يكون ذلك من إنسان يعتقد إنه مسئول أمام الله عن كل صغيرة وكبيرة؟ ثقوا يا إخواني بمعونة الله ما دمت محافظين على سنن رسول الله ﷺ، وبوسعة أرزاقكم، وبالعزة من الله لكم وبالغنى عن شرار الخلق، وبالتمكين في الأرض بالحق، ما دمتم تعملون بكتاب الله، وتجاهدون أنفسكم في ذات الله. بل أبشروا برضوان الله الأكبر، وبالنعيم الأبدي في الفردوس الأعلى، لأنكم يا إخواني باتباعكم للسنة وعملكم بالكتاب تكونون أشبه بأصحاب رسول الله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومتى أشبهتم أصحاب رسول الله ﷺ كنتم مع أهل معية رسول الله ﷺ، ونحن في القرن الرابع عشر من هجرته عليه الصلاة والسلام، بل ويجملكم الله تعالى بالصفات التي أشتاق إليها رسول الله ﷺ، بقوله في الحديث الطويل برواية الإمام مالك بن أنس رحمه الله: ((واشوقاه لإخواني)) يا أولادي: احفظوا الله يحفظكم، احفظوا الله تجدوه أمامكم، كونوا مع الله تروا الله معكم.

يا أبنائي: يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]

فابغضوا المعاصي يا أبنائي لأن الله حرمها وتوعد عليها بالنار، ولأن المعاصي في ذاتها تنفر منها النفوس الكريمة، ولأنها تهدم مجدداً أسسه أئمة الهدى من آبائنا العلماء العاملين، ولأنها تذهب وجاهة الإنسان ومنزلته العالية بين الناس، وتجعله محتقراً ذليلاً، ولأنها تسبب العداوة بين الناس والخصومات، ولأنها تسبب الأمراض في الأبدان، وتوجب الخزي والندم في الدنيا، والعقوبة يوم القيامة، فتركوا يا أولادي المعصية، فإن لذة تؤدي إلى كل تلك البلايا جديرة أن تفروا منها، ولو كان في تركها آلام عاجلة.

يا أبنائي:

صلة الأرحام تطيل الأعمار، وترضي الرحمن، وتكثر الأنصار وتجعل الرجل

سيداً عظيماً في عشيرته، وهي من صفات رسول الله ﷺ، وصلة الرحم صلة للرحيم^{١٢٢}، هذا فضلاً عما يشعر به المرء المسلم من الشفقة والرحمة والعاطفة على أقاربه، فلو لم تكن صلة الرحم شرعاً وعقلاً، لكانت فطرة وسجية، وقاطع الرحم، كأنه يقول: أنا لست إنساناً، ولكني وحش، لأن الإنسان ولو ابن زنا يعطف على أبناء أمه وأقاربها ويتعصب لها.

يا أبنائي :

أكرموا جيرانكم يدم لكم الصفاء والهناء، وتزد نعمكم. لأن إكرام الجار يرضي الله تعالى. ويرضي رسول الله ﷺ. ويجعل لك جارك خادماً يطيعك، يليك إن ناديت. ويسرك إن قابلته. فإن أنت لم تكرمه كان كالهم الملازم. والغريم المطالب. ولا غنى لك عنه. والعاقل لا يجعل له سبعاً وحشاً مفترساً مطلقاً من القيود قريباً من بابه. وإن عجزت عن إكرامه وتأليفه. فتب إلى الله واسأله المعونة. وافرض أن جارك بعيد عنك. فلا تذكره إلا بخير. وانس إساءته يهده الله أو يريحك منه.

يا أبنائي:

احترسوا من الناس بسوء الظن، ولا تظهروا سوء الظن لعباد الله، ولكن عليكم بمداراتهم، فحسنوا نواياكم في قلوبكم وصونوا أعراضكم في بيوتكم، وأموالكم في خزائنكم، حتى إذا ظفرتكم بواحد من أهل الأسرار فجربوه واختبروه، ثم كاشفوه بقدر معلوم وأنتم على حيطة منه. فإذا وجدتم رجلاً أميناً يمكنه أن يحفظ مالكم ويعمل فيه لينتفع وتنتفعوا، فأعطوه بقدر معلوم مع الحيطة منه.

أما الأعراض يا أبنائي، فإن الله تعالى حكم فيها فقال: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [أول الآيات (٣٠ ، ٣١) النور] والعمل بكتاب الله به الفوز برضوان الله وبه السعادة في الدنيا والآخرة، والجاهل عدو نفسه، فكيف يكون صديقاً لغيره؟
أوصيكم يا أبنائي بأن يحب كل واحد منكم لأخيه ما يحبه لنفسه، وخيركم من

^{١٢٢} روي عن ابن عباس ؓ أن النبي ﷺ قال إن الله ليعمر بالقوم الديار ويثمر لهم الأموال وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضاً لهم وقيل كيف ذلك يا رسول الله قال بصلتهم أرحامهم. رواه الطبراني.

بدأ بأخيه فيما يحب ثم بنفسه.

تعلموا يا أبناء العلم تكن لكم الدنيا والآخرة، فإن كان آباؤكم من أئمة الهدى حفظتم ذكركم، وأبقيتم صورهم مرسومة على صفحات القلوب، وإن كانت أعيانهم في القبور، وحفظتم تراثهم ومجدهم، وصرتهم كالجوهر النفيسة المستخرجة من كنوز أنفس الجواهر، ويعظمكم الناس لنسبكم، ويجلونكم لعلمكم، العلم يا أبنائي حقيقة صعب المرتقى، ولكنه كرسي من جلس عليه ساد في الدنيا، وكان في مقعد صدق عند مليك مقتدر يوم القيامة.

قال الله تعالى مثنيًا على أصحاب رسول الله ﷺ وليست بينهم أرحام يتواصلون بها وإنما هي أخوة الإسلام:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [٩ الحشر]، فيجب عليكم يا أبنائي أن تشبهوا بالكرام قياماً بأخوة الإسلام وأخوة الأرحام.

يا أبنائي:

أعطوا حب قلوبكم للأخ التقي الأمين الموالي، واجعلوا مزيداً بالدعاء الصالح، والبشاشة في وجهه، والمسارة إلى خيره، وأعطوا طلاقة الوجه وحلاوة اللفظ لمن تخشون شره، أو تخافون جهالته، ليكفيكم الله شروره، فسعوا الناس كلهم بأخلاقكم، حتى يكونوا لكم السنة خير.

يا أبنائي:

المؤمن عظيم معظم عند الناس ما لم يعمل معصية، فإن وقع في معصية خفية أغضب الله عليه، وأعوذ بالله يا أولادي من غضب الله ومن اختفى من الناس ليعمل معصية كان من المنافقين، لأن ذلك من أقبح صفات المنافقين.

قال الله تعالى ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ [١٠٨ النساء]، ومن عمل معصية أمام الناس، أثار عليه لئام الناس، فيذل بعد العز، ويستوجب غضب الله وسخط الناس. فيا أبنائي: أعاذكم الله من المعصية، إذا دعتمكم

النفس الخبيثة إلى ما يغضب الله، فضعوا قدر لذتكم في كفة الميزان، وغضب الله وسخط الناس والعذاب يوم القيامة في الكفة الثانية ثم اختاروا لأنفسكم.

أنا على يقين من أن ابني الذي آمن بيوم الحساب، وصدق بالقرآن، وأحب أن يشابه والده، يغضب إذا خطرت المعصية على قلبه فضلاً عن أن يهجم بها، أسأل الله أن يعيذني وذريتي وأهلي من الشيطان الرجيم ويجعلني ممن قال سبحانه فيهم: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [٢١ الطور] وقال فيهم: ﴿ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ خُحْرُونَ ﴾ [٧٠ الزخرف]

اعتقدوا يا أبنائي أن أبناء الصالحين، أو أولاد العلماء تكون الصغيرة منهم كبيرة، والكبيرة منهم كفر، لأنهم محل نظر العامة، فقد يقتدي بهم الجهلاء، لا اعتقادهم أنهم أبناء الصالحين، وينكر عليهم العلماء، فيكونون بلاء على الجاهلين لاقتدائهم بهم في معصية الله، وبلاء على العلماء لاشتغالهم بالرد عليهم والانكار، وذلك كله لأنهم أبناء الصالحين، ومن لم يشبه أباه فقد ظلم أمه ورمأها بالزنا، ووصم نفسه بأنه ابن زنا، أعيذكُم بالله يا أبنائي من الشيطان الرجيم، وأعيذ ذريتكُم من الشيطان الرجيم.

احفظوا يا أبنائي أرحامكم، وصلوهم وإن قطعوكم، واحسنوا إليهم وإن أساءوا إليكم، فإن الصلاة واجبة عليكم بحكم الله وبسنة رسول الله ﷺ، لأنها أرحامكم، لأنهم أحسنوا إليكم، فهم وإن أساءوا لا تسقط حقوقهم عليكم^{١٢٣} لأنكم يا أبنائي لو أنكم قطعتم أرحامكم بسبب إساءتهم إليكم تكونون قد حكمتهم بغير ما أنزل الله ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة]، صلوا أرحامكم صلة لله ورسوله، فإن الذي لا يصل من أرحامه إلا من أحسن إليه ليس بواصل، ولكنه مكافئ، وإنما الواصل لرحمه، بل والقائم بما فرضه الله عليه من وصل أرحامه لله تعالى ولو قطعوه، وأحسن إليهم وإن أساءوا إليه، غير ناظر إلى عملهم، فإن نظر إلى عملهم حكم عليهم بما حكموا به عليه كان من الأخسرين أعمالاً.

^{١٢٣} قال رسول الله ﷺ: (ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها) رواه البخاري.

يا أبنائي:

إن النبي ﷺ رغبنا في الإحسان إلى من أساء إلينا من الأبعد، وفي صلة من قطعنا منهم، وفي إكرام جارنا الغريب ولو أهاننا، وجعل ذلك من مقامات الإحسان، وجعل من فعل ذلك من أعبد الناس، فكيف يكون الحال في الجار القريب. يا أبنائي: كل من تشبه بقوم الحق بهم أو صار منهم أو معهم، فاقروا يا أبنائي سير أئمة الهدى، واذكروا طرائق المتقين، وجاهدوا أنفسكم أن تتشبهوا بهم تمام التشبه.

يا أبنائي:

إذا نزع الرحمة من قلب مسلم لأقاربه، هل تكون في قلبه لأجنبي؟ إن من نزع الله الرحمة من قلبه لشقى.

يا أبنائي:

إن الرجل تكون له الزوجة، والزوجة تبغض أقارب الرجل لأنهم يشاركونها في نعمته، وهم يبغضونها لأنها استقلت بنعمة قريبهم، وتصرفت في ماله إلا من حفظ الله، والمرأة ألصق بقلب الرجل فقد تخلو به، وترميهم بالبهتان، فيقوم الرجل بقطع أرحامه، ويحارب أقاربه، ويؤذي من أمره الله بالإحسان إليهم، فتكون المرأة في مثل هذا أشد من الشيطان، وأضر من النار، وإذا قدم الرجل لشهوته البهيمية، المرأة الأجنبية على أرحام له أمر الله بصلتهم فإنه يكون كالبيهم، بل أقل.

يا أبنائي:

اتقوا الله في جيرانكم، غضوا أبصاركم عن عوراتهم، شاركوهم فيما أنعم الله عليكم، فإنهم يبصرون ويسمعون، واستديموا نعم الله عليكم بقليل تبذلونه لهم من نعمة الله عليكم يكون لكم مزيداً في الدنيا ورضوان من الله في الآخرة.

لا تجعل جارك يرى شيئاً في بيتك إلا أشركته فيه، وإذا بلغ بك الحرص مبلغاً جعلك تكره أن تشرك جارك فيما أنعم الله به عليك فاخف ذلك عنه وعن أبنائه، فإن الجار كالقريب يطمع في جاره ويرجو منه ما لا يرجوه من غيره، حتى إذا شم جارك

دخان قدرك فاعطه منه.

اعلموا يا أبنائي أن نظرة إلى زوجة الجار أو ابنته بشهوة عمداً لمن الكبائر التي توبق، لأن له حقوق كحقوق القرابة، وكشف ستر الله عن الجار من الموبقات، فاتقوا الله في جيرانكم، فإن لهم عليكم حقوقاً، التساهل في حق منها موجب لغضب الله تعالى، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نقوم بحقوقهم ثم نفضل عليهم.

أبنائي:

إياكم أن يحب أحدكم نفسه فيطمع في قليل يفنى، ويحرم كثيراً يدوم، فإن أحدكم إذا أحب نفسه، فطمع في الدنيا ونافس فيها إخوته، فقد فتح على نفسه أبواب شر:

الأول: بغض أقاربه الذين هم أولى الناس به، ومتى كره أقاربه قرب أهل الجهالة من شياطين الإنس الذين يعينون على قطيعة الأرحام وأحبهم، واستعملهم في إساءة أقاربه، فينفق ماله في غضب الله على شياطين الإنس وفي إساءة أقاربه.

الثاني: يبغضه عقلاء الناس لأنهم بمعاداته لأقاربه يعتقدون فيه الجهالة، ومخالفة السنة، ومعصية الله، ويئسسون منه لأنه يصير عندهم لا خير فيه.

الثالث: يفرق الجماعة، فإن كل واحد من أقاربه له شيعة يشايعونه، وأحباب ينصرونه، فإذا أحب الرجل نفسه ابتلى بعداوة تلك الشيع المختلفة، فكثر همه، وقلت راحته واشتغل عن الله واشتدت الخصومة عليه، فبذل ما في يده من المال في خلاص نفسه وأذية أقاربه، فكان حبه لنفسه سبباً في زوال النعمة، وفقدان اللذة، وحرمان الراحة.

فيا أبنائي:

الأخ خير من مال كثير، وإيثار الأخ على المال سبب السعادة الكبرى والخير الحقيقي، لأنك إذا آثرت أخاك على نفسك بالمال أو بالرياسة أو بالجاه صيرت أخاك لك كملوك لك مطيع، وصرت عزيزاً عظيماً، كثير المال عظيم الجاه، منشراح الصدر، آمناً على نفسك.

يا أبنائي:

الجاهل حقاً من يبغض أخاه لأجل المال أو الجاه، وأجهل منه من يسعى في أذية أخيه لينال مالاً أو جاهاً، ومن عمل ذلك أضاع الجاه والمال من نفسه ومن أخيه. وأنت يا ولدي إذا كان لك أخ غني أو ذو جاه فأنت الغني ذو الجاه، لأن مال أخيك مالك، وجاه أخيك جاهك، والواجب عليك أن تسارع في زيادة ماله أو تأييد جاهه، لأنك شريكه في كل شيء، إلا إذا عاداك لشیطان الهوى والحظ.

أعوذ بالله من طمع يزيل الخير، ومن حسد يوقع في نار جهنم. وإني والله ليسرني أن يكون جاري الغريب في نعمة وسيادة، فأنا أكون في نعمة وسيادة مادام جاري سيداً منعماً عليه، فكيف بأخي أو عمي أو خالي أو ابن أخي أو أحد أقاربي؟

يا أبنائي:

الله أعلم حيث يجعل نعمته، كما أنه أعلم حيث يجعل رسالته، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرَدِّكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [١٠٧ يونس].

فإذا أنعم على الله على واحد منكم بنعمة وسعة في رزقه، أو سيادة في قومه، أو حكمة أو جمع لك تلك النعم، فاعتقدوا أن ذلك فضل من الله عليكم جميعاً، واجتهدوا جميعاً أن تعظموا من أنعم الله عليه، وأن تعضدوه، فإن ذلمك يكون تعظيماً لله ومزيد فضل لكم جميعاً.

وعلى من أنعم الله عليه أن يعتقد أنه إنما أقامه الله مقام كل أفراد العائلة، ورزقهم جميعاً في ذاته، فعليه أن يجعل نفسه كواحد من أفراد العائلة يحب لصغيرهم ما يحب لنفسه، حتى يكون خادماً لهم شاكراً لله على نعمته عليه، فيكون بذلك في نعمة الله، ومزيد من فضله العظيم ومزيد من حبه سبحانه، ومواجهاته الربانية، وتكون النعمة عليه معراجاً للقرب من حضرة القدس الأعلى، ويكرم الله أولاده من بعده إكراماً له، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا



وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴿ ٨٢ الكهف ﴾.

فانظر يا بني كيف أكرم الله الأبناء إكراماً لوالدهم، فأرسل لهم رسولاً من أولي العزم، ونبيّاً أو وليّاً من كمل الأولياء، يرفعان الجدار، ليحفظ الكنز للولدين.

هذه نهاية الإكرام من الله للميت في الأحياء، فاحرص يا ولدي على أن تنال إكرام الله في حياتك وإكرام الله لأولادك بعد مماتك إكراماً لك.

يا ولدي:

ورث أبناءك أخلاقك المحمدية، وعقيدتك الحقّة ومعاملتك الجميلة، وعبادتك لله الصحيحة، التي تشكر بها ربك سبحانه. ورثهم الرحمة على الأرحام، والرأفة بالأيتام والإحسان إلى الجيران. ورثهم حسن التوكل على الله، والثقة بما في يد الله، وحسن الظن بالله ورثهم الإحسان إلى من أساء إليهم، والعفو عمن ظلمهم والصلة لمن قطعهم.

يا ولدي:

هذه وصيتي التي أسألك بحقوق أبوتي عليك أن تحافظ عليها لتكون معي إن شاء الله تعالى يوم القيامة، إذا تفضل الله علينا بمغفرته وعفوه في دار النعيم.

يا بني:

لا تغضب وإن أغضبك غيرك، فإنك إذا غضبت جهلت من أنت، فإذا جهلت من أنت عملت أعمال الشياطين، وفعلت أفعال الخاسرين الهالكين وإذا أغضبك غيرك ولم تغضب، ودبرت بعقلك ورويتك، جعلت الناس أنصاراً لك على من أغضبك وكان الله تعالى معك، لأنك تخلقت بخلق من أخلاقه، لأنه ﷺ حلیم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، وصبور وغفور وتواب وعفو، ومن كان الله يا بني معه فهل تعلم نفس ما يتفضل به عليه سبحانه من الخير الحقيقي، وما يمنحه سبحانه من الفضل العظيم؟

يا بني: مداراة الناس بالفكر والتدبير والضمير لا باليد واللسان، وما ترك من

الحماسة شيئاً من قال لعدوه: إني أكرهك أو أنت عدوي فإنه يسلط على نفسه شيطاناً كان في حصون الحفظ منه، لولا تلك الكلمة، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [٣٤: فصلت]. ولا تحزن قلب زوجة لك ولا خادم ولا ولد ولا دابة إلا في مقام أدب على ذنب موجب، وفي غير ذلك انصح نصيحة رحيم عطوف حكيم. والله تعالى يعينني وإياكم يا أقاربي وأولادي، على ما به ننال رضاه الأكبر، من العقيدة والعبادة والعمل والحال والأخلاق، ويجعلنا من العاملين بالسنة والكتاب، المجددين لمناهج رسول الله ﷺ، وممن يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر))

وبعد هذه الوصايا أحسن الجميع بقرب مفارقتة ﷺ لحياته الدنيا، فغصت العيون بالدموع، فنظر إليهم وقال لهم متمثلاً قول الإمام الغزالي ﷺ:

قل لإخوانٍ يروني ميّاً	ليس والله بالميت أنا
أنا عصفورٌ وهذا قفصي	طرتُ منه إلى دار الهنا
لا تظنوا الموتَ موتاً إنَّه	لحياةٌ وهو غايات المنى
لا ترعُكمُ هجمة الموتِ فما	هو إلا نقلةٌ من ها هنا

وأخذ يسليهم بالعظات والملاحظات وكان آخر كلامه ﷺ هذه القصيدة التي يقول فيها:

مولاي أسرع بي إلى الوجه	إني فريت عن الأولاد والأهل
وزج بي في رياض القدس مشرقة	أنوار وجهك بالغفران والوصل
إني فريت عن الدنيا ولازمها	وعن بني عن الأولاد والأهل
والدار دار غرور كلها ألمٌ	قد تبثُ فاغفر لي يا واسع الفضل
مني سلامٌ على أهلي على ولدي	أستودع الله من أبقيت بالفعل
مختار ريحانتي مهديةً بنتي	أرجو له ولها من فضله الكلي
كذا من مرضوني أرتجي لهم	خيراً عميماً وحسنى واهب الطول

مني عليهم سلام الله أسأله أن يعطيهم خيرهم في الفعل والقول
مولاي أنت ولي والوكيل فكن عوناً لهم يسرن يا سيدي سؤلي
كونوا مع الله في أدواركم فعسى أن تمنحوا فضله بالحوال والطول

وشاءت إرادة الله أن يكون انتقاله ﷺ إلى جوار ربه في ليلة الإسراء والمعراج، وهي نفس الليلة التي ولد فيها، وكان ذلك في يوم السابع والعشرين من شهر رجب سنة ألف وثلاثمائة وست وخمسين من الهجرة النبوية الشريفة والموافق الثالث من أكتوبر سنة ألف وتسعمائة وسبع وثلاثين ميلادية، عن عمر يناهز سبعين سنة، قضاهما كلها في طاعة الله ﷻ.

وقد دفن ﷺ بيته بناء على الوصية الخاصة التي وصى بها في ذلك، وتحول هذا المكان ببركته إلى مسجد كبير يشع منه النور والمعرفة والهدى إلى جميع المسلمين:

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [٢٣ الأحزاب].

زوجاته وأولاده

وقد تزوج ﷺ بالسيدة منتهى طلبة وأنجب منها أولاده:

- السيد أحمد ماضي أبو العزائم وقد توفي في ٢٠ ربيع الأول ١٣٩٠ هجرية الموافق ٢٦ مايو ١٩٧٠ ميلادية، ودفن بالمقصورة بجوار والده.
- والسيد محمد الحسن ماضي أبو العزائم وقد توفي عام ١٣٨٨ هجرية.
- والسيد عبد الله ماضي أبو العزائم وقد توفي عام ١٣٧٩ هجرية.
- والسيدة فتحية ماضي أبو العزائم وقد توفيت عام ١٣٩٠ هجرية.

ولما توفيت السيدة منتهى زوجته الأولى تزوج بالسيدة لبيبة محمود سلامة العطيبي، وكانت رحمها الله أحب أهل الإمام إليه وأقربهن من قلبه، وقد توفيت أثناء

ولادتها لابنها شفيح، وبعد وفاتها تزوج بالسيدة عزيزة السماحي وأنجب منها:

السيد مختار ماضي أبو العزائم.

- والسيدة مهدية ماضي أبو العزائم.

وقد رباهم جميعاً على طاعة الله وحسن عبادته، وغرس فيهم حب الجهاد في سبيله والعمل على إعلاء شأن دينهم فوفوا جميعاً بما عاهدوا الله عليه، فرضى الله عنهم أجمعين وأخلفهم في أولادهم بخير في الغابرين، وسلام على آل ياسين والحمد لله رب العالمين.

خاتمة

قد وفق الله وأعان على هذا العمل الذي لا يلائم جلالة قدر الإمام أبي العزائم رحمه الله، ولا يحيط كل الإحاطة بآثاره العلمية، فضلاً عن أحواله الربانية ومشاهده القدسية، فهو كما قال رحمه الله:

أنا طلسم لا يدرني إلا أنا خاف وأوصافى لذاتي بادية
ويصف حال قربه فيقول:

أنا غارق في بحر نور مطلق لا بر يحصرني ولا ملاح
من رام يعرفني تجرّد عن سوى نص الشريعة إن أراد فلاح
النور محظور على أهل الهوى والحظ بادر نعطك الأقداح

وقد أدرك هذه الحقيقة الدكتور مصطفى محمود عندما قرأ بعض آثاره العلمية وكتب عنه كتابه ((السر الأعظم)) وقال فيه عن الإمام أبي العزائم:

((وهو في نظري كنزٌ لم يكتشف بعد، وقطبٌ
ينافس الفحول علماً وسلوكاً، وشعره رموز
عرفانية عالية يفهم منها كل واحد على قدر
حظه، وما قدمناه من علم الرجل ما هو إلا نقطة

في حجر ((.

وما كتبناه هنا على قدر ضعفنا وعجزنا لا على قدر مولانا الإمام أبي العزائم رحمه الله، ونلمح إلى أن ما ذكرناه في هذا الكتاب من حكايات غير المذكورة في المراجع العلمية التي أثبتناها فإنما تلقيناها سماعاً، إما من أهلها الذين حدثت معهم:

- كالشيخ عبد الحميد سري (القاهرة).
- والشيخ عرفات الجمال.
- والشيخ أحمد الجمال.
- والشيخ علي عطية (برج البرلس - كفر الشيخ).
- والشيخ محمد أبو شريف.
- والشيخ الجنيد (المنيا).
- و سمعناها ممن عاصروا الإمام في حياته وهم:
- الشيخ قطب زيد (القن مركز سيدي سالم - محافظة كفر الشيخ).
- والشيخ محمد شحاته.
- والشيخ عبد القادر مسعود (كفر الشيخ).
- والشيخ محمد عامر (بني سويف).
- والشيخ عبد السلام شتا (القاهرة).
- أو ممن تربوا على مائدة الإمام أبو العزائم منذ نعومة أظفارهم خاصة منهم:
- السيد عز الدين ماضي أبو العزائم حفيد الإمام.
- والشيخ طاهر محمد مخاريطه لسان حال الإمام.
- وفضيلة العارف بالله تعالى الشيخ محمد علي سلامة رضى الله عنه، وإليه يرجع الفضل في معظم الحكايات التي أوردناها في هذا الكتاب خاصة منها ما يتعلق بالسودان حيث أنه قد زار الإخوان السودانيين وسمع من المعاصرين للإمام منهم هذه الحكايات ونقلها إلينا .

وفي الختام نقول كما قال العماد الأصفهاني ((إني رأيت أنه لا يكتب أحداً كتاباً في يومه إلا وقال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر)).

ونقول أيضاً كما قال الإمام الشافعي رحمه الله حينما راجع كتابه ((الأم)) سبعين مرة وفي كل مرة يكشف فيه أخطاء جديدة فقال في النهاية ((أبى الله أن يجعل كتاباً خالياً من الأخطاء إلا كتابه الكريم)) فمن قرأ هذا الكتاب ووجد فيه عيباً أو خطأ أو خللاً فليستغفر لكتابه ويسأل الله ﷻ له العفو والغفران.

فإن تجد عيباً فسد الخلا فجل من ليس فيه عيب وخلا
وإن وجد فيه توفيقاً وفضلاً فلينسبه إلى الله ﷻ وليردد قوله سبحانه ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [٥٣: النحل].

هذا وأدعو الله ﷻ أن يوفق إخواني الصالحين الذين قاموا بطباعة هذا الكتاب ونشره للمسلمين حسب لوجه الله الكريم وأن يرزقهم الله ﷻ السكينة والرضا وبلغهم مقامات الواصلين ومنازل العارفين ويجمعنا وإياهم على سيد الأولين والآخرين في معيته الدائمة في الدنيا وتحت لواء شفاعته يوم الدين.

وهذا أوان الفراغ من كتابة هذا الكتاب المبارك في ليلة الجمعة الثالث عشر من شهر جمادي الآخرة ١٤١٢ هجرية الموافق ١٩ ديسمبر ١٩٩١ ميلادية.

﴿ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

نمر بحمد الله تعالى وحسن توفيقه
فله سبحانه وتعالى الشكر والمنة

المراجع

- القرآن الكريم.
- كتب الصحاح في الأحاديث الشريفة ومراجعته.
- مؤلفات الإمام أبي العزائم (المطبوعة).
- مواجيد الإمام أبي العزائم (مخطوطة).
- الإمام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين، الشيخ محمد علي سلامة.
- أيام الله، الشيخ محمد علي سلامة.
- شرح الفتوحات في الصلاة على خير البرية، الشيخ محمد علي سلامة.
- الإمام محمد ماضي أبي العزائم (حياته - جهاده - آثاره) للأستاذ/ عبد المنعم شقرف - جمعية أولوا العزم الدينية بالقاهرة.
- أبو العزائم وأثره في التصوف الإسلامي - عبد المنعم شقرف (مكتبة الكليات الأزهرية).
- إحياء علوم الدين - للإمام الغزالي - دار الشعب.
- معارج القدس في مدارج معرفة النفس - الإمام الغزالي - مكتبة الجندي.
- الفتوحات المكية - محي الدين بن عربي - طبعة دار صادر - بيروت.
- حلية الأولياء، الأصفهاني، طبعة السعادة.
- السر الأعظم للدكتور مصطفى محمود - طبعة دار المعارف.
- الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية - لابن عجيبة - الحلبي.
- شرح الحكم العطائية لابن عجيبة - الحلبي.
- مكانة التصوف والصوفية في الإسلام - محمد عيد الشافعي (دار الناشر العربي).
- الطرق الصوفية في مصر - د. عامر النجار - دار المعارف.
- التصوف طريقاً وتجربة ومذهباً - د. كمال جعفر - دار الكتب الجامعية.
- الطبقات الكبرى للإمام الشعراني - دار الفكر العربي.
- الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية - للإمام الشعراني (دار جوامع الكلم).
- درة الأسرار - لابن الصباغ، طبعة السعادة.
- المفآخر العلية في المآثر الشاذلية - ابن عياد - الحلبي.
- سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونيين - النبهاني.
- جامع كرامات الأولياء - النبهاني، الحلبي.
- قوت القلوب - أبي طالب المكي - دار صادر - بيروت.
- الرسالة القشيرية - تحقيق د. عبد الحليم محمود - دار الكتب الحديثة.
- الدعوة إلى الإسلام - سير توماس أرنولد - النهضة المصرية.
- وغيرها من المراجع.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



نبذة عن المؤلف الأستاذ فوزي محمد أبوزيد

✽ تاريخ ومحل الميلاد: ١٨/١٠/١٩٤٨ م ، الحميزة - مركز السنطة - الغربية

✽ المؤهل: ليسانس كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٧٠ م .

✽ العمل: مدير عام بمديرية طنطا التعليمية.

✽ النشاط : ١- يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر

العربية، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسي ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.

٢- يتجول في جميع أرجاء الجمهورية، وفي الأقطار العربية والإسلامية وغيرها؛ لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المثل والأخلاق الإيمانية بالحكمة والموعظة الحسنة.

٣- بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة مجد الإسلام .

٤- والتسجيلات الصوتية و الوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس على الشرائط و الأقراص المدمجة.، ٥- وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت:

WWW.Fawzyabuzeid.com

✽ دعوته :

١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين والعمل على جمع الصف الإسلامي وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس.

٢- يحرص على تربية أحبائه على التربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم .

٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكي المبني على القرآن وعمل رسول الله ﷺ، وأصحابه الكرام .

✽ هدفه :

إعادة المجد الإسلامي ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية وترسيخ المبادئ القرآنية. وصلى الله على سيدنا محمد على آله و صحبه وسلم



قائمة مؤلفات الأستاذ فوزي محمد أبوزيد

أولا : من أعلام الصوفية

١- الإمام أبو العزائم المجدد الصوفي (٢ط) - ٢- الشيخ محمد علي سلامة سيرة وسريرة.

٣- المربي الرباني السيد أحمد البدوي ٤- شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقي
ثانيا : الدين والحياة :

٥- زاد الحاج والمعتمر (٢ط) ٦، ٧- نفحات من نور القرآن ج ١، ج ٢،
٨- مائدة المسلم بين الدين و العلم، ٩- نور الجواب على أسئلة الشباب،
١٠- فتاوى جامعة للشباب، ١١- مفاتيح الفرج (٦ط) (ترجم للأندونيسية)،
١٢- تربية القرآن لجيل الإيمان، (ترجم للإنجليزية والأندونيسية)،
١٣- إصلاح الأفراد و المجتمعات فى الإسلام ١٤- كيف يحبك الله (تحت
الترجمة للأندونيسية)، ١٥- كونوا قرآنا يمشى بين الناس (تحت الترجمة
للأندونيسية

١٦- المؤمنات القانتات، ١٧- فتاوى جامعة للنساء، ١٨- قضايا الشباب
المعاصر

الخطب الإلهامية : المجلد الأول : المناسبات

١٩- ج ١: المولد النبوى، ٢٠- ج ٢: الإسراء و المعراج، ٢١- ج ٣: شهر
شعبان و ليلة الغفران، ٢٢- ج ٤: شهر رمضان و عيد الفطر، ٢٣- ج ٥: الحج و
عيد الأضحى، ٢٤- ج ٦: الهجرة و يوم عاشوراء.

ثالثا : الحقيقة المحمدية :

٢٥- حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣طبعات). ٢٦- الرحمة المهداة.
٢٧- إشرافات الإسراء- ج ١ (٢ط)، ٢٨- إشرافات الإسراء (ج ٢)،
٢٩- الكمالات المحمدية ٣٠- واجب المسلمين المعاصرين نحو الرسول ﷺ)

ترجم للإنجليزية وجارى نشره بالموقع بعد تطويره وتحديثه).

رابعا : الطريق إلى الله :

- ٣١- طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (ترجم للأندونيسية)،
٣٢- أذكار الأبرار، ٣٣- المجاهدة للصفاء و المشاهدة، ٣٤- علامات التوفيق
لأهل التحقيق، ٣٥- رسالة الصالحين، ٣٦- مراقى الصالحين، ٣٧- طريق
المحبوبين و أذواقهم، ٣٨- كيف تكون داعياً على بصيرة.

خامسا : دراسات صوفية معاصرة :

- ٣٩- الصوفية و الحياة المعاصرة، ٤٠- الصفاء والأصفياء، ٤١- أبواب القرب و
منازل التقريب ٤٢- الصوفية فى القرآن والسنة (٢ط) (ترجم للإنجليزية)
٤٣- المنهج الصوفى والحياة العصرية ٤٤- الولاية والأولياء
٤٥- موازين الصادقين، ٤٦- الفتح العرفانى، ٤٧- النفس وصفها وتركيتها.

سادساً: سلسلة شفاء الصدور

- ٤٨- مختصر مفاتيح الفرج (٢ط)، ٤٩- أذكار الأبرار (٢ط)، ٥٠- أوراد الأخيار
(تخريج وشرح). ٥١- علاج الرزاق لعلل الأرزاق ٥٢- بشائر المؤمن عند
الموت، ٥٣- أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام. ٥٤- مختصر زاد الحاج والمعتمر

سابعاً: تحت الطبع للمؤلف :

السلسلة	إسم الكتاب
١- من أعلام الصوفية :	الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى
٢- دراسات صوفية معاصرة :	حقائق التصوف النقيّ
٣- :	سياحة العارفين
٤- الحقيقة المحمدية :	الصلوات الإلهامية
٦- الطريق إلى الله :	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (٢ط)
٧- :	الحكم الإلهامية
٨- الدين والحياة :	الخطب الإلهامية: المجلد الأول: المناسبات (٢ط، إقتصادية)

الفهرست

الموضوع	صفحة
جدول ترقيم الفهرسة للحفظ	٢
صورة: الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم ؓ	٣
مقدمة الطبعة الثانية	٤
مقدمة الطبعة الأولى	٦
الفصل الأول نسبه وأسرته	٩
نسبه	١٠
أسرته وكنيته	١١
جده الأعلى: أبو العزائم ماضي بن سلطان	١٣
الفصل الثاني مولده ؓ ونشأته ودراسته	١٩
أولاً: مولده ونشأته	٢٠
مولده	٢٠
نشأته	٢١
ميوله الصوفية	٢٢
ثانياً: دراسته في القاهرة	٢٤
تمهيد	٢٤
في الأزهر الشريف	٢٤
في دار العلوم	٢٥
الفصل الثالث الدعوة إلى الله	٢٦
في المنيا	٢٧



٢٨	بدء دعوته
٢٩	قصة الشيخ الصيحي
٣١	الفصل الرابع جهاده في السودان
٣٢	في سواكن
٣٣	التبشير بالإسلام
٣٤	في وادي حلفا
٣٦	العودة إلى سواكن
٣٧	الفصل الخامس الجهاد المقدس
٣٨	تمهيد
٣٩	جهاده الإنجليز في السودان
٤١	أثره في أهل السودان
٤٢	جهاده للإنجليز في مصر
٤٥	جهاده الإسلامي
٤٨	أمراض المجتمع الإسلامي وعلاجها
٥٠	وسائل تحقيق المجد الإسلامي
٥٣	الفصل السادس الشيخ المرّي
٥٤	تمهيد
٥٥	التأذب بآداب الشريعة
٥٨	الرُّهْدُ
٥٩	السَّورُغُ
٦٠	البصيرة النافذة



٦٤	الرَّحْمَةُ بِالْخَلْق
٦٩	الفصل السابع الجهاد الأكبر
٧٠	تمهيد
٧١	أولاً: العلم
٧٢	ثانياً: العمل بالعلم
٧٣	- تصحيح الوجهة
٧٧	ثالثاً: تركية النفس
٨٣	الفصل الثامن الرياضة الروحية
٨٤	تمهيد
٨٥	أولاً: القرآن الكريم
٨٧	ثانياً: الفكر
٩١	نتائج الفكر
٩٤	ثالثاً: الذكر
٩٤	ذكر الأسماء والصفات:
٩٩	مراتب الذكر
١٠١	الخلوق
١٠٢	أنواع الذكر
١٠٧	الفصل التاسع أدب الدعوة إلى الله
١٠٨	تجدد الدعوة إلى الله
١٠٩	تهذيب الدعاة إلى الله
١١٤	أحوال الدعاة الروحانية



١١٦	آداب وأوصاف الدعاة إلى الله
١١٩	أنواع الدعاة إلى الله
١٢١	الفصل العاشر
	جهود الإمام أبي العزائم رحمته في إصلاح المجتمع الصوفي
١٢٣	الحاجة إلى الطريق
١٢٥	حالة أهل الطريق في عصره
١٢٧	جهوده لإصلاح أهل الطريق
١٢٧	- المرحلة الأولى: بيان أحوال السلف الصالح
١٣١	- المرحلة الثانية: بيان أوصاف أهل الطريق وأهدافهم
١٣٣	- المرحلة الثالثة: دعوته إلى توحيد أهل الطريق
١٣٦	- المرحلة الرابعة: المرشد الدال على الله
١٤٠	شبهات في أئمة الطريق
١٤٠	- الشبهة الأولى: الولي المجذوب
١٤٢	- الشبهة الثانية: أبناء الصالحين
١٤٤	- الشبهة الثالثة: النسب الشريف
١٤٦	- الشبهة الرابعة: أدعياء الحال
١٤٨	- المرحلة الخامسة: آداب أهل الطريق
١٤٨	١- أدب السالك مع نفسه
١٥١	٢- أدب السالك مع إخوانه
١٥٦	٣- الأدب مع المرشد
١٥٩	تنمة
١٦١	الفصل الحادي عشر
	جهود الإمام أبي العزائم العلمية رحمته

١٦٣	أولاً - في مجال النشر
١٦٣	١ - التفسير
١٦٥	٢ - العقيدة
١٦٥	٣ - الأحكام وحكمتها
١٦٥	٤ - إحياء الروح الإسلامية
١٦٦	٥ - الدعوة الصوفية
١٦٧	٦ - السيرة النبوية
١٦٧	٧ - الأوراد والاستغاثات والصلوات
١٦٨	ثانياً - النظم الصوفي: تعريفه، كيفية تلقيه
١٧١	أغراضه
١٧٥	ديوان شروق الإسلام
١٧٧	الفصل الثاني عشر
	وصية ووداع
١٧٨	صورة: مزار الإمام أبي العزائم بمسجده بشارع مجلس الشعب
١٧٩	وصيته لإخوانه
١٨٣	وصيته لأولاده وأهل بيته
١٩٣	زوجاته وأولاده
١٩٤	خاتمة
١٩٧	المراجع
١٩٨	التعريف بالمؤلف الأستاذ فوزي محمد أبوزيد
١٩٩	بيان بمؤلفات الأستاذ فوزي أبوزيد
٢٠١	فهرست
٢٠٦	سجل المكتبات ودور النشر
٢٠٨	من صور الإمام أبي العزائم مع إخوانه ومريديه

للحصول على مؤلفات الأستاذ فوزى محمد أبو زيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهرة
المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ ش جوهر القائد، الأزهر
مكتبة الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام، ميدان الحسين،
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ ش الشيخ ربحان، عابدين
دار الأحمدي للنشر	٢٥٧٤٠٥٠٣	٤٠ طلعت حرب أمام سينما مترو
جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفر، الدراسة
نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة بجوار المسجد
المكتب المصري الحديث	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ ش شريف
دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ ش التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولي	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب
مدبولي مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، ش النصر مدينة نصر
النهضة المصرية	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ ش عدلى جوار السنترال
هلا للنشر والتوزيع	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ ش دحجازي، خلف نادي الترسانة
المكتبة الفاطمية	٠١٨٥٢٠٠٨٤٦	ميدان الأزهر، أمام الباب العباسي
أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ ش جوهر القائد - الأزهر
الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ ش الصناديق بالأزهر
الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١ ش د. أحمد أمين، مصر الجديدة
مكتبة عبادة	٠٥٥٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق - ش نور الدين
الإسكندرية		
كشك سونا	٠١٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
معرض الكتاب	٠١٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
السكندري		
كشك محمد	٠١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبي دانيال، محطة
سعيد موسى		مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبي دانيال، محطة مصر



مكتبة سبيويه	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	٢٣ المشير أحمد إسماعيل، سيدى جابر الأقاليم
كشك عبد الحافظ	-----	الزقازيق، بجوار مدرسة عبد العزيز على
محمد عبد الحافظ	-----	على
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق - شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا أمام السيد البدوى
مكتبة قرية	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	طنطا، ٩ ش سعيد مع شارع
مكتبة الإيمان	-----	المعتصم - أمام كلية التجارة
كشك الصحافة	-----	فايد- الحاج أحمد غزالى ببرى
أولاد عبدالفتاح السمان	٢٣٢٧٥٩٩-٠٩٣-	السويس - شارع الشهداء، الحاج حسن محمد خيرى
كشك أبو الحسن	٠١٦٩٥١٨٦١٦	سوهاج - ش احمد عرابي، أمام التكوين المهني
دار الأحمدي للنشر	٠٦٨-٢٣٤٧٨٠٢	قنا - أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
		المنيا، أبراج الجامعة، أمام الشبان المسلمين

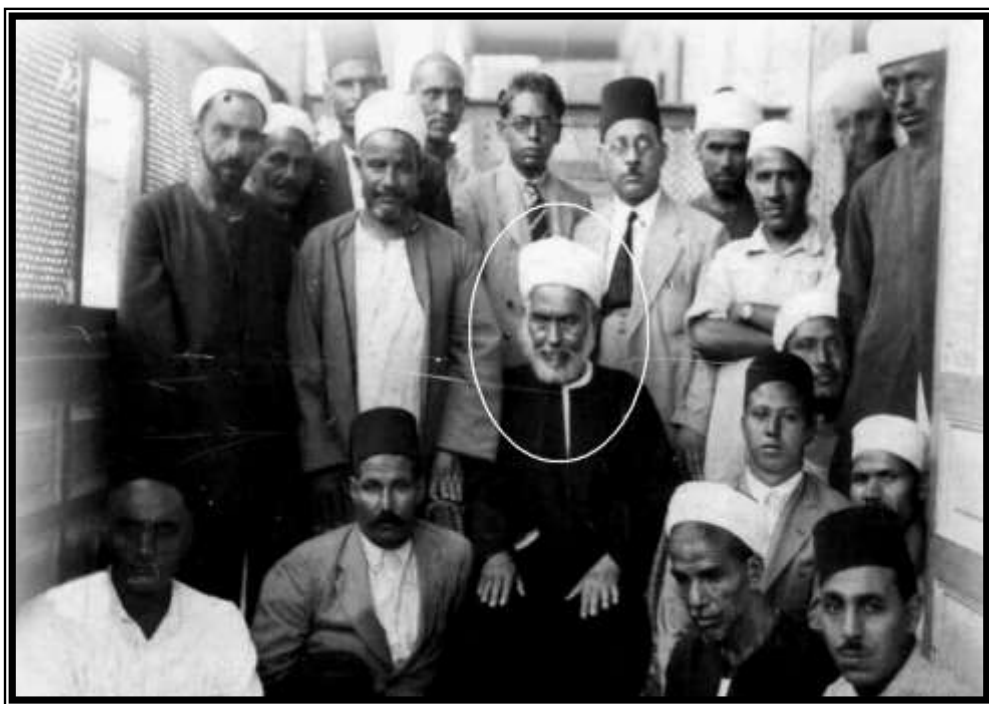
أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار للتوزيع و دار الشعب والدور القومية للتوزيع والنشر ومن المكتبات الكبرى الأخرى بالقاهرة والجيزة والأسكندرية والمحافظات.

ويمكن الإطلاع إلكترونيا على نبذة مختصرة عن المؤلفات مع المقدمة والفهرست على أكبر موقع علمي للكتاب العربى على الإنترنت

www.askzad.com

كما يمكن تنزيل الكتب إلكترونيا بشروط الموقع.

===== تم بحمد الله وتوفيقه =====



من صور الإمام أبي العزائم ؒ في وسط إخوانه